

وزارة الثقافة  
الهيئة العامة السورية للكتاب

# حول تشيخوف



لقاءات وانطباعات

ذكريات ميخائيل تشيخوف عن شقيقه الأكبر أنطون تشيخوف

ترجمة: زياد الملا

أعلام الأدب العالمي ١



# الهيئة العامة السنورية للكتاب

حول تشيخوف



# الهيئة العامة السنورية للكتاب

# حول تشيخوف

## لقاءات وانطباعات

(ذكريات ميخائيل تشيخوف)

عن شقيقه الأكبر أنطون تشيخوف)

ترجمة: زياد الملا

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠١١م

М. П. ЧЕХОВ  
ВОКРУГ ЧЕХОВА  
ВСТРЕЧИ  
И  
ВПЕЧАТАНИЯ

حول تشيخوف؛ لقاءات وانطباعات: ذكريات ميخائيل تشيخوف  
عن شقيقه الأكبر أنطون تشيخوف / ترجمة زياد الملا - دمشق:  
الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٠م - ٢٨٠ ص؛ ٢٤ سم -

(أعلام الأدب العالمي؛ ١)

١ - ٩٢٨: تشيخوف، أنطون ت ٢ - ٨٩١,٧٨ ت ش ي ح

٣ - العنوان ٤ - تشيخوف ٥ - الملا ٦ - السلسلة

مكتبة الأسد

أعلام الأدب العالمي

« ١ »

-٤-

# m

اكتشفت في إبداع تشيخوف روحاً أميل إليها بحميمية . فهو لا ينطوي على سطوة وحشية مثل دوستوفسكي الذي يدهش ويلهم ويروع ويحير، بل هو كاتب تستطيع أن تعقد معه صلات أليفة. وأشعر أنني تعلمت منه أكثر مما تعلمته من أي مبدع آخر. لقد تعلمت منه سرّ روسيا. بهذه الكلمات المعبرة لخص كاتب القصة البريطاني الشهير سومرست موم رأيه في أنطون تشيخوف. وأما انغمار برغمان فقد كثف رأيه في جملة قصيرة للغاية قائلاً:

«تشيخوف مثل شكسبير. إنهما قدر في المسرح».

ولعل أرسكين كالدوين قد ذهب أبعد من غيره في تقويم تشيخوف إذ يقول: «إليه يعود الفضل الأكبر. فهو الذي ألهمني وأعطاني منذ أن اكتشفته وأنا تلميذ صغير».

ويرى الكثيرون من النقاد أنه لا وجود لكاتب مبدع ومحرر من تأثيرات كتابات تشيخوف لأن الفن عنده هو، كما يقول برغمان: «أشبه باختراق أعماق الحياة من خلال جدران صماء عالية..»

وكان يوسف ادريس قد قرر التخلص من التأثير التشيخوفي عليه ومزق إحدى قصصه ثم مزق عدة قصص أخرى لأنه كان يرى أنها تشيخوفية للغاية. ولكن سرعان ما قطع الأمل وكتب بهذه الروح التشيخوفية. والحال نفسها تنسحب على الكاتبين المبدعين سعيد حورانيه وحسيب كيالي.

كتب ليف تولستوي: «تكمن قيمة إبداع تشيخوف في أنه ليس مفهوماً وقريباً جداً من كل روسي فحسب بل، أيضاً، من سائر البشر في كل أرجاء

المعمورة...» وهو ، والكلام لتولستوي «فنان الحياة الذي لا يقارن به أحد». ويمكن لتشيخوف، كما يقول جون بريستلي: «أن يكون نموذجاً مميزاً لإنسان من طراز جديد، لإنسان يحتاج إليه عصرنا حاجة ملحة للغاية».

ولد أنطون تشيخوف في عائلة تاجر متوسط الحال من مدينة تاغانروغ الروسية الجنوبية وله ستة إخوة. وقد ورث من هذه الأسرة حب الحياة والموهبة الساطعة إلا أنه لم يرث فلساً واحداً من النقود. وأصبح بسرعة خيالية، إنساناً بحرف كبير بفضل دأبه الذاتي إضافة إلى موهبته الفطرية الأخاذة .

وما أن استقر به المقام في موسكو حتى أخذ ينشر المقالات والزوايا الصغيرة والفكاهية ثم انتسب إلى كلية الطب دون الانفصال عن عالم الأدب وصار الطبيب الشاب يعالج المرضى ويبدع قصصاً قصيرة لنشرها بالاسم المستعار ( أنطوشا تشيخونته) وتتالت المسرحيات القصيرة الخفيفة (الفودفيل) ومنها(إيفانوف) عن(هاملت الروسي) الباحث عن مغزى الحياة و(السهب) وغيرهما من القصص والمسرحيات القصيرة.

لاقت قصة (العسل البري) نجاحاً منقطع النظير في عواصم أوروبا لاسيما على خشبة مسرح لينتلون بلندن. وفي عامه العشرين نشر(الصيد) و(كأبة) و(ترتيلة الموت). وفي تلك الفترة بدأ يشغل اهتمامه الشأن السياسي والاجتماعي.

وفي عام ١٨٨٣ نشر (فرحة) و(الكبش والأنسة) و(المغفلة) و(وفاة موظف) و(الصبي الشرير) و(البدين والنحيل) وغيرها. وفي عام ١٨٨٥ صدرت له (الدبلوماسي) و(المتمارضون) و(مع سبق الإصرار) و(المصيبة).

في عام ١٨٨٨ نال تشيخوف جائزة بوشكين لقاء مجموعته القصصية (العسق). وفي عام ١٨٨٩ يصاب بالسل فيسافر إلى منتجع يالطا حيث يشاهد هناك لهو الأثرياء وعبثهم وسخافاتهم. ونشر آنذاك قصة (حكاية مملّة) عن المتقنين الروس والتي رأى فيها توماس مان (قصة خارقة لم يشهد الأدب العالمي مثيلاً لها) .



وفجأة يقطع الكاتب روتين حياته فيترك الدار والمدينة ويشد الرحال عابراً روسيا كلها إلى ساخالين في الشرق الأقصى، حيث تقع سجون الأشغال الشاقة والنفي القيصري وحيث الأمطار الهائلة والصقيع والرياح الشديدة والقحط والحرائق والأنهار الخطرة. كانت ساخالين ضرورية له بصفته (فنان الحياة) ليطلع، عن قرب على (جزيرة الأشغال الشاقة) وعلى الآلام والعذابات البشرية. والتقى ببعض السجناء والمنفيين. وبعد هذه الرحلة صدر له كتاب وثائقي عنوانه (جزيرة ساخالين) ضمنه مشاهدات حقيقية ومرة للغاية.

شارك تشيخوف مشاركة نشيطة في الحياة الاجتماعية والإنسانية. ففي قرية ميليخوفو القريبة من موسكو، التي كانت تعيش فيها أسرته تم فتح دائرة بريد ومستوصفين كما بنى تشيخوف ثلاث مدارس بجوارها، وتابع، في الوقت ذاته، ممارسة مهنة الطب بالمجان. وفي أثناء انتشار وباء الكوليرا قدم تشيخوف خدماته وحيداً لمنطقة فيها ست وعشرون قرية وأربعة معامل ودير واحد وأسهم، بذلك في وضع حد لانتشار هذا الوباء الفتاك.

كتب تشيخوف في ميليخوفو أكثر من أربعين قصة ومسرحية منها «العنبر رقم ٦» و «الرهبان» و «البيت ذو العلية» الكئيب و «النورس» الشاعرى وأحدثت «النورس» انعطافاً هاماً في الحياة البشرية إذ تناولت مصائر البشر بذلك الاكتمال والبساطة والموسيقى مثلما هي الحال في الرواية. لقد تحدى تشيخوف الروتين المسرحي فتلقى ضربة مؤلمة إذ أخفقت النورس في عرضها الأول في بطرسبورغ إخفاقاً شديداً، «وما كان مني إلا أن طرت من بطرسبورغ كالقنبلة حسب قوانين الفيزياء...»

كانت الضربة غير متوقعة وقاسية في آن واحد وكان المرض قد تفاقم واضطره كي يغير مكان إقامته فأخذ يقضي وقته في القرم ويالطا بعيداً عن موسكو التي ازداد حنينه إليها. وبنى لنفسه بيتاً (الكوخ الأبيض) في يالطا وزرع حديقته بيديه وصار يستقبل رجالات الثقافة والأدب والفن الذين كانوا يزورونه دوماً مثل تولستوي وغوركي وبونين ورحمانينوف وشاليابين وكتب في تلك الفترة «الشقيقات الثلاث» و «السيدة والكلب» وغيرهما.



وفي عام ١٩٠٠ عرضت «الشقيقات الثلاث» على خشبة هذا المسرح وأخرجها ستانسلافسكي. كما أعاد في هذا المسرح عرض «النورس» وصار النورس رمزاً لا لمسرح موسكو الفني فحسب بل لمسارح عديدة في أوروبا. وفي هذا المسرح بالذات وجد سعادته الشخصية المتأخرة والصعبة إذ تزوج الفنانة المسرحية الشهيرة والرائعة اولغا كنيير.

لم يفقد تشيخوف روح المرح والفكاهة والاهتمام بالحياة والعناية بالبشر حتى في أشد حالات المرض، وبعد تفاقم الانتفاخ في الرئتين سافر إلى ألمانيا للمعالجة وبرفقته شريكة عمره في السنوات الأخيرة ولكن دون أمل.

لقد فارق تشيخوف الحياة على الطريقة التشيخوفية بكرامة وبساطة إذ استيقظ في بداية الليل ولأول مرة في حياته، وطلب استدعاء الطبيب.. وعندما وصل الطبيب قال له تشيخوف: (إنني أموت) ثم رفع كأساً من الشمبانيا وأدار وجهه نحو اولغا وابتسم ابتسامته العجيبة، قائلاً: لم أشرب، منذ فترة طويلة، الشمبانيا. وشرب الكأس كلها وتمدد بهدوء على جنبه الأيسر وسرعان ما صمت إلى الأبد بعد أن عاش أربعة وأربعين عاماً وترك تراثاً خالداً في ثلاثين مجلداً بحيث صار كما قال غوركي (ضرورياً لكل إنسان بشكل عام).

وتعود العلاقة الوطيدة بين غوركي وتشيخوف إلى فترة بعيدة إذ حدث التقارب الأول بينهما في ساحة النضال المشترك ضد الأدب الانحطاطي وفي عام ١٩٠٢ كتب تشيخوف رسالة إلى أكاديمية العلوم طالباً فيها شطب لقب العضوية الفخرية عنه احتجاجاً على الرفض الامبراطوري لقبول مكسيم غوركي فيها. يقول غوركي: (تعود قوة موهبة تشيخوف الهائلة إلى أنه لم يخلق شيئاً كما لم يصور شيئاً لا وجود له في الحياة). هذا هو تشيخوف الطبيب والأديب والإنسان.

المترجم

## كتاب (حول تشيخوف) ومؤلفه

خلال الخمسين عاماً التي مرت على وفاة أنطون بافلوفيتش تشيخوف تكسب كمّ لا يستهان به من أدب الذكريات عن الكاتب إذ تحدث عنه معاصرون كبار وعاديون، أدباء وفنانون، ممثلون ومخرجون علماء وشخصيات اجتماعية، معارفه وأفراد الأسرة. وتتجلى شخصية تشيخوف النبيلة، الكاتب والإنسان في ذكريات مكسيم غوركي وفلاديمير كورولينكو وألكسندر كوبرين وإيفان بونين.

يحتل كتاب الشقيق الأصغر للكاتب، ميخائيل بافلوفيتش تشيخوف (حول تشيخوف) الصادر في عام ١٩٣٣، الذي صار قطعة بيبولوجرافية نادرة، يحتل موضعاً مميزاً في مجال أدب الذكريات الواسع. إنه ذكريات واحد من أقرب رفاق درب الكاتب الروسي العظيم. وقد أمضى المؤلف ثلاثة عقود في حالة من العشرة اليومية الوثيقة مع أنطون تشيخوف وأمام عيني ميخائيل بافلوفيتش تدفق عمله الأدبي وجرّت أحداث ولقاءات مشهودة.

وحسب كلمات أنطون تشيخوف لم يكن ميخائيل (شقيق شقيقه) فحسب بل كان أديباً، وذكرياته مكتوبة بصدق باهر وإخلاص ودفع وبلغة محادثة جيدة وبسيطة. وكانت الذكريات قادر على تبيان نمط الحياة التي صارت من الماضي ورسم بورتريه وإعادة بناء فن المشهد المسرحي الحي.

يكشف عنوان الكتاب بصورة موفقة للغاية مضمونه. نعم إنه قبل كل شيء، توصيف للوسط الذي عاش فيه أنطون تشيخوف. فهنا عشرات الأشخاص من الأهل ومن معارف أنطون بافلوفيتش ورفاق الطفولة واليافع والأقضية ومراكز المدن الصغيرة ومزارع الملاكين والقرى وكتاب ثمانينيات القرن التاسع عشر غير المشهورين وممثلي الأدب والفن الروسيين.

تحتل الأسرة التي قضى أنطون تشيخوف حياته في وسطها حيزاً صغيراً في ذكريات مؤلفين آخرين عن تشيخوف، إلا أن كتاب ميخائيل تشيخوف سدّ هذه الثغرة وهو يقدم لوحة واسعة عن حياة الأسرة التشيخوفية على امتداد عدة عقود. هذا ونلمس على صفحات الكتاب، وبدقة متناهية، صورة هذه الأسرة النادرة في تكاتفها وحبها للعمل وسيادة النزعة الديمقراطية العميقة والالتزام الودي. وقد تمكن مؤلف الكتاب من رسم نوع من البورتريه الجماعية للأسرة وتبيان التنوع في الشخوص المكونة.

إنها لهامة، على وجه الخصوص، ذكريات الجيل الأكبر من الأسرة التشيخوفية. فكاتب الذكريات في كلامه على أمه، يفغينيا ياكوفوفنا يسجل (موهبتها الإنسانية) وحبها الدفاق وتألّمها تجاه ما ينتاب جميع المهانين والمضطهدين. ومن خلال مظهر الوالد الصارم والحازم بافل ايغورفيتش يرى ميخائيل تشيخوف الألغاز المخفية عميقاً للطبيعة الفنية. فالمؤلف يرسم، باحترام صادق وتعاطف عميق، بورتريه العم ميتروفان ايغورفيتش الذي اعتبره أنطون تشيخوف (مربيّه الأول).

ثم أنطون تشيخوف تثنياً رفيعاً (الموهبة الجيدة والقوية) لأخيه نيقولا يافلوفيتش. وتتضمن ذكريات ميخائيل تشيخوف معلومات قيمة عن هذا الفنان الذي فارق الحياة في وقت مبكر مع الأسف الشديد. هذا ويلقي الكتاب الضوء على بعض حقائق سيرة حياة شقيقة الكاتب ماريا يافلوفنا التي وهبت حياتها لخدمة الأسرة، والشقيق ايفان يافلوفيتش الذي ولج طريق العمل معلماً شعبياً منذ شبابه.

تشهد الذكريات أن العائلة التشيخوفية كان في صفوفها موهوبون على درجة رفيعة ومنهم خال الكاتب. ي. يا. ماروزوف (فنان بروحه)، وعازف على جميع الآلات ورسام ومتمكن من عدة لغات). لم يكن مصير الكثيرين منهم على ما يرام. فمثلاً ابن عم الكاتب واسمه ميخائيل ميخائيلوفيتش الذي كان على مودة قريبة من أنطون تشيخوف في سنوات الشباب قد عمل، طوال حياته في عنبر تعود ملكيته لتاجر موسكوفي ثري، من المعروف أن الكثيرين

من الكتاب الروس الكبار تأثروا في سنوات الطفولة والفتوة بموهوبين من أفراد الشعب. يكفي تذكر أرينا روديونوفنا مربية بوشكين. وإنها لثمينة للغاية معلومة كاتب الذكريات عن مربية العائلة التشيخوفية آغا ألكسندروفنا كومسكايا، فلاحه من الأبقان سابقاً وتتمتع بموهبة السرد والقص. ويمكن الاعتقاد أن قصص المربية الشعرية أثارت لدى أنطون تشيخوف في سنوات مبكرة، الاهتمام بحياة الشعب.

تشهد الذكريات أن أنطون بافلوفيتش تشيخوف قد صار في بداية الثمانينات الرئيس المعترف به للعائلة التشيخوفية ونحن نرى كيف تجذب العائلة التشيخوفية أشخاصاً كثيرين إليها. ففي سنوات شباب أنطون تشيخوف كانوا في الأساس من الشاب، الموسيقيين والفنانين والكتاب المبتدئين والطلبة. وكان في عدادهم ممثلو الانتيليجنسيا الديمقراطية. وإنّ ذكريات ميخائيل تشيخوف ذات قيمة عن لقاءات الرفاق عند الطبيب المحلي ب.آ. أرخانغلسك التي كان يحضرها أنطون تشيخوف أيضاً. وهنا يحكي كاتب الذكريات كيف (كانوا يتحدثون كثيراً عن شيدرين وينشدون الأغاني الشعبية وكانوا يلفظون اسم نيكرا سوف بتلذذ واستمتاع).

تحظى صفحات الكتاب المكرسة للمجلات الهزلية في ثمانينات القرن التاسع عشر التي عمل فيها أنطون تشيخوف بأهمية كبيرة. وقد أبدع مؤلف الكتاب متحفاً لبورتريهات رؤساء تحرير ومحربي مجلات «المشاهد» و«المنبه» و«موسكو» و«الصرصور» و«نور» و«ظلال». وتحفظ ذاكرتنا خاصة الصحفي الموهوب ف.آ. غيلياروف والشاعر المشهور في ثمانينات القرن التاسع عشر ل.ي. بالمين. تسمح لنا ذكريات ميخائيل تشيخوف أن نلاحظ أنه بقدر ما كان الكاتب الإبداعي يتطور كانت دائرة صلاته الأدبية وعلاقات الصداقة تتوسع بدءاً من محرري «اليغسوب» و«الشظايا» وصولاً إلى كبار ممثلي الأدب والفن الروسيين. يمكننا التعرف إلى عدد من اللقاءات فقط من خلال ذكريات شقيق الكاتب الأصغر. فالكتاب يتضمن تفاصيل ثمينة بالنسبة إلينا عن لقاءات أنطون تشيخوف مع معاصريه. وهكذا ترى فلاديمير كورولينكو في لحظة التعارف بتشخوف، وديم تري غريغورفيتش (كاتب

روسي ١٨٢٢-١٩٠٠- المترجم) في مضافة الدار في سادوفايا- كودرينسكايا، وألكسي بليشيف (كاتب روسي ١٨٢٥- ١٨٩٣- المترجم) الذي تحدث عن الطقس المرعب لإعدام البتراشييين، ونيقولا لي سكوف (كاتب روسي ١٨٣١-١٨٩٥- المترجم) الذي قدم نصائحه إلى الشاب تشيخوف. وأمانا، أيضاً أسماء مثل نيقولا لي كين (كاتب روسي هزلي ١٨٤١- ١٩٠٦- المترجم)، و.ي. ل ليونتييف- شفلوف، وكازيمير بارانتسيفيتش (كاتب روسي ١٨٥١-١٩٢٧)، و.ي.م شافروف، وايفغاتي بوتا بينكو (كاتب روسي ١٨٥٦-١٩٢٩) و.ت.ل. شيكين- كوبرنيك وغيرهم.

تشهد الذكريات على صلات تشيخوف الشخصية المتينة مع ممثلي الفن الروسي، التقدميين وبخاصة الشخصيات المسرحية البارزة. ويتحدث ميخائيل تشيخوف عن الزيارة التي قام بها الممثل الروسي الكبير فلاديمير دافيدوف الذي كان أول من ثمن موهبة تشيخوف ككاتب مسرحي وأدى دور ايفانوف في المسرحية التي تحمل الاسم ذاته وتم إخراجها في موسكو وبطرسبورغ في نهاية ثمانينات القرن التاسع عشر، والممثل والمخرج الشهير في مسرح (المالي) ألكسندر لينسكي، والممثل البارز في مسرح ألكسندر نيسكي: ب.م. سفابودني. ويتحدث الكتاب عن صداقة تشيخوف الودودة مع شاعر الطبيعة الروسية، اسحاق ليفيتان. وأخيراً أطلعنا كاتب الذكريات على مشهد من أكثر مشاهد السيرة الذاتية المؤثرة لأنطون تشيخوف وهي لقاءه مع الموسيقي المحبوب بيوتر تشايكوفسكي .

لا تعود أهمية ذكريات ميخائيل تشيخوف إلى أن المؤلف يتحدث عن البشر الذين يتمتعون بالشهرة الواسعة فحسب بل أيضاً إلى أنه يحكي عن أشخاص غير معروفين ويحتلون، أحياناً مركزاً مرموقاً في سيرة الكاتب الذاتية. مثال ذلك الصديق مستشار تشيخوف والكاتب المبتدئ ف.ف. بابودوغلو والمعجب بإبداع الأخوين أنطون ونيقولا ي واسمه ب.ن أستروفسكي. وأولى مريضات تشيخوف الأخوات يانوفا، وسكان بابكين كيسيلوفا، و«صديق العائلة التشيخوفية الأبدي» آ.ي. ايفانينكو، ومن معارف الأسرة المقربات ل.س. ميزينوفا وغيرهم كثير.

لا يكتفي كتاب (حول تشيخوف) بإغناء تصوراتنا عن الوسط الذي عاش فيه الكاتب فحسب بل يشكل أيضاً مصدراً لمعلومات ثمينة للغاية عن الأماكن المرتبطة بحياة أنطون تشيخوف وإبداعه. من المعروف أن هذا الأمر يعمل على تقريب صورة تشيخوف الحية منا إلى أبعد الحدود. فهناك صلة داخلية عميقة بين الإنسان والمكان. ونحن نذكر كلمات غوته المأثورة: (من يريد أن يفهم الكاتب عليه أن يذهب إلى وطنه) .

نجد في ذكريات ميخائيل تشيخوف - تاغانروغ فترة طفولة الكاتب وشبابه وموسكو التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً سيرة حياة أنطون تشيخوف ونشاطه الإبداعي إلى أبعد الحدود. هذا ويرسم المؤلف شق الكاتب الموسكوفية العديدة بدءاً من القبو في غراتشيفكا حيث (تفوح الرطوبة وكان يمكن رؤية فقط أكعاب المارة عبر النافذة تحت السقف). ويعير ميخائيل تشيخوف اهتماماً كبيراً للدار الشهيرة في سادوفايا كودرينسكايا حيث كان يؤمه عدد كبير من الأشخاص الرائعين وهنا نال أنطون تشيخوف المجد للمرة الأولى (إنه الآن دار - متحف أنطون تشيخوف) .

تتقل الذكريات صورة حياة أنطون تشيخوف وأسرته في ضواحي موسكو (فوسكريسنيسك وبابكينو) وفي بوغيموف في أوكرانيا. وقد أدى وجود الكاتب في هذه الأماكن إلى إغنائه وتعرفه ببشر من مختلف الفئات الاجتماعية والتشبع بالانطباعات عن الطبيعة الخلابة . ويشير الكتاب إلى ميلخوفو حيث حقق أنطون تشيخوف رغبته المنشودة (العيش وسط الناس). من كل هذا وذاك مما يرويه كاتب الذكريات تشمخ صورة أنطون تشيخوف العزيرة على قلوبنا. ولعله لا وجود لذكريات أخرى ترينا تشيخوف على امتداد سنوات حياته. فنحن نرى، على التوالي، أنطون تشيخوف الطفل التلميذ والطالب والطبيب الشاب والأديب المبتدئ والأديب الناضج الذي كانت روسيا كلها تعرف اسمه. وشخصيته متعددة الجوانب كما نجدها في الذكريات: في التواصل مع المعاصرين وفي العمل وفي وسط أفراد الأسرة وفي أحضان الطبيعة.

لا تبرز أمامنا الصورة الملفقة لـ (مغني الاكفهرار المأزوم) تشيخوف حسبما صورّه نقاد كثيرون من زمن ما قبل الثورة. كلا فهو عاشق للحياة دوماً ومحب للبشر ويهوى العشرة ويثمن النكته وهو قادر على إثارة عدوى الضحك. وأنطون تشيخوف في كتاب شقيقه الأصغر (روسي، روسي جداً) وقد قدم ليف تليستوي هذا التوصيف لتشيخوف ونقله مكسيم غوركي. وفي حياة الكاتب نتلمس البساطة النبيلة والرفق العميق وحسن النية تجاه البشر. إنه فنان الكلمة المرتبطة عضوياً بالشعب والموسوم بمشاعر الواجب الأخلاقي والمسؤولية أمام قرائه. كان هذا العمل تسويغاً ومغزى للحياة بالنسبة إلى أنطون تشيخوف. ويقدم الكتاب الإمكانيات لتصوير أنطون تشيخوف منهمكاً في العمل في مكتب داركورنييف وفي بابكينو الشاعرية وفي دار بوغيموف وفي مزرعة ميليخوفو. يركز ميخائيل تشيخوف في كتابه على موضوع تجسيد الوسط المحيط في إبداع الكاتب. ويكشف كاتب الذكريات كيف تشرب إبداع أنطون تشيخوف بانطباعات الواقع، الحية. وهكذا يؤكد ميخائيل تشيخوف أن الإقامة في فوسكريسنيك أعطت الكاتب موضوعات وشخصيات «الهارب» و«الجراحة» و«امتحان الترقية». وانعكست انطباعات المدينة في قصص «الجسد الميت» و«أثناء التشريح» و«بابكينو في قصص» «السماك النهري» و«ابنة ألبون» و«قضية عديمة الشفقة» و«الساحرة» وقصص ميليخوفو «بخصوص الخدمة» و«القرويون» و«في الوادي». ويشير ميخائيل تشيخوف إلى الأصول الأولى لبعض أبطال مؤلفات الكاتب: ايفان تشيخوف - بطل قصة «ايفان ماتفييتش» وأولاد مايوفسكي - (الأولاد) وقائد الأوركسترا شيسنكوفيتش - «فضيحتان»، وايفانينكو - ايبوخودوف «بستان الكرز» وغيرها.

كان أنطون تشيخوف يسعى بنشاط إلى المشاركة في الحياة وأن يكون مفيداً وضرورياً للبشر. وكان نشاطه الطبي العلاجي، من حيث الجوهر، شكلاً فريداً في العمل الاجتماعي. وكانت ماثرة الكاتب تكمن في السفر إلى جزيرة ساخالين وهي نتيجة لتطور الوعي المدني لدى تشيخوف. وفي السنوات التي قضاها في ميليخوفو استطاع أنطون تشيخوف التوفيق، عضوياً،



بين الجهد الأدبي الهائل والنشاط الاجتماعي المتعدد الجوانب. وتتضمن ذكريات ميخائيل تشيخوف معلومات قيمة عن هذا النشاط أيضاً.

تدحض الذكريات دحضاً كاملاً التصور الشائع والباطل، في حينه، عن تشيخوف - الفتى بأنه لخرة أخرج واهن برأس كبير. ويبين ميخائيل تشيخوف بصدق حيوية تشيخوف الطالب وطباعه ومزاجه وحذاقته الإبداعية التي لا تنتضب وفكاهاته. ويشهد مؤلف الكتاب أن لدى أنطون تشيخوف تبنت بواكير الفنان حتى في فترة اليافع ويسجل الاهتمام المبكر بمسرح كاتب المستقبل المسرحي والارتجالات المسرحية الموهوبة التي كان يؤديها الطالب أنطون تشيخوف ومن حيث السيرة الذاتية ثمة معلومات قيمة عن أولى تجارب تشيخوف الأدبية التي لم تصل إلينا.

بالطبع، ينبغي عند قراءة كتاب (حول تشيخوف) تذكر أن هذا الكتاب ليس بالسيرة الذاتية لأنطون تشيخوف بل ذكريات . وإنه لمفهوم كلياً أن الكتاب لم يتناول الكثير مما هو جوهري وهام في حياة تشيخوف كما أن نقاطاً كثيرة مر عليها ميخائيل تشيخوف مرور الكرام . وفي هذا الكتاب غير الكبير نسبياً لم يستطع ميخائيل تشيخوف ولم يرغب الإحاطة بكل ذكرياته عن حياة الكاتب. وبعد سنة من صدور الكتاب كتب ميخائيل تشيخوف، بصورة مجازية إلى ابنه عن (حقائب مملوءة بذكريات غير منشورة ولا مستخدمة) والتي حفظتها ذاكرته. يمكن فقط التأسف على أن ميخائيل تشيخوف لم يستطع إيصال عمله إلى النهاية ويجعل المواد المتكدسة في متناول الجميع.

عند قراءة ذكريات ميخائيل تشيخوف يرسخ انطباع لدى القارئ عن هذا الكتاب غير الكبير بحجمه بأن الذكريات مشبعة بالوقائع والأحداث والبشر. حدد ليف تليستوي، ذات مرة، قيمة المؤلف الأدبي من خلال ما إذا كان بالمستطاع إعادة قراءته. فأنت تغلق كتاب تشيخوف وتود البدء بقراءته ثانية كي تلج مرة ثانية الحياة التي أبدعها كاتب الذكريات بهذا الصدق والجلاء والسطوع.

عادة ما يحس القارئ إلى جانب ما يرويهِ المؤلف، الفردية الحية لكاتب الذكريات. وتضع هذه الشخصية، أحياناً بصمتها الذاتية على المضمون بل حتى إنها تزيح موضوع القص الأساسي. تمكن مؤلف كتاب «حول تشيخوف» من اكتشاف العلاقة السليمة بين كاتب الذكريات المشارك في الأحداث المصورة وموضوعه. يقول ميخائيل تشيخوف عن ذاته فقط هناك حيث تقتضي الضرورة ذلك وإذا كان يمكن العتاب فهو فقط بسبب الشح في السرد عن الذات. وعلى فكرة، يثير نشاط مؤلف الكتاب اهتماماً كبيراً بالنسبة إلى القارئ<sup>(\*)</sup>.

ولد ميخائيل تشيخوف في ٦ تشرين الأول عام ١٨٦٥ في تاغانروغ. وأمضى الطفولة والصبا في وضع مماثل لسنوات الفتوة عند أنطون تشيخوف. ورسم ميخائيل هذه السنوات في هذا الكتاب. هذا وقد توضحت طبيعة تشيخوف الأصغر في الصراع مع ظروف الحياة غير الملائمة. واضطر ميخائيل تشيخوف إلى العمل المجهد واعتاد منذ الصغر أن يكون مستقلاً كما أنه قدّر التعليم في حياة الإنسان تقديراً عالياً. وبالمناسبة عندما انتقل من تاغانروغ الريفية إلى موسكو كان في الحادية عشرة من العمر و(حدد هو نفسه ما عليه القيام به) إذ انتسب إلى المدرسة عندما دامه خطر العمل في عنبر أحد التجار.

انتسب ميخائيل تشيخوف في عام ١٨٨٥ إلى جامعة موسكو التي كان أنطون تشيخوف قد أنهاها في عام ١٨٨٤. لم يكن لدى ميخائيل ميل نحو دراسة الطب ولا العلوم الدقيقة إذ اختار كلية الحقوق. ينبغي الافتراض أن نشاط الحقوقيين الروس البارزين من أمثال آ.ف. كوني وف.د. سباسوفيتش وس.آ. أندريفسكي قد ألهمه وشجعه على الانتساب إلى كلية الحقوق.

كانت جامعة موسكو العريقة مكاناً مقدساً تقريباً بالنسبة إلى ميخائيل وإلى الجزء الأفضل من شببية جيله، ونلاحظ أنه في وقت لاحق وفي رده على

---

(\*) بهذه المناسبة أعبر عن الشكر القلبي لسيرغي تشيخوف ويفغينيا تشيخوفا الذين قدما لي الإمكانات للعمل على مواد الأرشيف العائلي وتبادل الذكريات عن الوالد.

سؤال أحد معارفه ما هي الجامعة التي يفضل الانتساب إليها، كتب ميخائيل تشيخوف: (...بالتطبع، إلى جامعة موسكو لأنها حاملة التقاليد المتكدسة خلال قرنين وثقفت بين جدرانها ليرمنتوف وجرانوفسكي وسولوفيف ناهيك أنه يمكن، الآن، أيضاً رؤية مقاعد في قاعة اللسانيات محفورة عليها أسماء عائلات مثل: «جرانوفسكي ١٨٤٢»<sup>(\*)</sup>. بيد أن عصر الرجعية في ثمانينات القرن التاسع عشر سعى إلى خنق هذه التقاليد التقدمية).

درس ميخائيل تشيخوف، بوجدانية، في الجامعة منتقلاً، بنجاح من سنة دراسية إلى أخرى وكان يستمتع، بولع، إلى محاضرات المؤرخ الشهير ف.و.كلوتشيفسكي. وفي عام ١٨٨٩ كتب بحثاً ناجحاً (عن اتفاقية أليغ وايغور وسفيتاسلاف مع اليونانيين).

لم تستطع المدرسة الكلاسيكية البيروقراطية في سبعينيات - ثمانينات القرن التاسع عشر والجامعة بنظامها البوليسي إرضاء نفسية الفتى. ومن حيث الجوهر صارت الأسرة بزعامة الأخ الأكبر (أنطون تشيخوف) والبشر الذين كانوا يتصادفون في الدار هم الجامعة الحقيقية لميخائيل تشيخوف.

كان ميخائيل تشيخوف أصغر من شقيقه أنطون تشيخوف بخمس سنوات إلا أنه تأثر به بصورة مبكرة إذ سعى أنطون تشيخوف بث مشاعر الحب لدى الأخ الأصغر تجاه القراءة وكان يقدم النصائح بصدد الكتب التي ينبغي التعرف إليها. ففي عام ١٨٧٩ كتب ميخائيل (الصف الثالث ابن الرابعة عشرة من العمر) إلى أنطون (الصف الثامن) رسالة سمي فيها نفسه (الأخ النكرة والتافه) أجابه أنطون تشيخوف بصورة مقتضية وغنية بالمضمون: (يجب إدراك القيمة الذاتية وسط الناس). ونحن نلمس الآن العنصر الهام لعقيدة الكاتب الإبداعية. ويمكن تصور ذاك الانطباع الذي تركته هذه الكلمات في وعي المراهق السريع الإدراك والحساسية.

---

(\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى غيورغي ميتروفانوفيتش تشيخوف، ٢٦ حزيران ١٨٩٢، قسم مخطوطات تحف الدولة للآداب.

عاش ميخائيل تشيخوف جنباً إلى جنب مع شقيقه الأكبر وكان في صورة كل ما كان يقوم به أنطون تشيخوف وما كان يقوله ومع من كان يلتقي. ورأى الفتى في شخص أنطون تشيخوف المثال اليومي للعمل المتفاني والموقف اللطيف من البشر والكره تجاه كل كذب وعنف. ولن نكون مبالغين إذا قلنا إن أنطون تشيخوف كان المربي الرئيسي لشقيقه الأصغر.

ولج ميخائيل تشيخوف باب اهتمامات الشقيق الأدبية بكل نشاط الطبع الشبابي الحيوي. كان مساعداً سكرتيراً للكاتب. كان يبيض أعمال أنطون تشيخوف بخطه الجميل والدقيق الواضح. وكان يبيض بعضها غير مرة ويزور هيئات تحرير المجلات والجرائد كي يحصل على الأتعاب الخ. وقد انكب على تنفيذ كل شيء برغبة ومرح.

كان مثال الشقيق الأكبر وجو الدار التشيخوفية الابداعي قد أيقظ لدى ميخائيل تشيخوف الاهتمام بالأدب فبدأ الكتابة حتى عندما كان تلميذاً في الصف الثالث ونشر أشعاره في مجلة (نور وظلال) حيث كان يعمل نيقولاى وأنطون تشيخوف، وهنا أيضاً وباسم الفنان نيقولاى تشيخوف ظهرت أولى رسومات وأحجيات صور من إبداع طالب الثانوية الذي لم يكن له الحق بالتعاون في مجلة (للكتاب الناضجين) لاسيما هزلية.

ولكن، إلى درجة ما، تعود التجارب الأدبية الجدية إلى سنوات ميخائيل تشيخوف الطالبة عندما بدأ العمل في تحرير مجلات الأطفال (بعض هذه الأعمال حملت التوقيع المستعار «م.بوغيمسكي») ونشر ميخائيل تشيخوف عدداً من المقالات والقصص القصيرة في مجلات «استراحة الطفل» (سماها أنطون تشيخوف مازحاً «استراحة أطفال بوغيمسكي») و«صديق الأطفال» و«نبع» و«قراءة الأطفال». كان أنطون وميخائيل تشيخوف يتشاركان في حبهم للأطفال. ونحن نذكر كيف كان أنطون تشيخوف يصور عالم الطفل في أعماله بقوة فنية رفيعة.

كان الكثيرون من أبطال قصص م.بوغيمسكي من البشر المعذبين والبائسين المحرومين. وكتب ميخائيل تشيخوف عن عالم الحيوان بمحبة

كبيرة. وكان مولعاً برومانسية الرحلات إلى بلدان لم يرها في حياته. ففي قصة «في الشرق الأقصى» وفي «في المحيط» وصف لرحلة الطبيب الشاب سوية مع الشقيق طالب الثانوية إلى الصين وجزيرة تاهيتي (في المحيط الهادي). ويمكن من خلال حياة أحد الأبطال - الطبيب أناتولي يمكن التعرف إلى بعض صفات البورترية الحقيقي لأنطون تشيخوف.

وفي حديثه عن الرحلة إلى الأماكن التي لم يرها في حياته يرسم ميخائيل تشيخوف كيف يتذكر أبطاله في هونغ كونغ الغرائبية مدينتهم «موسكو البعيدة والعريضة». تفصيل صغير إلا أنه يتحدث عن الشيء الكثير. فهنا يتم التعبير عن موقف المؤلف من المدينة التي ترتبط بها حياة العائلة التشيخوفية إلى أبعد الحدود. وفي وقت لاحق ترتبط الفكرة الفنية بالواقع. وفي طريق العودة من ساخالين توقف في هونغ كونغ. وما إن عرف ميخائيل عن ذلك حتى كتب إلى أخيه الأكبر رسالة اختتمها بالكلمات التالية: «أودعك، أتمنى لك الصحة والسفر بحراً إلى تلك الأماكن التي أبحرت أنا إليها في أحلامي عندما كنت أكتب قصصاً للأطفال.... وعند ذلك تذكرني»<sup>(\*)</sup>.

بالطبع، تتضمن أعمال الطالب الكثير مما هو ساذج وناضج فنياً، إلا أن موهبة المؤلف جليلة فيها. وبالطبع، كان أنطون تشيخوف في صورة تجارب الأخ الأصغر الكتابية وآمن بقوته الأدبية. هذا ما تشهد عليه كلمات أنطون تشيخوف من رسالته بتاريخ ١٨٨٩: «يا ميخائيل! يمكنك كتابة رواية تاريخية لأجل الأطفال»<sup>(\*\*)</sup> (لم تتحقق الفكرة).

لم يكتب ميخائيل تشيخوف النشر فحسب بل كان يمتلك موهبة نظم الأشعار أيضاً وتم له التوفيق في نظم الأشعار الارتجالية المرحية. ولكن الأمر الأكثر جلاءً هو حيوية الأديب ونشاطه في الرسائل لاسيما في الرسائل - اليوميات التي تحكي عن حياة دار العائلة التشيخوفية اليومية.

---

(\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى أنطون تشيخوف، ٢٦ حزيران عام ١٨٩٠، أرشيف سيرغي تشيخوف.

(\*\*) أنطون تشيخوف، رسالة إلى ألكسي سوفورين، ٢٣ تشرين الأول ١٨٨٩، المؤلفات، المجلد ١٤/، ص ٤٢٢.

ذكر أنطون تشيخوف في رسالة إلى شقيقه ألكسندر: (اكتشف ميخائيل في ذاته موهبة أخرى إذ كان يرسم على الخزف بامتياز<sup>(\*)</sup>). وقد أبدع رسومات لتلك الأماكن التي كان يوجد فيها وحيث كانت تعيش العائلة التشيخوفية. وظلت محفوظة الرسوم المائية التي تصور الدار في سادوفايا كودرينسكايا وبابكينو ولوكا وتاغانروغ والقرم والقفقاس. وتشكل بعض هذه الرسومات وثائق ثمينة بالنسبة إلى سيرة حياة أنطون تشيخوف وأخيراً كان ميخائيل تشيخوف موسيقياً بالفطرة إذ كان يعزف على البيانو.

كان ميخائيل تشيخوف فناناً بالفطرة. بعد إنهاء الدراسة الجامعية كان عليه الذهاب إلى عمل غريب عنه تماماً. فهذا الإنسان الذي نشأ في أوساط الانتيليجينسيا الديمقراطية التقدمية دحض منذ البداية إمكانية العمل في القضاء القيصري الذي كان يمنح مرتبات مادية سخية ويفتح الطريق لأجل الترقى في المنصب. وإن عدم الثقة بالمؤهلات الخطابية الذاتية والخوف من البقاء بلا مورد منتظم قد أعاقه من أن يلتحق بسلك المحاماة.

اضطر إلى العمل في وزارة المالية، ففي عام ١٨٩٠ تم تعيين ميخائيل تشيخوف القائم بأعمال مفتش الإتاوات في مدينة يفريموف وسرعان ما نقلوه إلى ألكسين في اوكا.

كان يحنّ إلى الأسرة التي انفصل عنها إلا أن الصلة الداخلية مع الأهل لاسيما مع الشقيق الأكبر لم تنقطع. كان ميخائيل تشيخوف يكتب له الرسائل المطولة ويتبادل فيها معه آراءه وخواجه. وكانت هذه الآراء لا تبعث على السرور والانشراح في معظمها.

ضجر ميخائيل تشيخوف من حياة المدن الصغيرة الضيقة التفكير والمنسية ومن مصالح سكانها التافهة حيث النائم وورق اللعب واحتساء المشروبات الروحية ناهيك أن عمل مفتش الإتاوات نفسه كان يثير لديه الإحساس باليأس.

---

(\*) أنطون تشيخوف، رسالة إلى ألكسي تشيخوف، ٢٢ شباط ١٨٨٧، المجلد ١٣/، ص ٢٨٤

وقد عانى ميخائيل تشيخوف هذا الإنسان الطيب موقف الشعب السلبي من الموظفين على مضض.

كتب ميخائيل تشيخوف: «تمضي السنة الثانية وأنا في الخدمة وكلما فكرت أكثر يزداد تشوشي أكثر.. لم أصادف لدى أي شخص التقيت به تلك الابتسامة الصادقة والروح المرحّة بل كان هناك الخوف بل حتى الخوف الخبيث والكريه. جميعهم ينظرون إلي كما ينظرون إلى عدو.... وهكذا يا أخي، أثور دون أن أعرف ما العمل، هل أقدم استقالتني؟ كيف أعيش؟.... وهكذا يا أخي العزيز سأقول لك وأنا أقسم بوجداني: حبذا لو أخلع السترة الرسمية والمرتبة السادسة وكل مراتب الخدمة كي أصبح معلماً في الثانوية للغة الروسية أو مسؤولاً عن تجارة الكتب في مكان ما ناء....»(\*)

من الصعب القول كيف توضع حياة ميخائيل تشيخوف اللاحقة فيما لو لم يرتبط بصورة غير متوقعة مع عائلته بعد أن ارتحل في عام ١٨٩٢ من موسكو إلى ضيعة ميليخوفو. وقد تمكن ميخائيل تشيخوف من الانتقال إلى سربوخوف وإن ميليخوفو الواقعة في قضاء سربوخوف صارت إحدى مراكز نشاط مفتش الضرائب. وفي أوقات الفراغ كان يقضي الوقت دون أي عمل في أشهر الصيف. وهذا ما أثار فيه اهتمامات جديدة إذ صار ميخائيل تشيخوف المنظم المعترف به لمزرعة ميليخوفو. وكتب أنطون تشيخوف: «يتصرف ميخائيل ويدير الشؤون بشكل ممتاز. ولولاه لما استطعت عمل شيء»(\*\*).

لم يهمل ميخائيل تشيخوف العمل الأدبي إذ تعلم الانكليزية دون معلم. وفي عام ١٨٩١ نشر في «بشير الآداب الأجنبية» ترجمة له لقصة وايد «تموز الماطر» ولكن عمله الروائي لم يصبح أول كتاب لميخائيل تشيخوف

---

(\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى أنطون تشيخوف ١٠ كانون الثاني ١٨٩٢، أرشيف س.م. تشيخوف.

(\*\*) أنطون تشيخوف، رسالة إلى آ.ي. سماغين، ١٣ أيار ١٨٩٢ المؤلفات الكاملة، المجلد



حسبما كان متوقعاً بل قاموساً زراعياً وعنوان طبعته الثانية «الدغل الكامل» الصادرة في عام ١٩٠٧. وضم القاموس دائرة واسعة من مسائل علم زراعة الحقول والبستنة وتربية الماشية ونصائح بخصوص التدبير المنزلي.

بدا أن حياة ميخائيل تشيخوف صارت غنية إلا أنه حدث في عام ١٨٩٤ انعطاف في حياته إذ انتقل إلى اوغربيتش ولكن لم يستقر هناك. كان يكره الخدمة(\*) حسبما كتب أنطون تشيخوف. ولكن الانتقال إلى هناك وعدم الاستقرار إنما يعود، حسب الرواية العائلية إلى أن ميخائيل تشيخوف الذي كان يقوم بزيارة إلى موظف كبير في القضاء رفض رفع نخب صحة القيصر ألكسندر الثالث مما تسبب له بمنغصات جدية منها نقله إلى مدينة أخرى نائية عن سيربوخوف.

بدأت اوغليتش بالمقارنة مع سيربوخوف موقعاً نائياً ومرعياً بالنسبة إلى ميخائيل تشيخوف. وعندما عرف الوسط الذي سيعيش فيه (يفريموفوف وألكسينوف) شعر أنه لن يستطع الانغلاق في وسط ضيق الأفق والتفكير. وقد سعى إلى إيجاد عمل ثقافي يملأ فراغه. وها هو مفتش الضرائب يصبح مخرجاً وممثلاً وفنان ديكور في فرقة هواة مسرحية وهو نفسه يكتب المسرحيات.

وعلى أساس الاهتمامات المسرحية المشتركة يتعرف ميخائيل تشيخوف في عام ١٨٩٦ بأولغا غيرمانوفنا فلاديكينا التي كانت تعمل مربية أولاد في دار صاحب مصنع محلي. تولع ميخائيل بهذه الفتاة وسرعان ما تزوج بها. جرت مراسيم العرس في ميلخوفو في جو بهيج وفرح. وكان أنطون تشيخوف أبا العروس الروحي التقليدي.

في عام ١٨٩٨ تم تعيين ميخائيل تشيخوف في إدارة مالية ياروسلاف. وقد أعطى الانتقال إلى مركز المحافظة بمسرحها الأقدم في روسيا والذي كان يمثل على خشبته خيرة ممثلي ذاك الزمن، أعطى غذاءً جديداً لاهتمامات

---

(\*) أنطون تشيخوف، رسالة إلى ألكسي سوفورين ١٦ شباط ١٨٩٤، المؤلفات الكاملة، المجلد ١٦/، ص ١٢٤.

وميول ميخائيل تشيخوف الإبداعية. وصار زائراً دائماً للمسرح وناقداً مسرحياً. وظهرت مقالات ميخائيل تشيخوف وآراءه الانتقادية في الصحافة المحلية، بعدها في مجلة العاصمة «المسرح والفن». شجع أنطون تشيخوف عمل شقيقه في المجلة الأدبية الجديدة: «إذا كنت تكتب المقالات النقدية (توقيع تشبيه) فأنا أهنئك، فهي لا بأس بها»<sup>(\*)</sup>

في ربيع عام ١٨٩٨ عندما عاد أنطون تشيخوف إلى الوطن بعد فترة علاج مطولة في نيس، كتب ميخائيل إلى شقيقه الأكبر: «يا أنطون، عزيزي، أهنئك بسلامة الوصول... كم كان بودي أن أطيّر الآن إلى ميلخوفو كي ألتقي بك ونتحدث سوية... بسرور كبير أتخيلك الآن في ميلخوفو على أرضية التفاح والكرز الناضجين وبجانب الخزامى والورود. ومن جديد تبدأ عملك الكبير بمعالجة المرضى وسوف ترى بأم العين نتائج جهدك - إنها السعادة ما بعدها سعادة وهل كان بمستطاعي أن أحلم بها»<sup>(\*\*)</sup> فهذا مع الرقة يبرز عدم الرضا العميق من العمل.

سعى ميخائيل تشيخوف بقدر المستطاع إلى التخفيف من وضع دافعي الضرائب المرتبطين به. وفي عدد من الحالات كان يقف إلى جانب العقاب الشديد للمخالفين. كان ميخائيل في عيون الموظفين شخصاً عجبياً غير عادي إطلاقاً. وكانوا يسعون إلى تلافيه بكل الوسائل. وفي شباط عام ١٩٠١ أعلم ميخائيل شقيقه بأنهم يقترحون عليه الاستقالة أو الانتقال إلى مدينة أخرى لأنه (لا يتواصل مع الموظفين ويعبر عن عداوته لهم)<sup>(\*\*\*)</sup>. تقرر الاختيار: ترك ميخائيل تشيخوف العمل نهائياً في وزارة المالية وانتقل إلى بطرسبورغ بناءً على نصيحة أنطون تشيخوف.

---

(\*) رسالة أنطون إلى ميخائيل، ٣ كانون أول ١٨٩٩، المؤلفات الكاملة، المجلد ١٨/، ص ٢٧٥.  
(\*\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى أنطون تشيخوف، ٣ كانون أول ١٨٩٩، أرشيف متحف أنطون تشيخوف في ميلخوفو.

(\*\*\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى تشيخوف، ٢٨ شباط ١٩٠١، أرشيف س.م. تشيخوف.

اضطر هذا الإنسان ابن السادسة والثلاثين من العمر إلى البدء من نقطة الصفر من حيث الجوهر. وهو إذ أدرك أن الأدب لا يزال غير قادر على منح العائلة المتنامية أساساً مادياً ثابتاً (في ياروسلاف صار عند ميخائيل تشيخوف ابنة وابن) التحق بعمل جديد هو رئيس تجارة الكتب في الخطوط الحديدية بالتعاقد مع سوفورين. ومنحته هذه الخدمة وقتاً كافياً للعمل الأدبي، وفي عام ١٩٠٠ ظهرت له عدة قصص في جريدة «الأزمة الحديثة».

كان غريباً على ميخائيل تشيخوف اتجاه هذه الجريدة الرجعية ورأى أنه من الممكن أن ينشر فيها أعماله متذكراً، على ما يبدو، تعاون أنطون تشيخوف في «الأزمة الحديثة». بيد أن هذا التعاون قد توقف منذ فترة بعيدة، وبعد قضية دريفوس تحدد نهائياً الانقطاع أيضاً في علاقات أنطون تشيخوف الشخصية مع سوفورين، ففي رسائله (أنطون تشيخوف) إلى الشقيق الأصغر حذره من التقارب مع سوفورين و«الأزمة الحديثة». وكان التعرف عن قرب بوضع الأمور قد كشف لميخائيل تشيخوف الوجه القبيح لمحرري «الأزمة الحديثة» الذين وصفهم لاحقاً بكلمتين: «معرض وحوش».

وفي الرسالة الموجهة إلى أنطون تشيخوف بتاريخ ١٦ حزيران ١٩٠٢ يعبر ميخائيل تشيخوف عن موقفه السلبي للغاية من هذه الجريدة الشوفينية: «... في زاوية آرتيل حيث كانت تقع رئاسة تحرير «الأزمة الحديثة» ينظرون نظرة الشك والارتياب إلى أي فكر جديد مهما كان بسيطاً والقلم الأزرق يروح يمناً ويسرة مفصلاً في شرح النزعة القومية والأصالة يومياً تقريباً بما يشعر بالملل... فهم يعرفون الرجال القرويين ويحكمونهم وفقاً للمزارع والقصور، وفي الآن ذاته يقولون عن رجالك أنهم ليسوا رجالاً. عندما أقول إنني أعرف، جزئياً، القروي الروسي لأنني عشت في القرية وخدمت وشاهدت كيف يبتسمون بتسامح» (\*)

---

(\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى أنطون تشيخوف، ١٨ حزيران ١٩٠٢، أرشيف س.م. تشيخوف.

في سعيه إلى التخلص من العمل عند سوفورين يحاول ميخائيل تشيخوف إصدار مجلته «المكتبة الأوروبية» إلا أن نقص السيولة النقدية أجبره على وقف الطبع في العدد الأول وفي بداية عام ١٩٠٠ تكدست لدى ميخائيل تشيخوف مجموعة من القصص كافية لإصدار كتابين بأعماله الفنية، وفي عام ١٩٠٤ صدرت مجموعته «مقالات وقصص» كما صدرت طبعة منفصلة لقصة «الجرب النسائي الأزرق» وفي عام ١٩٠٥ القصة الطويلة «اليتامى» وفي عام ١٩١٢ ظهرت مجموعة قصصية بعنوان «المزمار».

في عام ١٩٠٧ صدرت «مقالات وقصص» لميخائيل تشيخوف ونالت جائزة بوشكين لدى أكاديمية العلوم وكان تقريظ آ.ف.كوني الأكاديمي المعروف هو أفضل وصف لكتاب ميخائيل تشيخوف الأساسي. ففي تقريظه المنشور في عام ١٩٠٧ رأى الحقوقي والكاتب الروسي الفذ فرادة إبداع ميخائيل تشيخوف في موقفه الحيوي والنشيط من الحياة وفي تفاؤله وحماسة الصراع مع الظروف التي تقهر البشر وتضطهدهم. يقول كوني: الجملة التورغينيفية (نحن سنقاتل مرة أخرى - اللعنة) (كثيراً ما نسمعها في قصصه). ويسجل الناقد صدق تصوير الواقع والإخلاص العميق لدى المؤلف. ويختتم الناقد كلامه: (يفوح من كتاب تشيخوف الإيمان النشيط والمشاعر النقية والقدرة على رؤية لعبة الظروف الممنوحة تضحية للطبيعة الحيوانية)<sup>(\*)</sup>. ولنتذكر أن كل هذا الرأي التقريظي قد ظهر في عصر الرجعية الفظيعة عندما ابتعد كتاب كثيرون عن تقاليد الفن الروسي، التقديمية الإنسانية.

ترك ميخائيل تشيخوف العمل في تجارة الكتب وأصدر خلال سنوات ١٩٠٧ - ١٩١٦ المجلة المصورة: «الطفولة الذهبية» وترأس تحريرها. وقد صدرت مرتين في الشهر. وخلال عشر سنوات نشر فيها تحت أسماء مستعارة مختلفة عدة مئات من القصص القصيرة والطويلة والمقالات والأشعار. هذا وينبغي التعجب من جلد ميخائيل تشيخوف وتحمله وصموده وتحايله، لاسيما في الفترة الأولى وبأدنى حد من السيولة النقدية.

---

(\*) (المنح السابع عشر لجائزة بوشكين)، ١٩٠٧، مجموعة قسم اللغة الروسية واللسانيات لدى أكاديمية العلوم، المجلد ٣٤/، العدد ٥/.

أعمال ميخائيل تشيخوف المطبوعة في «الطفولة الذهبية» مفعمة بالتعاطف الحار مع (المذلين والمهانين) وتشغل قصص الطبيعة والحيوان مكاناً كبيراً في المجلة. وبصفته رئيساً للتحريير أضفى أهمية كبيرة على غرس مشاعر الحب لدى قرائه الصغار تجاه النبات والحيوان.

وفي عام ١٩٠٨ عندما صار وضع الأسرة المادي صعباً للغاية أصبح ميخائيل تشيخوف يدرّس اللغة الروسية والتاريخ والأدب الأوروبي الغربي في مدرستين ثانويتين للبنات. وقد ساعد سعة الاطلاع وموهبة التدريس والاهتمام بالشباب، ساعدت ميخائيل تشيخوف على تخطي العقبات في عمله الجديد.

اتسع النشاط الإبداعي المتنوع لدى ميخائيل تشيخوف، بشكل خاص، بعد ثورة أكتوبر. ففي النصف الأول من العشرينات عمل في موسكو نائباً لرئيس قسم تجارة الكتب بعدها في القسم الموسيقي لدى دار نشر الدولة. وأخذت تصدر كتيبات ميخائيل تشيخوف تباعاً (ظهرت كتب الأطفال من تأليف ميخائيل تشيخوف بالاسم المستعار ك. ترييلوف وس. فيرشينين). وفي أعوام ١٩٢٥ - ١٩٢٧ رأت النور عشرة كتب من ترجماته عن اللغتين الإفرنسية والإنكليزية ( مؤلفات جان دي ايسم وكاروود وكينيدي). وفي عام ١٩٢٦ كتب مسرحية «الجلد الملون» («الكولونياليون») وفي عام ١٩٢٩ تم قبول ميخائيل تشيخوف عضواً في اتحاد كتاب روسيا.

بدءاً من عام ١٩٢٣ صار ميخائيل تشيخوف يسافر إلى يالطا بصورة دورية حيث كانت تتوفر في الدار التشيخوفية كل الشروط الضرورية لأجل العمل الأدبي. ولكن المرض الحاد (الذبحة الصدرية) أجبره في عام ١٩٢٦ على الاستقرار نهائياً في القرم. رغم مرضه تابع العمل وبجهد كبير. (أنا مشغول من الصباح حتى المساء أي طوال اليوم والوقت يتضاءل مثله مثل أعمدة التلغراف أمام نافذة الفاطرة. هذا ما كتبه ميخائيل تشيخوف إلى زوجته

في عام ١٩٣٠. ولو لم يكن لديّ في اللحظة الراهنة، عمل محدد فأنا أحاول الانشغال بعد تنظيم الوقت أو أتعلم (نعم، نعم، أتعلم) أو أقرأ(\*)).

كتب ميخائيل تشيخوف الشيء الكثير في يالطا. فهنا كتب مسرحية «المبارزة» بروح قصة أنطون تشيخوف وسيناريو (قضية بتراشيفسكي). وعلى أبواب السبعين بدأ يتعلم اللغة الإيطالية.

صار ميخائيل تشيخوف المساعد المقرب للأخت ماريا بافلوفنا المشرفة على دار - متحف أنطون تشيخوف، وفي وقت لاحق صار مسؤولاً علمياً ومستشاراً للمتحف.

في ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٣٦ وبعد مرض ثقیل فارق ميخائيل تشيخوف الحياة وهو في الثانية والسبعين في يالطا.

ترك ميخائيل تشيخوف تراثاً ضخماً تشغل الذكريات والسير الذاتية مكاناً مركزياً فيه. ومنذ عام ١٩٠٤ وحتى نهاية حياته عمل ميخائيل تشيخوف على سيرة حياة أنطون تشيخوف مؤمناً أن هذه المهمة هي واجب أدبي واجتماعي عليه أدائه.

في عام ١٩٠٥ نشرت (مجلة لأجل الجميع) مذكرات ميخائيل تشيخوف بحجم أكبر بمرتين. وظهرت الذكريات في مجموعة (عن أنطون بافلوفيتش تشيخوف) والمنشورة في عام ١٩١٠ بمناسبة مرور خمسين عاماً على ميلاد الكاتب. بعد ذلك أعيدت طباعتها عدة مرات في طبعات مختلفة.

وفي أعوام ١٩١٢ - ١٩١٦ وتحت إشراف ماريا بافلوفنا تشيخوفا صدرت مجموعة رسائل أنطون تشيخوف في ستة مجلدات وكان لها أهمية كبيرة لأجل اطلاع القراء الروس على تراث الكاتب الترسلّي. وتضمن كل مجلد من هذه الطبعة سيرة ذاتية كتبها ميخائيل تشيخوف ومكرسة لفترة حياة

---

(\*) ميخائيل تشيخوف، رسالة إلى الزوجة و.ج. تشيخوفا، ٢٢ كانون الأول عام ١٩٣٠، أرشيف س.م. تشيخوف.

أنطون تشيخوف التي تعود إليها الرسائل المنشورة في المجلد المعني. ودخلت هذه المقالات المكتوبة على أساس المذكرات الشخصية في عداد المصادر الضرورية لسيرة حياة أنطون تشيخوف.

انفتحت آفاق جديدة أمام ميخائيل كاتب الذكريات والسيرة الذاتية، في العصر السوفييتي عندما صار إبداع أنطون تشيخوف في متناول الملايين.

يوصل ميخائيل تشيخوف عمله ككاتب ذكريات بقوة إبداعية جديدة. وتظهر كتبه عن تشيخوف تباعاً. وليس من قبيل المصادفة أن يكون الأول مكرساً لصلة مؤلفات الكاتب بالحياة ويحمل اسم (أنطون تشيخوف وموضوعاته). يتحدث المؤلف هنا عن أصل شخصيات مؤلفات تشيخوف ويرسم الظرف الذي كان يعمل فيه الكاتب. وفي عام ١٩٢٤ صدر كتاب جديد لميخائيل تشيخوف عنوانه (أنطون تشيخوف، المسرح، الممثلون و(تاتيانا ريبينا) والمتضمن ذكريات عن الكاتب المسرحي ونص مسرحية أنطون تشيخوف (تاتيانا ريبينا) غير المعروفة حينذاك لدى القراء.

خلدت بلاد السوفييت، وعلى نطاق واسع، ذكرى الكاتب. ومن بين الخطوات الأولى في هذا الاتجاه افتتاح متحف أنطون تشيخوف في موسكو في عام ١٩٢٣ ثم تحول إلى متحف الدولة للآداب. وشارك ميخائيل تشيخوف في عمل المتحف. وفي عام ١٩٢٩ تم نشر مذكرات ميخائيل تشيخوف بعنوان (أنطون تشيخوف في العطل) وذلك في مجموعة (جمعية أنطون تشيخوف وعصره) المؤسسة في المتحف. والمقصود بكلمة «العطل»: (عُطل الكاتب الصيفية). وشارك ميخائيل تشيخوف في وضع التعليق على رسائل تشيخوف غير المنشورة والمطبوعة في عام ١٩٣٠ في أعمال المتحف.

ولكن جميع أعمال كاتب الذكريات والسيرة الذاتية كانت إعداداً تمهيدياً، من حيث الجوهر، لكتابه (حول تشيخوف) الذي احتوى ما هو أهم من المذكرات السابقة وتضمن صفحات عديدة جديدة. ويمكن تصور ذلك القلق والشعور بالمسؤولية الذي عاشه ميخائيل تشيخوف عندما أبدع كتابه بين



جدران الدار في يالطا التي كانت ترتبط بها السنوات الأخيرة من حياة أنطون تشيخوف.

كان العمل الختامي لميخائيل تشيخوف قد كتبه بمشاركة الأخت ماريا بافلوفنا وهو كاتالوغ دار - متحف أنطون تشيخوف في يالطا (صدر الكتاب بعد رحيل المؤلف ، في عام ١٩٣٧). وهو ليس جدولاً جافاً لمواد المتحف، فهنا سيرة ذاتية لكل معروض وأصله وصلته بأحداث حياة الكاتب (صدرت سبع طبعات للكاتالوغ).

في عام ١٩١٣ كتب ميخائيل تشيخوف رسالة إلى أخته يحدد فيها كتاباته في السيرة الذاتية والمذكرات. وقد توجه وسيتوجه كاتبو سيرة أنطون تشيخوف الذاتية وقراء كثيرون إلى مذكرات الشقيق الأصغر الصادرة والمشبعة بالحقائق. لنتصور ولو لحظة عابرة أنه تم سحب المقالات والكتب من مجال القراءة فإن تصوراتنا عن أنطون تشيخوف ووسطه المباشر ستصبح أكثر فقراً! وفي عداد أولئك الين أوصلوا إلينا السمات الحية للعسكري الروسي ومعاصريه فإننا نذكر وبالشكر الحار اسم ميخائيل بافلوفيتش تشيخوف (\*).

ي. بالابانوفيتش

(\*) هذه هي الطبعة الثانية من كتاب ((حول تشيخوف)). وقد تم تدقيقه من جديد مع المخطوطة وإكمال بعض المواضيع التي أهملتها تدقيقها الطبعة الأولى. صدرت الطبعة الأولى في عام ١٩٣٣ وهذه الطبعة الثانية في عام ١٩٥٩.



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

## الذكريات

- ١ -

عمنا ميتروفان ايغوروفيتش - حادث في حديقة القصر - القمّص  
باكروفسكي - والد بافل ايغوروفيتش - الأجداد وأجداد الأجداد من ناحية  
الأب ومن ناحية الأم - أسطورة العم ميتروفان عن أصلنا (التشيكى) -  
قصف تاغانروغ من جانب الأسطول الإنكليزي - الأخوان ألكسندر (الأديب  
آ. سيدوي) ونيقولاي (الفنان).

كان بعضهم يرى أن عمنا ميتروفان ايغوروفيتش<sup>(١)</sup> إنسان غريب  
الأنوار بل حتى إنه عبيط، وآخرون كانوا يكتنون له كل الاحترام والتقدير  
بينما أخي الكاتب انطون تشيخوف كان يكن له أسمى آيات الحب. وقد كرس  
هذا الإنسان حياته للقضايا الاجتماعية لدرجة أنه فارق الحياة لا لسبب سوى  
الانهك لأنه كان يشتغل زيادة عن الحدود الطبيعية. وقد عمل في البلدية  
والكنيسة في آن واحد وأما اهتماماته الأساسية فقد كان جلها محصوراً في  
الأعمال الخيرية حتى إنه أسس جمعية تاغانروغ الخيرية لأجل تقديم  
المساعدة للفقراء. وكانت أبواب داره مفتوحة، دوماً، أمام كل قاصد محتاج  
ومسكين، وأما في يوم عيد اسمه فكانت هذه الأبواب مشرعة على مصراعيها  
حيث كانت الطاولات مصفوفة في باحة الدار وعليها شتى أنواع الحلويات  
والمأكولات الشهية وكان لكل شخص الحق في الجلوس وتناول ما يطيّب له.

وفي الوقت الذي كان فيه ميتروفان مواظباً على أداء الصلوات وإقامة الصلوات في داره، كان يعشق المسرح وتنهمر دموعه من الضحك ما إن يرى مشهداً كوميدياً/ مثلاً من «ابن الماما» و «مصائب القلب الرقيق». والبشر لا يشاهدونه إلا في كامل هندامه وأناقته وقبعته العالية وهو يتجول في حديقة الدار التي هي أشبه ما تكون بدغل كثيف. يبدأ نشاط ميتروفان اليومي عند شروق الشمس ولا ينتهي إلا في وقت متأخر من المساء باستثناء يوم الأحد الذي كان يقضيه في جو من السكينة مع قراءة الكتب والصحف والتحدث مع الأطفال. فهو كان يعشق اولاده ويتحدث إليهم بصيغة الاحترام ويدللهم لدرجة أننا نحن أبناء إخوته وأخواته صرنا نشعر بالغيرة. وفي فترة اليفاع عندما كانت تخطر على بالنا بعض التمثيليات التي كان الطالب وكاتب المستقبل أنطون تشيخوف يشارك فيها، كان العم ميتروفان هو ضيفنا الدائم والمشارك النشط في التقويمات. فهو لم يكن قليل الموهبة الأدبية، وأما رسائله التي حصلنا عليها ونحن كبار في السن فكانت من حيث أساليبها الشعرية خالية من العيوب والنواقص. وفي سنوات الشباب كان رومانسياً مولعاً بمؤلفات ألكسندر مارلينسكي (بيستوجوف)<sup>(\*)</sup> وبقي حريصاً على طريقته التعبيرية طوال العمر. وقد ظلت رسائله محفوظة، لفترة طويلة في أسرتنا وهي مرصوفة في كتاب كامل والتي كان قد كتبها إلى والديّ عندما كان لا يزال أعزباً وجوالاً في أرجاء روسيا. وانا على ثقة أكيدة بأن موهبة العم ميتروفان قد انتقلت، إلى حد معين، إلينا، أيضاً، وخاصة إلى أخويّ أنطون وألكسندر الذين صاروا، فيما بعد، أدبيين حقيقيين.

---

(\*) (بيستوجوف) (الاسم المستعار لمارلينسكي) (١٧٩٧ - ١٨٣٧) هو الكاتب الروسي ألكسندر ألكسندروفيتش من حركة الديسمبريين. كتب القصص القصيرة والطويلة ومنها «الرواية ولولغا» و«قصر فيندين» (عام ١٨٢٣) و«قصر نيو هاوزن» (عام ١٨٢٤) و«الخلائن» (عام ١٨٢٥) و«اختبار» (عام ١٨٣٠) و«اللغز المرعب» و«الملازم بيلوزور» (عام ١٨٣١) و«الملا نور» (عام ١٨٣٦) وغيرها (المترجم).

ثمة صفحات ممتعة في حياة ميتروفان ايغوروفيتش تعود إلى قصة الحب والزواج. ففي ديوان حاكم مدينة تاغانروغ كان هناك شخص اسمه يفتوشيفسكي، ولهذا الشخص ابنة اسمها لودميلا، والكل كان يدعوها ميليتشكا<sup>(٢)</sup>. وهذه الابنة كانت، وإلى حد عجيب، تشبه ابنة الدوق هيسين - درامشتان ماكسميليان والتي تزوجت، فيما بعد، ولي العهد وقتذاك ألكسندر نيقولايفيتش واتخذت اسم ماريا ألكسندروفنا. وعندما رأى العم ميتروفان ايغوروفيتش، ذات مرة، صورتها، خفق قلبه بالحب نحوها من النظرة الأولى. وروحه المتعاطفة هذه نقلها إلى ميليتشكا وطلب يدها. وأما هي فقد رفضت عرضه. وعند ذلك وهو رومانسي «حتى العظم» اختفى من المدينة. ولم يعرفوا أنه انطلق في سياحة طويلة إلا من خلال الرسائل التي صارت ترد منه تباعاً وهو في طريق السفر الطويل.

يمكن الحكم على صعوبات السفر في ذلك الحين بسبب أنه لم تكن هناك أية مدينة على الطريق الممتد ما بين تاغانروغ وخاركوف والذي يزيد طوله على ٤٨٠ كم، وكان يمكن فقط مصادفة بعض الباعة الجوالين من الفلاحين. وغالباً ما كان المبيت يتم في العراء وعلى أطراف السهوب اللانهائية. وكانت هذه المواضع، وقتذاك، تلك «الأماكن الجديدة» الموصوفة من قبل دانييلفسكي<sup>(\*)</sup> في روايته بالعنوان ذاته إضافة إلى قطاع الطرق واللصوص وقصص المغامرات الخفية والتي كانت تشارك فيها قوى غير نظيفة. لم تكن هناك خطوط حديدية وعندما كان والدنا يسافر إلى خاركوف لشراء السلع اللازمة، كانت الصلوات هي حافزه الأساسي. وطريق نيقولايف الحديدي الوحيد كان لا يزال في طور الإنجاز. وفي الفترة التي أصفها كان الخط يعمل في المناطق الأمامية الرئيسية علماً أن المسافة من موسكو إلى تفير تزيد عن ١٨٠ / كم وكان القطار يجتازها خلال يوم ونصف اليوم. ووسيلة النقل هذه كانت هي الراحة والسرعة حينذاك.

---

(\*) نيقولا ياكوفليفيتش دانييلفسكي (١٨٢٢ - ١٨٨٥) كاتب روسي وعالم طبيعة من كتبه «روسيا وأوروبا» (عام ١٨٦٩) و«مجموعة مقالات سياسية واقتصادية» (١٨٩٠) وغيرها (المترجم).

كانت رسائل العم مفعمة بالثراء العميق إذ بأسلوب مارلينسكي ذاته كان يصف رحلته إلى موسكو وبطرسبورغ ويسجل انطباعاته عن سفرته في أول خط حديدي في حينه. ورسالته عن زيارته إلى القرية القيصريّة ضربت رقماً قياسياً وسرعان ما كشفت عن الهدف السري لمثل هذه الرحلة.

ما إن دخل العم إلى حديقة القصر توقف منتظراً ما إذا كان بالمستطاع رؤية تلك التي كانت محبوبته تشبهها. وفجأة حدث ما هو غير متوقع إذ رأى شخصين يتجهان نحوه. إنهما ألكسندر الثاني وهو يتأبط ذراع زوجته الأميرة السابقة ماكسيميليانا. وقد اقتربا مباشرة منه فانحنى العم على ركبتيه. وقد ظن ألكسندر الثاني أن هذا الشخص هو أحد المتوسلين فانحنى نحوه وسأل:

ماذا تريدون؟

لا شيء يا سيدي المحترم. ويسعدني فقط أنني رأيت تلك التي تشبهها فتاتي الحبيبة.

لم تفهم ماكسيميليانا هذه كلماته على ما يبدو، أما ألكسندر فقد أنهضه وربت على كتفه ثم تابعا السير.

لاشك أن هذا المشهد يحمل الكثير من السذاجة إلا أنه في ذلك الوقت وخاصة في الأطراف النائية، وفي الجنوب البعيد، كان عليه أن يترك انطباعاتاً معيناً. هذا ما كتبه العم الرومانسي وربما بالغ في سرد قصة اللقاء في حديقة القصر.

ولهذا السبب عاد ميتروفان ايغوروفيتش، لاحقاً، إلى الوطن، ولم يعد لدى ميليتشكا أدنى اعتراض على الزواج به. وقد عاشا سوياً حتى هرما، وفي دارهما المريحة المضيافة كان يمكن، دوماً التمتع باستقبال لطيف، وفيما بعد في إقامتهما في الشمال كنا نحب التوقف عند العم ميتروفان في كل زيارة إلى تاغانروغ. وفي هذه الدار بالذات التقط انطون تشيخوف بعض اللحظات التي عالجها وصاغها، لاحقاً في تلك القصص مثل «الرئيسة». ويبدو لي أن

العم ميتروفان كان، من حين إلى آخر، يكتب بنفسه لأنني عندما صرت أنا في الخامسة والعشرين من العمر أخذ يتراسل معي وكان يرسل إليّ صفحات كاملة في وصف الطبيعة: «الورود في جوانب سياج الدير على أضرحة الرهبان» و «السواقي الجارية بطيش عبر المرج الندي» وما إلى ذلك. وكل هذا كان عبارة عن نبذات يمكن ومن حيث مقاطعها وأسلوب كتابتها، إدراك أن مؤلفها كان كاتباً حقيقياً.

كما ذكرت أعلاه، كان العم ميتروفان مشرفاً على الدير وهو بطبعه وعلى أساس منصبه كان يحب استقبال رجال الدين. وكان ضيفه المرغوب به دوماً هو القمص ف.ن.باكروفسكي (كبير الخوارنة). فهو كان قسيساً مميزاً، جميل الهيئة، علمانياً، يحب التباهي بأناقته الفائقة، وكان يتمتع بصوت جهوري قوي ويعد نفسه كي يكون في عداد مغني الأوبرات. بيد أن هذا الوضع الذي كان يعيش فيه أدى إلى إعاقة تطوير مواهبه واضطر إلى الاقتصار على منصب رئيس كاتدرائية تاغانروغ. ولكن هنا، أيضاً، ظل متمسكاً بهويته، كممثل. فهو كان يؤدي الطقوس بكل نشاط وحيوية ويغني في الهيكل، كان صوته يغطي على غناء الكورس ويدوي في كل عطفات وزوايا الكاتدرائية الرحبة. ومن يصغي إليه يظن فعلاً أنه يجلس في دار الأوبرا.

كان العم ميتروفان معلماً في المدرسة المحلية، والتي تعلمنا فيها نحن الإخوة الخمسة: أنا في الصف الأول، والأخ أنطون في الصف الخامس. لم يكن أحد منا في كل الأوقات يسمع الأسئلة التي يوجهها باكروفسكي. فهو كان ينادي في الوقت الذي كان يغرق في الجريدة ودون أن يسمع جواب التلميذ ثم يضع له علامة النجاح «بالتدفيش» وكان كرهه لوالدنا بسبب شكلياته الدينية قد نقله إلينا وإلى أبناء عمنا. وقد روى الأخ أنطون عندما صار يافعاً كيف أن باكروفسكي في حديثه مع أمنا وبحضوره أفصح عن الرأي التالي:

من بين أبنائك يا يغينينا ياكوفليفنا لن يكون حصادك سوى الصفر والعدم.



كان يحب إطلاق أسماء مضحكة على تلاميذه. وعلى فكرة، باكروفسكي نفسه هو أول من أطلق على أنطون تشيخوف «أنطوشا تشيخونته» والذي استخدمه الكاتب كاسم مستعار له مستقبلاً...

وعندما صار الأخ أنطون كاتباً معروفاً بعث سوية مع المحامي البترسبورغي كالومنين الذي أنهى هو أيضاً تعليمه في مدرسة تاغانروغ، بعث إلى القمص باكروفسكي هدية، عبارة عن حمالة كوب شاي فضية.

وانطلاقاً من نزعة الحنان والرقّة لدى القمص بسبب هذه القطعة الفضية، شكر الأخ أنطون وطلب منه أن يرسل إليه بعض كتاباته.

وسرعان ما أرسل أنطون تشيخوف «قصصاً مبرقشة» وعلى صفحاتها الأولى «أ.تشخونته».

لم تتحقق نبوءة القمص، وأما ما ابتكره باكروفسكي أي الاسم المستعار فقد صار ملكاً للأدب الروسي.

نظراً لأن الأسرة المكونة من ستة أولاد (خمسة إخوة وأخت واحدة) كانت قد أكملت تعليمها المدرسي فقد أضفى هذا عليها نزعة علمانية وثقافية أكبر مما كان يمكن تلمسه لدى العم ميتروفان. وفي الحقيقة كان والدنا أيضاً، بافل ايغوروفيتش، يحب إقامة الصلوات إلا أنني حسبما أذكر، كان يشغله الهدام أكثر من الإيمان. فهو كان يحب الطقوس الكنسية ويؤديها بالتمام والكمال إلا أن الكنيسة كانت بالنسبة إليه، كما يقال، النادي الذي كان يستطيع فيه اللقاء مع معارفه، حيث يرى في موضع محدد أيقونة قديس ما بالتحديد وليس أي قديس لا على التعيين. فهو كان يرتل الصلوات البيتية علماً أننا، نحن أولاده، شكلنا الكورس وهو كان يؤدي دور القسيس. غير أنه وفي كل ما عدا ذلك، كان ضعيف الإيمان مثلما نحن كنا آثمين، ولذا انتقل إلى الشؤون الدنيوية. كان يغني ويعزف على الكمان ويتمشى وعلى رأسه قبعة عالية. وفي أيام الفصح والميلاد كان يقوم بالزيارات ويعشق قراءة الصحف التي

كان مشتركاً فيها بدءاً من «نحلة الشمال» وانتهاءً بـ «ابن الوطن». وكان يحتفظ بكل عدد منها كان يربطها في نهاية السنة في مجموعة كاملة ويضعها تحت الرفوف. وكان يقرأ الجرائد بصوت عالٍ دوماً من ألفها إلى يائها، كما كان يحب التحدث في السياسة وعن تطرفات الحاكم المحلي في المدينة. وأنا لم أراه إطلاقاً في رداء غير منشئ وحتى في أثناء فترة الفقر المدقع الذي داهمه لاحقاً. وكانت أختي تعد له لباسه النظيف والمرتب والخالي من أدنى لطخة أو حتى نتفة من الوسخ.

كان، بالفطرة، يحب الغناء والعزف على الكمان، على أساس النوبة والالتزام بكل حالات البطء والاعتدال (اداجيو وموديراتو) ومن أجل تأمين حالة الشغف هذه كان ينشئ جوقات أفرادها من أبنائه ومنا ومن الغرباء وينسى مسألة تأمين الحياة والعيش، ولهذا السبب، على ما يبدو، أشرف على الإفلاس وكان وهو أيضاً ذا موهبة فنية. وبالمناسبة يجد الزوار إحدى لوحاته «يوحنا اللاهوتي» الآن في متحف تشيخوف في يالطا. وأما الوالد فقد عمل، لفترة طويلة في دوائر انتخابات المدينة ولم يقصر في حضور أي تكريم أو حفل غداء حيث كان يحضر فيه عدد من الرجال المحليين، كما كان يحب التفلسف. وفي الوقت الذي كان العم ميتروفان يقرأ فيه أعمالاً ذات مضمون رفيع، كان الوالد يعيد ويعيد قراءة الروايات الفرنسية الخفيفة، وأحياناً كان يستغرق في تأملاته دون أدنى تركيز بحيث كان يتوقف في أثناء القراءة ويتوجه إلى والدتنا التي كانت تصغي إليه قائلاً:

أنت يا إفوشكا أعيدي على مسامعي ما قرأته عليك الآن.

أنا لا أعرف من كان والد جدنا من جانب الأب، ذلك المدعو ميخائيل ايميليانوفيتش<sup>(٣)</sup>. ومن خلال كلام الأب علمت أنه كان لدى والد جدنا هذا، أخ اسمه بيوتر ايميليانوفيتش وكان لسبب من الأسباب، يجمع التبرعات لبناء معبد إذ اجتاز أرجاء روسيا سيراً على الأقدام، طويلاً وعرضاً، وبالفعل بنى كنيسة في كييف، والكرونولوجيا العائلية التي تخصصنا قد أدركت جدنا ايغور

ميخائيلوفيتش<sup>(٤)</sup> في ضيعة أولخوفاتك في منطقة فارونج، قضاء أستروغوج وهو متزوج وله ثلاثة أبناء وابنة واحدة. وجميعهم أقتان للإقطاعي تشيرتكوف الذي صار حفيده، في فترة لاحقة، من أقرب المقربين إلى أفكار ليف تولستوي. وقد أجبر التعطش الشديد للحرية جدنا هذا كي يفندي الفلاحين قبل الانعتاق الشامل بفترة طويلة. ولم تكفه النقود لافتداء ابنة ألكسندرا، وفي لحظة توديع الإقطاعي المذكور، ألح عليه في الرجاء كي لا يبيعها اعتباطاً بل أن ينتظر حتى يتأمن لديه المال ويتمكن من افتدائها أيضاً.

وأما تشيرتكوف فقد فكر ملياً ولوح بيده ثم قال:

فليكن، خذها على البيعة.

وبهذه الصورة صارت عمتي ألكسندرا ايغوروفنا، أيضاً، حرة.

ونظراً لأن والد جدي وجدي كانا يحملان في أولخوفاتك لقب «التشيك» وليس «التشيخوفيون» وأنهما كانا يبذلان أقصى الجهد لبلوغ الحرية فإن هذا كله قد أجبر عمي الرومانسي ميتروفان ايغوروفيتش على تصديق هذه الترهة التي ألقاها على مسامعي غير مرة.

لاشك أن جدنا الأقدم كان تشيكياً من منطقة بوهيميا. وقد هرب من هناك بسبب الاضطهادات الدينية ولجأ إلى روسيا. وكان عليه، هنا، بالطبع، أن يبحث عن الحماية والملاذ لدى أحد الأقوياء الذين استرقوه لاحقاً أو أنه قد تزوج واحدة من الرقيقات التي أنجبت له أولاده. وتم كل هذا بإرادته أو بمقتضى القوانين السائدة.

وأضاف العم الرومانسي:

أظن، يا روعي، لا سبب إطلاقاً يستدعي هروب الفلاح البسيط من وطنه. بل حتى إن هذا الأمر مستحيل تقريباً. ومن المحتمل أن يكون هو شخص أرستقراطي من نوع خاص.

وفارق العم ميتروفان الحياة الدنيا حاملاً في ذهنه هذه الفرضية الخرافية. وأما نحن، أولاد إخوته، فكنا نكتفي بالابتسامات. وثمة رواية

وثائقية أخرى حول أصولنا وهي أن المدفع المنسوب في الكرملين بموسكو كان قد صبه معلم الصب أندريه تشيخوف<sup>(٥)</sup> في عام ١٥٨٦. ولكن هذا يعني أن أجدادنا يعودون إليه في أصولهم؟

وضع الجد ابنه الأكبر ميخائيل<sup>(٦)</sup> في ورشة لتعلم صناعة التجليد وأما هو فقد أخذ يعمل لدى الكونت بلاتوف في ضياعه الشاسعة بالقرب من تاغانروغ وفي روستوف على الدون التي انتقل إليها سوية مع ابنه الآخرين بافل وميتروفان. وفي ذلك الوقت كانت الابنة ألكسندرا<sup>(٧)</sup> قد تزوجت في أولخوفاتك وبقيت هناك حتى آخر العمر. وهكذا كان مصير والدي وعمي أن يعيشا في أقصى الجنوب ليس بعيداً عن بحر آزوف. وحصل والدي على عمل لدى التاجر وحاكم المدينة كابيلين، واستقر عمي في روستوف لدى التاجر بايدالاكوف. وبعد فترة انتقل عمي، أيضاً، إلى تاغانروغ وبعد أن قضى بافل ايغوروفيتش<sup>(٨)</sup> السنوات المطلوبة لدى كابيلين، دشن مخزنه الخاص به وتزوج الفتاة يفغينيا ياكوفليفنا مارزوفا أمنا الخالدة الذكر.

نحن لا نعرف من كان والد جدنا من ناحية الأم، وقد عاش جدنا يعقوب غيراسيموفيتش مورازوف<sup>(٩)</sup> في مورشانسك، منطقة تامبوف، وهناك تزوج جدتنا ألكسندرا ايفانوفنا<sup>(١٠)</sup>. وأعطى هذا الزواج ابنتين هما فينيشكا<sup>(١١)</sup> ويفوشكا<sup>(١٢)</sup> (أمنا) وابناً واحداً اسمه ايفان<sup>(١٣)</sup> (خالنا). عمل يعقوب غيراسيموفيتش في تجارة الأجواخ وتعامل مع الفرنسيين الذين سموه «المسيو ماروزوف» وغالباً ما كان يسافر في أعمال تجارية فهو كان يؤم تاغانروغ التي كانت تؤدي دور العاصمة حيث كان يبيت في دار الجنرال بابكوف المحاذية لبساتين قصر ألكسندر الأول. كان لجدتنا ألكسندرا ايفانوفنا أخت اسمها ماريا ايفانوفنا<sup>(١٤)</sup> التي تزوجت إلى مدينة شويا، منطقة فلاديميرسك بشخص ينتمي إلى أسرة متمسكة بالطقوس والتقاليد القديمة. وفي إحدى غيابات الزوج لأجل العمل والتجارة بالأجواخ أخذت ألكسندرا ايفانوفنا ابنتيها وابنها كي تضيف عند أختها شويا. وفي هذا الوقت اجتاحت الكوليرا مناطق عدة وتوفي جدنا يعقوب غيراسيموفيتش بهذا الوباء في نوفوتشيركاس بعيداً

عن البيت والأهل. فاستأجرت جدتنا ألكسندرا إيفانوفنا عربية وتوجهت مع أولادها إلى نوفوتشيركاسك بحثاً عن ضريح زوجها كي تنقل جثمانه إلى حيث ينبغي أن يدفن.

وتركت هذه السفرة أثراً عميقاً لا يمحي في كيان أمنا وأختها. فهنا الغابات الوسنانة والأحواش والخانات الخاصة بالنزلاء وذات البوابات الموصدة تماماً كما في السجن وحوادث القتل ونهب المسافرين وكل ما يخطر وما لا يخطر على البال، وأخيراً مراتع السهوب المظلة على بحر آزوف حيث التحفنا السماء كي نقضي ساعات الليل لأنه لم يكن من اللازم المبيت في نزل أو خان من تلك الخانات المشبوهة. وهكذا أخذنا إلى النوم في حضن الطبيعة دون خوف من أي اقتحام أو هجمات محتملة، وكل هذا شكل لاحقاً بالنسبة إلى أمنا وخالتنا فينيشكا موضوعات لا تتضب لقصها في الوسط العائلي عندما كنا صغاراً نصغي إليهما حاسبين أنفاسنا وفاتحين عيوننا باتساع كبير. وكانت الأم والخالة تتمتعان بموهبة القص الرائع وأنا واثق بأن هذه القصص والحكايات التي كانا يروينها قد لعبت دوراً بارزاً في تنمية الخيال والحس الأدبي لدى إخوتي.

لم تجد ألكسندرا إيفانوفنا مع أولادها لا الضريح والا التابوت ولا أي غرض للذكرى في نوفوتشيركاسك. ولكنها لم تعد إلى مورشانسك بل تابعت السير إلى تاغانروغ. وفي الطريق، توقفت في روستوف على الدانوب حيث ضمنت العمل لابنها إيفان عند التاجر بايدا لأكوف.

والتقى خالنا فانيا، هنا، مع شقيق والدنا ميتروفان الذي، كما ذكرت، كان يعمل، أيضاً، عند بايدا لأكوف. وكان الاثنان حالمين وسرعان ما توادا وظلا صديقين حتى وفاة الخال فانيا بالسل الرئوي.

ووصلت ألكسندرا إيفانوفنا مع الطفلتين إلى تاغانروغ واستقرت فيها، في دار الجنرال بابكوف والتي كان زوجها يعيش فيها سابقاً.

ومرت الأيام وصار ميتروفان والخال فانيا شابيين يافعين. وانتقل ميتروفان من روستوف إلى تاغانروغ وفتح، هنا، حانوتاً تجارياً ثم تبعه الخال فانيا. ومن خلاله ومن خلال ميتروفان تعرف والدنا بعائلة ماروزوف، وبعدها اقترن بالابنة الصغرى لألكسندرا ايفانوفنا واسمها يفيغينيا ياكوفلوفنا. أقدم الخال فانيا هذا الفنان بروحه والعازف على كل الآلات الموسيقية والرسام والمتمكن من عدة لغات، أقدم على الزواج بمارفا<sup>(١٥)</sup> ايفانوفنا لوبيودا عمتنا العزيزة وأما عن ميتروفان وخطبته فقد ذكرتها في بداية مقالتنا.

اقترن والدي بوالدتي في التاسع والعشرين من تشرين الأول ١٨٥٤ أي تماماً في الوقت الذي اشتغلت فيه الحرب في سيفاستوبل. وعلى ما يبدو، قضى السنة الأولى من الحياة الزوجية عند العمّة نظراً لأن والديّ الاثنتين كانا يحبان التحدث حول أن الإنكليز قصفوا في صيف عام ١٨٥٥ تاغانروغ وذلك الهرج الذي ساد الوسط العائلي بحيث يمكن التفكير بأن عائلتي تشيخوف وماروزوف كانتا تعيشان سوية. وفي الصيف كانت جدتنا ألكسندرا ايفانوفنا تؤدي صلاة الليل في الكاتدرائية. وكان الأب ألكسي تشاركوف يخدم فيها. وفجأة انطلقت قذيفة فجرت الجدار وخلخلت كل ما كان في الكنيسة وانهالت الكسوة الداخلية والخارجية. وارتعب الناس وتجمعوا في كومة واحدة. وأما الأب ألكسي الذي كانت يدها ترتجفان، واصل قراءة المزمور. ولكن ما إن انتهت التراتيل وغادر المواطنون الكنيسة وهم وجلون حتى أطلقت السفن الإنكليزية نيرانها من جديد.

ثم توقفت القذائف والقنابل إلى أن حل يوم السادس والعشرين من تموز إذ قدم الأب ألكسي تشاركوف، عشية ذاك اليوم، إلى جدتنا ألكسندرا ايفانوفنا وحذرنا بأن السفن البيضاء عادت إلى الظهور في الأفق مرة ثانية. وهو نفسه زحف نحو جرس الكنيسة ورأى السفن بعينيه الاثنتين وهي مصفوفة في خط واحد. وقد نصحتها بنقل والدتي من قبيل الحيلة وهي كانت، وقتذاك، حاملاً بأخي الأصغر ألكسندر. وكان اليوم التالي هو يوم أحد فتوجه والدنا

والخال فانيا إلى القُداس. بعده انطلقا نحو آخر نقطة على الشاطئ أي أنهما، فعلاً، شاهدا أمامهما، الأسطول الإنكليزي. وأخذا بكثير من الفضول، يتفحصان السفن الغربية التي كان الدخان يتصاعد منها بينما انطلقت منها، فجأة ، طلقة. وتدحرج أبي إلى الأسفل من شدة الهلع بينما الخال فانيا ولي الأدبار عائداً إلى داره بأسرع من البرق. وعند المدخل كان السماور جاهزاً. وكانت ألكسندرا ايغانوفنا قد أعدت، لتوها، شوربة الدجاج. أما والدتي فكانت ممددة على الكنبه. في هذه الأثناء كان هدير القنابل يخيم على المدينة كلها بينما أخذ الزعران ينسلون إلى البيوت ويكسرون الزجاج والمرايا والموبيليا. مسك الخال فانيا السماور المغلي وأخذ ينفضه. وكانت النسوة القلقة والمضطربة لا تعرف ما ينبغي عمله. وفي هذه اللحظة بالذات التقط والدي عربة نقل الحامل وفينيشكا وأما النسوة فقد انطلقن إلى القرية. وما إن جلست ألكسندرا ايغانوفنا في العربة وهي تسمع هدير القذائف حتى أخذت تنهيدة عميقة وهي تقول:

أوه دجاجتي، دجاجتي ستحترق في الموقد ...

وصلوا إلى سلوبودا كربايا على مسافة سبعين كيلو متراً من تاغانروغ وتوقفوا عند القس المحلي الأب كيتاسكي وهنا وفي العاشر من آب عام ١٨٥٥ أنجبت والدتي يفغينينا ياكوفليفنا بكرها ألكسندر<sup>(١٦)</sup>.

وصار هذا الطفل، لاحقاً إنساناً ظريفاً لطيفاً مثقفاً وطيباً ومدهشاً في اختصاص اللغة وفقهها، وفيلسوفاً متميزاً. كان أديباً يكتب تحت الاسم المستعار «آ.سيدوي». وبفضل معارفه الشاملة كان يسجل التحقيقات في الصحف عن الجلسات العلمية. وكان البروفسور الشهير أ.ف.كوني وغيره كثيرون من رجالات العلوم غالباً ما ينتظرون قدومه ثم يبدؤون إلقاء محاضراتهم. ولكن من المؤكد أن ولادته في تلك الفترة المضطربة تحت قذائف العدو قد أجبرته على الشرب ومعاناة الإنسان. وفي هذه الفترة بالذات،



أيضاً، كتب الشيء الكثير، منها عن طفولة أنطون تشيخوف والمدرسة اليونانية وغيرها كثير مما ألفه تحت وطأة المرض. وللحقيقة ثمة قليل منها مما هو موثوق بصحته. وفي كل الأحوال ينبغي تناول ما نشره عن أنطون تشيخوف بحذر كبير. ولكن عندما كان يصحو ويتعافى ويصير، من جديد، لطيفاً دمثاً وجذاباً، كان يستحيل عندها عدم الإصغاء إليه إذ كان موسوعة كاملة تجبر المستمع على الانبهار. وفارق الحياة في عام ١٩١٣ تاركاً ابناً هو ميخائيل تشيخوف الشهير في المسرح الفني بموسكو (كان فليوني)<sup>(١٧)</sup>.

وفي أيار عام ١٨٥٧ رأى النور عند والدي الابن الثاني فنان المستقبل نيقولا<sup>(١٨)</sup>. وهو أيضاً كان على مستوى عال من الموهبة وموسيقياً بارعاً على الكمان والبيانو ورساماً ورسام كاريكاتير من الدرجة الرفيعة والأصيلة. وكانت لوحاته تعرض في المعارض الفنية المختلفة ومنها «نزهة في ساكولنيكي» و«العاهرة» كما كان يمكن مشاهدة بعض أعماله في معبد المسيح المخلص. ومما يشهد على جاليات لوحاته ورسوماته الكاريكاتيرية تلك البقايا المحفوظة في متحف تشيخوف الموسكوفي وبعض الرسومات المائية المحفوظة في دار متحف أنطون تشيخوف في يالطا. وقد توفي في ريعان الشباب عن عمر يناهز الحادية والثلاثين من العمر. وهو الآن يرقد بسلام في مقبرة لوتشانسكي بالقرب من مدينة سومي، إقليم خاركوف.

وأما أنطون تشيخوف فقد رأى النور في السابع عشر من كانون الثاني عام ١٨٦٠ وبعده بسنة رأى أخوه إيفان<sup>(١٩)</sup> النور وهو صار أيضاً من الأساتذة المربين المشهورين ثم أختي ماريا بافلوفنا<sup>(٢٠)</sup> وأنا.



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

في تاغانروغ - جيراننا - عقاب جسدي في ساحة ميتورفانيف -  
خطف الفتيات لأجل الحريم الترك - أنطون وايرياد سافيتش - الانتقال إلى  
الدار - تعليمنا - فشل التعلم في المدرسة اليونانية - أوقات الفراغ المنزلي  
- كيف كانت شؤون التجارة عند الوالد - رحلة إلى كرينيشك - مسرحيات  
منزلية - مرض أنطون - سفر الشقيقين الكبيرين إلى موسكو - انتزعوا  
منا الدار - أنطون وحيد في تاغانروغ - الزيارات إلى مزارع كرافتسوف  
وزيمبولاتوف - حضور المسرح - القراءة - إصدار مجلة «الألكن» بخط  
اليد - حادثة البئر حسب رواية سوفورين.

في الوقت الذي أخذت أعي فيه الوسط المحيط وتعلمت بنفسي قراءة  
الإعلانات واللوحات كان الأخ الأكبر ألكسندر في الصف الخامس في  
المدرسة الإعدادية وأما الثلاثة الآخرون، نيقولاي وأنطون وايفان فكانوا في  
الصفوف الأدنى<sup>(٢١)</sup>. كنا حينذاك، نعيش في دار موسيف في ركن شارع  
الدير وزقاق يارماروتشي أي تقريباً في أقصى المدينة. وكنا نشغل منزلاً من  
طابقين مع حوش.

وفي الأسفل يقع حانوت والدنا والمطبخ وغرفة المطعم وغرفتان  
أخريان بينما كانت أسرتنا كلها في الأعلى كما كان هناك قاطنون آخرون مثل  
المدعو غابريل بارفينتيفيتش الذي كان يتناول طعامه عندنا وتلميذ الصف  
الثامن ايفان ياكوفلوفيتش بافلوفسكي. وبافلوفسكي هذا غادر المكان، لاحقاً،

إلى بطرسبورغ كي ينتسب إلى أكاديمية الطب إلا أنه سرعان ما تم اعتقاله بالمحاكمة الشهيرة ١٩٣ وسجن في قلعة بتروبافلوفسك. وفي أثناء ترحيله إلى سيبيريا هرب من حراسه إلى أمريكا وعمل حلاقاً لفترة من الوقت في نيويورك ثم ارتحل من أمريكا إلى باريس التي نشر في إحدى جرائدها مقالة عن الفترة التي قضاها في قلعة بتروبافلوفسك. ولفتت هذه المقالة انتباه تورغينيف القاطن، حينذاك، في باريس، والذي رعى بافلوفسكي. وبواسطته أخذ بافلوفسكي يكتب باللغتين الفرنسية والروسية وسرعان ما صار أديباً بارزاً. وقد كتب بالاسم المستعار «ي.ياكوفليف» وصار من الكتاب النشطاء في «العصر الحديث» إذ نشر المقالات الهجائية وبعث برسائله الخاصة بقضية دريفوس الشهيرة كما ألف كتاباً بعنوان «البشر الصغار من ذوي الأحزان الكبيرة» و«مقالات عن إسبانيا». وبعد سنوات عديدة وعندما صار أنطون تشيخوف كاتباً كبيراً في ميلخوفو نال بافلوفسكي العفو وسافر إلى روسيا وزار أخاه في عزبته. وقد تذكرنا تاغانرود وتلك الأوقات التي كان بافلوفسكي، يعيش فيها لكسب الرزق عند والدتي.

وبجوار دارنا كانت تقطن أسرة مالوكسيانو اليونانية التي صارت روسية. وكانت مكونة من أب وأم وابنتين وطفل آخر اسمه أفوني. وقد أقمت صداقة مع أفوني. وأما أختي ماشا فصارت تلعب مع الابنتين. وصارت إحداهن، لاحقاً، ثورية بارزة. وقد صدرت أحكام بحقها وتم نفيها مع الأشغال الشاقة. وهناك بسبب الإهانات التي تعرضت لها، وحسبما ذكر لي أخي أنطون، ضربت السجناء على وجهه فتعرضت للعقاب الجسدي وسرعان ما لاقت حتفها بعد فترة وجيزة<sup>(٢٢)</sup>.

كان زقاق يارموريشني في تاغانرود يربط ساحتين فيما بينهما هما ساحة يارموريشني وساحة ميتروفانيفسكي بحيث أن الساحتين كانتا مرئيتين من نوافذ بيتنا، هنا، منصة خشبية بعمود التأم حوله الناس ومن ثم بالطبل

والزمر وعلى مركبة عالية وسوداء اللون يحضرون المجرم التعيس ويدها مبرومتان إلى الخلف ولوحة سوداء معلقة على الصدر ومكتوب عليها ذنبه. وعندما كان الموكب يقترب من منصة الإعدام ذات العمود والمقامة في السوق الجديدة، كانوا ينزلون المجرم من المركبة إلى المنصة ويربطونه بالعمود ويقرأون عليه الحكم الصادر بحقه، وفي حالة كونه نبيلًا كانوا يكسرون الشيش فوق رأسه. وكل هذا شاهدناه من نوافذ طابقنا العلوي بينما كانت أمانا يفغينيا ياكوفليفنا تتأوه دوماً بكل عمق لأجل المجرم وترسم شارة الصليب لأن هذا الشخص كان بالنسبة إليها إنساناً تعيساً ويستحق الشفقة والرحمة بينما كان الأقوياء يزدرون به، وهي قد ربنتنا، أيضاً، بهذه الروح بالذات. وبشكل عام كان الإشفاق على المجرمين والمسجونين جلياً واضحاً في وسطنا العائلي. وكان عمي ميتروفان ايغوروفيتش في يوم ملاكه يرسل، دائماً، إلى أوستروغ سلالاً من الحبوب الفرنسية وعندما كنا نعيش في دار مويسييف، كانت في يوم الرابع والعشرين من تشرين الأول من كل عام، في يوم عيد العرش، تذهب إلى كنيسة أوسروغ لأداء صلاة الليل. وكلما كانت الفرصة سانحة كانت تستفسر من السجناء عن احتياجاتهم ولماذا هم معتقلون. وقد روى لها أحدهم أنه يقبع في السجن منذ ستة عشر عاماً لا لسبب سوى أنهم نسوه لا أكثر ولا أقل. وكانت تهمة الاعتقال هي أنه كان يجمع التبرعات لبناء معبد دون سماح من المسؤولين.

أذكر عندما سافرت أمانا في الرابع والعشرين من تشرين الأول إلى أوستروغ وتأخرت في العودة وانتاب العائلة القلق الشديد. وأخذتني الجليسة المربية أغايفا ألكسندروفنا معها إلى الرصيف الخارجي أمام الدار وهي تنتظر الوالدة بكثير من الاضطراب الداخلي. حل الظلام، وعلى الجهة الأخرى كانت فتاة يافعة، وعلى ما يبدو، تستعجل الخطى للوصول إلى الدار. وفجأة اندفعت في الشارع مركبة سرعان ما عادت وتوقفت عندما صارت بمحاذاة الفتاة. قفز رجلان منها وخطفا الفتاة على مرأى من عيوننا وانطلقا بالعربة.

وصرخت الفتاة بأعلى صوتها وهي في حالة من اليأس: «أنقذوني !! أغيثوني!» وظللت أسمع نداءها هذا الذي لم يهمد إلا بعد أن صارت العربية على مسافة لا بأس بها. ولكن لم يابه أحد لهذه الاستغاثة سوى المربية أغافيا ألكسندروفنا التي حكّت وراء أذنها بالصنارة، تنهدت وقالت: «سرقوا البنت».

كانت هذه الحادثة غير مفهومة عندي تماماً وقتذاك إلا أنني عرفت لاحقاً أن خطف الفتيات لأجل الحريم التركي كان مزدهراً في تلك الفترة في مدينتنا.

في عام ١٨٧٤ انتقلنا إلى دارنا التي بناها والدنا في شارع إيليسافيتنسكي النائي فوق الأرض التي أهداها إليه الجد إيغور ميخائيلوفيتش. كان الوالد رجل أعمال فاشل وانحصر همه واهتمامه بالغناء والشؤون الاجتماعية. ولهذا السبب آلت أعماله إلى التراجع الكبير، وأما الدار التي بناها فكانت ضيقة وخرقاء جدرانها غليظة والتي ثبت المتعهدون فيها قطع القرميد أكثر من اللازم نظراً لأن الدفع كان يتم على أساس كمية القرميد. وجنى المتعهدون الأرباح تاركين للوالد داراً غير محتملة وديوناً لم يعتد عليها على شكل حوالات. وانحصرت العائلة كلها في أربع غرف. وقد أركنوا العمدة المطلقة فيدوديا ياكوفليفنا مع ابنها أليوشا في القبو، وفي البهو الجانبي استقرت سافيتش التي كان عندها الابنة إيرينا تلميذة الثانوية والابن أناتولي. وأناتولي هذا كان قد دربه شقيقي أنطون تشيخوف. ويبدو أن إيرينا كانت الحب الأول لكاتب المستقبل. بيد أن هذا الغرام أخذ منحى فيه شيء من الغرابة فهما كانا على شجار دائم وبكلمات لازعة لدرجة أنه كان من الممكن الظن بأن أنطوشا ابن الرابعة عشر ربيعاً كان قليل التهذيب. وهكذا، مثلاً بينما كانت إيرينا، ذات مرة في أحد أيام الأحاد، تستعد للذهاب إلى الكنيسة وهي في أنافتها الكاملة مثل الفراشة ومرت بجانب أنطوشا، التقط الأخير كيساً مرمياً على الأرض فيه فحم الخشب وضربه على قبعة القش التي كانت تضعها على رأسها. وانتشر الغبار الكثيف كسحابة سوداء. وإيرينا هذه نفسها كما لو كانت قد استرسلت في الأحلام بشيء ما فكتبت في الحديقة على السور

بعض الأشعار المؤثرة ولكن رد عليها أنطون، على الفور بالسطور  
الأربعة التالية:

اوه! أيها الشاعر السياحي في تنورة

امسح شفاهك

وعوضاً عن كتابة الأشعار

من الأفضل لك أن تلعب بالدمى

كانت عائلة والدي هي عائلة أبوية عادية مماثلة لما هي حال الكثيرين  
في الريف قبل نصف قرن مضى إلا أنها كانت من العائلات الساعية إلى  
التتوير والتي أدركت أهمية أنها كانت الثقافة الروحية. وقد أراد بافل  
تشخوف منح الأولاد أوسع مجال للتعليم ولكن نظراً لأنه ابن عصره فهو لم  
يتخذ قراراً بتحديد الهدف. وفي تاغانرود تلك الأيام كانت زبدة الناس مكونة  
من اليونانيين الأغنياء الذي كانوا يبذرون النقود ويتصنعون الظهور بمظهر  
أرستقراطي. وظل الوالد متمسكاً بقناعة أكيدة هي أنه ينبغي فسح المجال أمام  
الأولاد كي يسيروا، وبالذات، على الدرب الإغريقي ومنحهم الإمكانيات كي  
ينهوا التعليم حتى في جامعة أثينا. كانت هناك في تاغانرود مدرسة يونانية  
فيها تدريس خرافي أسطوري. وبايعاز من اليونانيين المحليين سجل الوالد  
أبناءه الثلاثة الأكبر سناً في هذه المدرسة وهم ألكسندر ونيقولاوي وأنطون.  
ولكن التدريس في هذه المدرسة كان حتى بالنسبة إلى والدنا الذي كان يثق ثقة  
عمياء باليونانيين، مضحكاً لدرجة أنه تم الاضطرار إلى سحب الأولاد من  
هناك ونقلهم إلى مدرسة محلية عادية. هذا ولم تظل عالقة أية ذكريات  
ملموسة عند أشقائي عن فترة دراستهم في هذه المدرسة لذا ينبغي اتخاذ الحذر  
الشديد من الأشياء التي كتبها شقيقي المرحوم ألكسندر في «بشير أوروبا».

كان النهار يبدأ بالعمل وينتهي بالعمل. فالجميع في البيت كان يستيقظ  
باكراً. الأولاد يذهبون إلى المدرسة ويعودون إلى البيت ويحفظون الدروس.



وفي فترات الراحة كان كل فرد منهم يتلهم بما كان يقدر عليه. فالشقيق الأكبر ألكسندر كان يعمل بالبطاريات الكهربائية. ونيقولا يرسوم، وإيفان يجلد الكتب، وأما كاتب المستقبل فكان يؤلف... كان الوالد يؤوب مساءً من الدكان كي يبدأ غناء الجميع. كان يعشق الغناء على أساس النوبة ودرب أولاده على ذلك. عدا ذلك، كان يعزف مع ابنه نيقولا على الكمان بينما كانت الأخت الصغرى ماشا ترافقهما على البيانو. والأم في تلك الأثناء منهمكة في أعمال المنزل أو في حياكة الملابس للصغار. إنها مشغولة دوماً ومفعمة بمشاعر المحبة تجاه الجميع. ورغم أنها كانت لا تزال فتية نضرة فقد كانت تستغني عن الشيء الكثير بل حتى عن الحياة نفسها من أجل أطفالها. ومن جهة أخرى كانت تعشق المسرح إلا أنها لم تزره كثيراً بسبب انشغالاتها البيتية. ولأجل عودتها السالمة من المسرح كان إخوتي التلاميذ يرافقونها. وكان أنطون بعد كل فصل في المسرحية يقف مستقراً الأرسنقراطيين اليونان الذين كانوا يجلسون إلى جانب الوالدة في الصالة بحيث كان اليونان، وبسبب الإحراج الشديد، يضطرون إلى مغادرة الصالة قبل انتهاء المسرحية. وهذه الوالدة الشديدة الخصومة لقوانين القنانة كانت تحكي لنا عن كل حالات التعسف والجور التي يقوم بها الملاكون تجاه الفلاحين، وكانت تحببنا بكل من كان أقل منا بل حتى بتلك الطيور الصغيرة والحيوانات وكل الكائنات المحرومة من كل حماية. كان أخي أنطون مقتنعاً بثقة كاملة أن (الموهبة أنتنا من الوالد، والروح من الوالدة) رغم أنني أظن شخصياً أن موهبة غير قليلة كانت الوالدة أيضاً قد سكبتها في أعماق إخوتي.

كانت هناك مدام شوبيه الفرنسية الجنسية تعلمنا اللغات. فالوالدان كانا يضيفان أهمية خاصة على اللغات. وقد تمكن كل من كوليا وساشا من تعلم الفرنسية بطلاقة (كوليا تصغير نيقولا وساشا تصغير الكسندر لاحقاً صار معلماً للموسيقى وهو موظف في الفرع المحلي للمصرف الحكومي. وسارت الحياة في مسارها مثلما هي الحال حينذاك في أسرة متوسطة تسعى نحو الأفضل مما كانت في واقع الحال).

وكما قلت، كان والدي قد صار سكانياً كبيراً في كل ما يخص الطقوس الكنسية لذا كنا نحن الصغار مجبرين على أداء صلاة الليل دوماً أيام السبت وتنفيذ طقوس الأحد، ومن هنا نستدل على معرفة أنطون تشيخوف الكبيرة بالطقس الكنسي («الليل المقدس» وغيره) وفي تلك الفترة كنا ننشد ونغني في كنيسة القصر المحلي الذي عاش ومات فيه ألكسندر الأول في عام ١٨٢٥. وهنا كان القديس يجري في اليوم الأول من الفصح. وللعلم كانت دار الجنرال بابكوف التي كان يقطنها الوزير الجبار الأمير فورونتسوف الذي كان يدير كل شؤون القيصر، كانت تقع جنباً إلى جنب مع دار ألكسندر الأول ويفصل بين حديقتي القصرين جدار ججري يتوسطه باب صغير عبر السور كان قد تم تركيبه بناءً على أمر من القيصر الذي كان يرغب أحياناً بزيارة الوزير بطريق أقصر. قصة هذه الخوخة هي التالية: بعد أن قدمت جدتي إلى تاغانروغ من الشمال سوية مع ابنتيها فينيشكا ويفوشكا استقر الجميع في دار الجنرال بابكوف المذكور وحيث لم يكن هناك أي ذكر في المنطقة لألكسندر الأول وفورونتسوف. في ذلك الحين كان المشرف على القصر العقيد لاغوفسكي وابنته اسمها لودميلا وحدث التعارف بين الفتاتين إذ صارا يتسلقان على الجدار للتحادث، وبغية تسهيل الإمكانيات أمام فينيشكا ويفوشكا ولودميلا كي تلتقين دوماً أمر لاغوفسكي بتركيب الخوخة في الجدار. (مسجلة من كلمات ايفوشكا نفسها أي والدتي يفغينيا ياكوفلوفنا).

كان عشق الغناء وزيارة الكنائس وأداء الواجبات والعمل فيها ينتزع وقتاً كبيراً من والدنا لذا كان يرسل واحداً منا إلى الدكان عوضاً عنه. ولكن مع ذلك لم نكن محرومين من تلك المسرات التي لا يحلم بها الأتراب كالذهاب إلى البحر لاصطياد العجول ولعب المضرب والكرة وتحضير التمثيليات المنزلية. ورغم الصرامة النسبية في النظام الأسروي بل حتى حالات العقاب الجسدي الاعتيادي وقتذاك كنا نحن الصغار خارج مجال الالتزامات المباشرة وكنا نتمتع بحرية كبيرة وحسبما أذكر، عند مغادرتنا الدار لم نكن نطلب إذناً، إلا أننا كنا مجبرين على العودة لتناول طعام العشاء سوية، وبشكل عام

ملزمين بنظام الحياة المنزلي. كان أبونا تاجراً رديئاً إذ كان يدير شؤونه التجارية دون أدنى وِلحٍ أو رغبة. كانوا يفتحون الدكان لا لسبب سوى أنه لم يكن إغلاقها مستحباً. وبإلحاح من الوالدة كان الوالد يدفع لقاء العمل الحرفي الذي يقوم به كي ينقذنا نحن الأبناء، من مرحلة تجنيد الأغرار. وما إن صار التجنيد عاماً وإجبارياً للجميع في عام ١٨٧٤ أي لكل الفئات حتى زال ذلك الدفع المطلوب وتحول الوالد إلى رجل ضيق الأفق في تفكيره بينما كان بمستطاعه أن يصير مرتلاً في الكنيسة أو مغنياً أوبرالياً رسمياً فيما لو تم توجيهه من الصغر.

أذكر سفرة بعيدة رتبها لنا الوالدان إلى سلوبودا كرينيشكا التي تبعد سبعين فرسخاً(\*) عن تاغانروغ وقد تمت الاستعدادات المطولة لهذه الرحلة<sup>(٢٣)</sup>. فالأخ الأكبر ألكسندر صنع طاقيّة لنفسه بأطراف واسعة من ورق السكر وأما الأخ نيقولاى ابن الخامسة عشر فقد حصل لنفسه على قبة عالية لوضعها على الرأس في أثناء السفر ولكن الاستهزاء اللطيف من جانب أنطون لم يتوقف بسبب هذه الطاقيّة. وبالطبع خبزت لنا الأم يفغينيا ياكوفليفنا وطهت أنواعاً من الأطعمة المناسبة للطريق. استأجرنا عربة بسيطة للنقل. وقد تركز الاهتمام على تأمين راحة إيفان. وأنا من جهتي لا أتصور إلى يومنا هذا كيف اتسعت العربة لنا جميعاً وكيف قطعنا سبعين فرسخاً في الذهاب وسبعين آخر في الإياب. وكان نيقولاى طوال فترة السفرة مرتدياً الطاقيّة متحملاً، بكل صبر، سخریات أنطون. كان نيقولاى يعاني منذ طفولته من شيء من الحول ويمشي وهو يضيق عينيه ويميل برأسه نحو كتفه. تشيخوف الذي يحب السخرية من الجميع والضحك عليهم ويطلق الألقاب على الجميع قد استهزأ به قائلاً:

- أيها الأحول، أعطني سيجارة!! أيها السمج الغليظ! هل لديك تنباك؟

---

(\*) الفرسخ يعادل ١٠٦٠ متراً - المترجم

وصلنا إلى كرينيشكا في المساء عندما أخذت الشمس تميل إلى المغيب. كانت هذه المنطقة بلدة عادية توجد في كنيسرتها بئر بماء بارد يرى فيه الكثيرون علاجاً لبعض الأمراض. وبالقرب من البئر كان هناك حوض مملوء بماء البئر الذي يسحبونه بالسطل وبعد أن فقد أنطون صبره من منظر أخيه إيفان نزع القبعة عن رأسه وبهذا النزع سقطت تحت العربة. فهرستها العربة ولكن نيقولاوي سحب قبعته دون أدنى تضرر ووضعها على رأسه ثانية وتابع طريقه. في هذه اللحظة صرخ ألكسندر: كم أحتاج من الجهد يا صغيرتي قولي للوالد أن المغنين المرتلين وصلوا. وما إن وصلنا وتوقفنا عند أحد الفلاحين حتى أسرع ألكسندر وأنطون للحصول على شبكة وانطلقنا إلى النهر لصيد السمك فاصطادا خمسة كراكي وخمسين سلطعانا. وفي اليوم التالي أعدت الوالدة لنا شوربة سلاطين فاخرة.

قضينا يومين كاملين في كرينيتشكا ثم توجهنا بعد ذلك إلى كنيجايا التي تبعد عشرين فرسخاً عن كرينيتشكا. كان جدنا إيغور ميخايلوفيتش، في ذلك الوقت مدير الشؤون الإدارية عند الكونت بلاتوف<sup>(٢٤)</sup> ابن الزعيم الشهير بطل عام ١٨١٢، وأما كنيجايا فكانت عزبة ارستقراطية مهمة فيها بستان فواكه كبير على ضفة النهر.

كان الجد والجدة يعيشان في بيت فلاحى بسيط. وقد بنياه خصيصاً كي يعيشا فيه وما إن وصلنا إلى هناك حتى رتب الجدان لنا نحن الصغار المبيت والإقامة في الدار المجاورة لهذا البيت الفلاحى إلا أننا لم نستطع، ولا بأي شكل من الأشكال، الإخلاد إلى النوم بسبب كثرة البراغيث مع أن الدار غير مسكونة منذ عدة عقود، في هذه العزبة حلّ شقيقاي أنطون ونيقولاوي ضيفين ذات مرة في العام الفائت وبالذات في موسم الدرس بحيث أنه عندما وصلنا إلى هناك شعرنا كأننا في البيت.

ولكن ورشة الحدادة والحمامات والحديقة والفساحة وانعدام المسؤولية تجاه أي شرع قد جعل إقامتنا في كنيجايا سعيدة للغاية. فهنا في كنيجايا هذه

اكتشفت قبعة نيقولاى التعيسة مصيرها، ولم يستطع نيقولاى الافتراق عنها حتى في لحظات السباحة والاستحمام فهو كان يتخبط في النهر عارياً والقبعة على رأسه إلا أن أنطون تسلل نحوه من الخلف وخلق القبعة عن رأسه فسقطت ووقعت في النهر ولدهشتنا امتلأت بالماء... وغرقت

كان أنطون هو الأكثر موهبة بيننا من حيث التخيل والإبداع إلا أنه كان أقلنا مؤهلات في مجال العمل اليدوي وكان الوحيد من إخوته ذا يدين ناعمتين. كان يعد المحاضرات والمسرحيات ويقدم أهداً ما أو يقلد أهداً ما إلا أنني لم أشاهده ولو مرة واحدة يقوم بأعمال التجليد أو تصليح وتركيب الساعات أو أي عمل جسدي آخر كما كان يفعل بقية الإخوة، باستثناء حادثة واحدة عندما أبدى اهتماماً بالعمل اليدوي كان ذلك في عام ١٨٧٤ عندما تم افتتاح صفوف خاصة بعدد من الحرف في مدرسة تاغانرود تحت إشراف المدعو بورومب، هذا الإنسان الذي كان ماهراً في أعمال الحياكة والجلود... وبقصاصات كبيرة كان يمسح لحيته الطويلة. وبما أن التعليم في هذه الصفوف كان مجانياً فقد تحرق إخوتي شوقاً لتعلم الحرف المختلفة. فشقيقي إيفان اختار حرفة التجليد، وشقيقي أنطون بدأ تعلم مهنة الخياطة وبخطوات جريئة وبهيئة تتم عن معرفة وإطلاع. في ذاك الوقت كانت البنطلونات الضيقة هي الموضة السائدة.

وحاك أنطون القطعة حسب الموضة لدرجة أن رجلي نيقولاى لم تستطيعا الولوج لشدة ضيق البنطلون، إلا أنه مع ذلك صار يمشي بالقطعة الجديدة حتى استطاع إدخال رجله وذهب للتنزه.

وصار صبيان الشوارع يشيرون إليه بالأصابع مستهزئين: يا ناس، يا بشر، انظروا: حذاءه بحجم الباكسة، وسرواله بحجم المعكرونة! وظل تعبير السروال كالمعكرونة طوال العمر.

كان أنطون حاذقاً للغاية في إعداد التمثيلية المنزلية وعندما كنا لا نزال صغاراً مثلاً (المفتش) كما كنا نعد التمثيليات باللغة الأوكرانية عن تشوبرون

وتشويرونوخوا وكان أنطون نفسه يؤدي دور تشويرون ومن بين أروع ارتجالاته هو المشهد الذي وصل فيه رئيس المدينة إلى الكاتدرائية لأجل حضور العرض وصار أنطون في وسط المعبد على السجادة في حشد من القناصل الأجانب.

في هذه الأثناء لم يشارك الأخ الأكبر ألكسندر في حياة الأسرة<sup>(٢٥)</sup> المشتركة. فهو كان يعدُّ كبيراً وكان لا يعيش حياة الأسرة. وبعد فترة سافر إلى موسكو (أي في عام ١٨٧٥) ولم يعد إلى الأسرة إطلاقاً. وكان قد سافر معه الأخ نيقولاوي وتوقفت التمثيليات. وبهذه الصورة انحصر الجيل الفتى من العائلة التشيخوفية في الأخت والإخوة الثلاثة الصغار. وصار أنطون الأكبر إذ أخذ يتمتع بشيء من الهيبة وكان قدر هؤلاء الأربعة أن يفترقوا لفترة طويلة أي حتى أواسط التسعينات.

حل المرض الشديد بجسد أنطون في عام ١٨٧٥ لدرجة أنه صار قاب قوسين أو أدنى من أجداده الراحلين. ولكن لماذا؟ قبل عدة سنوات كان يقطن عندنا في المنطقة موظف صغير في المحكمة التجارية اسمه غابريل بارفينيتشيتش كان من المتطفلين وفي الأماسي كان يلعب في النادي برهانات كبيرة فأصاب الحظ معه وكسب كثيراً لدرجة أنه بعد عشر سنوات كان يملك عدداً كبيراً من الخيول وعربة كبيرة. وأخوه إيفان بارفينيتشيتش كان أيضاً مقامراً ولكن بطريقة أخرى إذ كان يبحث دوماً عن عروس ثرية. وحالفه الحظ وبعث له القدر بزوجة غير شابة أرملة كانت تملك عربة كبيرة في حوض دانييتسك تقدر بعشرات الهكتارات<sup>(٢٦)</sup>.

وإيفان بارفينيتشيتش هذا دعا أنطون للضيافة عنده. وفي طريقه إلى العربة أو في أثناء العودة سبح في نهر بارد وأصيب، على الفور بزكام حاد<sup>(٢٧)</sup>.

بعد عشرين عاماً من هذه الحادثة روى لي إيفان بارفينيتشيتش: أصيب أنطون، وقتذاك، بوعكة صحية شديدة ولم أعرف كيف أساعده فنقلته إلى نزل ووضعناه به.

بعد ذلك نقلوا أنطون إلى داره، وأذكره كما لو أن الحادث قد حدث لتوه، كيف كان مستلقياً على السرير كأنه يعاني من سكرات الموت. وبجانبه طبيب المدرسة الثانوية شتريمب الذي كان يتكلم بلكنة ألمانية يا أنطون إذا كنت تتمنى أن تتعافى.

والوالدة المهمومة الجزعة تغلي بذور الكتان لأجل اللزقة، بينما أنا أركض إلى الصيدلية لشراء الحبوب، ومما أثار دهشتي هو أن اسم مكتشفها (كوفين) مطبوع على كل حبة. ولكن عندما صار أنطون بافلوفيتش طبيباً أعلن أن تلك الحبوب كانت حبوباً دعائية لا ضرورة لها.

ترك المرض ذكريات لا تمحى في أعماقه إذ كان أول مرض ثقيل عاناه في حياته. وبحسب كلامه، هذا المرض بالذات هو الذي أدى به كي يعاني من الباسور الشديد في الفترات اللاحقة. نزيل الدار الكبيرة هو الذي أدخله إليه إيفان بارفينتيفيتش واليهود اللطفاء الذين ضمتهم في (السهب) في شخص موسى موسيفيتش وزوجاته وشقيقه سليمان. وعلى فكرة: إن المرض قد خلق جواً من الصداقة بين أنطون والدكتور شتريمب الذي أنهى كلية الطب في ديربيت، لدرجة أن طبيب المستقبل صار يحلم دوماً بالتوجه إلى ديربيت، بعد كل سنة دراسية والحصول هناك على تعليم طبي. ولو لم تنتقل «لغاية هذا الوقت» عائلته كلها إلى موسكو ربما لكان قد حقق أمنيته المنشودة.

بعد مغادرة الأخين الكبيرين إلى موسكو صار الوالد ينجز أعماله بشق النفس، وقد مرت حياة الأسرة في إطار منغلق وفي جو من الإملاق. كان الصغار يضطرون إلى تمضية الوقت في الشغل. وفي الأمسيات كان أنطون يسلي الجميع بارتجالاته أو كانوا يصغون إلى حكايات الأم والعمة فيدوسايا ياكوفليفتا أو إلى قصص المربية التي عاشت معنا فترة طويلة ولم تتركنا إلا في الفترة الأخيرة. كانت امرأة رائعة تجيد سرد المشاهد التمثيلية من حياتها الغنية بالتجارب لإجادة تدعو إلى الدهشة والعجب. إنها أغافيا ألكسندروفنا كوسكيا التي كانت في صباها من أقنان عائلة إيلوفايكس المشهورة في الجنوب، وقد



خدمت لدى هذه العائلة كصديقة مرافقة لابنة الجنرال إيلوفافسك الوحيدة، وسافرت معها في رحلة طويلة وساعدتها في الهروب من الدار والزواج، رغم إرادة الوالد، من البارون روزين. وعقاباً لها تم بيعها إلى أسرة غربية. كانت تروي الشيء الكثير عن كل ما هو سري وغير عادي وفظيع وشاعري ورومانسي في آن معاً. وبالتأكيد إن السعادة الموصوفة من قبل تشيخوف إنما كانت تتحقق تحت تأثير انطباعات قصصها.

في عام ١٨٧٦ أنهى الوالد تجارته وأغلق المحل نهائياً، وهرب إلى موسكو حيث يعيش والداه الكبيران كي لا يسقط في لجة الديون. كان أحد ولديه، وقتذاك، طالباً جامعياً والثاني في معهد الرسم والنحت والعمارة.... أذكر جيداً تلك الفترة حيث كان الطقس لاهباً والنوم في الغرف كان مستحيلاً لذا كنا نقضي ليالينا في السرادق ونبيت هناك. كان أنطون، حينذاك في الصف الخامس وينام تحت دالية العنب. وفي اليوم التالي كان أنطون يستيقظ في الصباح الباكر ويأخذني معه إلى السوق لشراء المأكولات. وذات مرة اشترى بطة حية. وطوال الطريق كان يضايقها كي تصيح أكثر فأكثر.

وقال: كي يعرف الجميع أننا نحن، أيضاً، نأكل البط.

تفحص أنطون في السوق أنواع الحمام مظهراً أنه مطلع اطلاعاً جيداً على طبيعتها وشكلها وريشها... وكان عنده في الحوش عدد من الحمامات التي كان يطلقها من أعشاشها وعلى ما يبدو كان شغوفاً بهذا العمل. بعد ذلك صارت أعمالنا صعبة وضائق بنا الأمور إلى أن تمّ إرسالنا أنا وأخي إيفان إلى الجدة في كنيجايا ومن ثم عانينا وضعاً كارثياً إذ انتزعوا منا الدار.

كانت دارنا قد بنيت بشق النفس لدرجة أنه لزمنا خمسمائة روبل فاستقرضناها بحوالة من الجمعية المحلية للقروض المتبادلة. كان المانح المدعو كوستينكا الذي كان يخدم في الجمعية ذاتها. ولفترة طويلة ظللنا نماطل حتى اضطر الوالد، أخيراً، إلى الاعتراف بإفلاسه الكامل، وبالفعل دفع كوستينكا على أساس الحوالة وبالمقابل رفع قضية في المحكمة التجارية. في



ذاك الوقت كانوا يسجنون المدينين الذين لا يوفون ما عليهم في حفرة عميقة، وكان على الوالد أن يختفي عن الأنظار فأخذ القطار من محطة قريبة من تاغانروغ كي لا يعرفه أحد.

كان غافريل بارفينيتيتش يعمل في المحكمة التجارية وهو الذي قرر أن يدفع هو نفسه الدين ويحول دون بيع دارنا وإنقاذها لأجلنا.

وقد أكد غافريل بارفينيتيتش لوالدتنا أنه يقوم بهذه الخطوة لأجل الأم والأخت، ويقصد بالأخت - الشقيقة الصغرى ماشا.

وقد رتب الأمور بتثبيت ملكية الدار باسمه وإلى الأبد وبمبلغ خمسمائة روبل دون أية مساومات في المحكمة التجارية. وهكذا صار غافريل يؤم الدار بصفته صاحبها والتقط كوستينكا كل مفروشاتنا ولم يبق للأُم شيء سوى مغادرة تاغانروغ. وقد أمسكت بيدي ويد الأخت ماشا وجلسنا في العزبة والدموع تنهمر بغزارة من مقلتيها كي نسافر إلى حيث الوالد والشقيقان الكبيران في موسكو أي إلى حيث المجهول.

وظل أنطون وإيفان في تاغانروغ تحت رحمة القدر الجائر. فأنطون ظل مقيماً في داره السابقة كي يحافظ عليها حتى دخول المالك الجديد إليها وأما إيفان فقد آوى عنده العمدة مارفا إيفانوفنا، وللعلم نقلوا إيفان أيضاً إلى موسكو وبقي أنطون وحيداً في تاغانروغ كالبومة العمياء. كان عليه أن ينهي دراسته إذ كان لا يزال في الصف الخامس. وعندما ولج غافريل بارفينيتيتش الدار وجد فيها أنطون الذي طلب منه إعداد ابن أخته بيتيا كرافتسوف للكلية الحربية لقاء مأوى وطاولة. كان بيتيا هو ابن ملاك قوزاقي من منطقة الدون. وفي عمله على تدريب بيتيا شعر أنطون أنه قريب من قلبه ناهيك أنهما كانا من الأتراب. وعندما حل فصل الصيف دعاه بيتيا إلى العزبة<sup>(٢٨)</sup>، وفي فترة لاحقة روى أنطون، بكل بهجة وسرور قصة إقامته في وسط هذه العائلة البرية البدائية. فهو قد تعلم هناك استخدام السلاح واستوعب كل روعة الصيد بالأسلحة، كما تعلم كيف يتخطر على الأحصنة البرية. كانت تعيش هناك

أنواع من الكلاب الشريرة لدرجة أنه للخروج إلى أرض الفناء لقضاء الحاجة كان ينبغي إيقاظ أصحاب الدار. لم يكونوا يطعمون الكلاب بل كانت هي بنفسها تقتات ما تجده. كانت الدواجن وحشية لدرجة يصعب الإمساك بها، ومن أجل الحصول على دجاجة للغداء كان ينبغي إطلاق النار عليها من بندقية. وهناك تبدأ عجلات السكك الحديدية وتسمع الأصوات المنفلتة في المنجم «بستان الكرز» وتم بناء الردميات «أضواء» وتدرجت قاطرة البضائع «حالات الخوف» التي انقطعت عن القطار.

كانت تعيش عند المذكور غابريل بارفينيتيتش ابنة أخته ألكسندرا<sup>(٢٩)</sup> التي تعلمت في مدرسة محلية للبنات. قبيل المغادرة إلى موسكو انضمت هذه الفتاة إلينا لقاء النقود وصارت تنام في غرفة واحدة مع أختي. جميعنا أولاد وسرعان ما تصادقنا معها، وهي صارت تروح وتجيء برداء أحمر نوعاً ما ومنقط بنقط سوداء. كان أنطون يشاكسها «بالحشرة الصغيرة» وهي كانت تبكي، وعندما سافرنا إلى موسكو انتقلت إلى دار عمها. بعد ذلك أتوا إلى دارنا سوية، وفيما بعد أي بعد عشرين عاماً عندما عشنا في موسكو في دار كورنييف في كودرنيسكايا - سادوفا، زارتنا وهي كبيرة ومرحة ومحبة للحياة وتغني الأغاني الأوكرانية، مكثت عندنا قرابة الشهر. كان شقيقاي أنطون وإيفان يغازلانها بينما أنا كتبت لها الأشعار ونظمت أشعاراً هجائية ضد الأخوين، كانوا يماحكونها ويشاكسونها بأن شخصاً يتلف لرويتها في الجنوب وهو على غاية الشوق إليها. وكان أنطون تشيخوف يسخر منها بالصيغة التالية: «في برقية عتيقة تم محو سطور بمحاة قلم الرصاص وتمت كتابة ما يلي: (يا ملاكي! يا روعي! اشتقت شوقاً رهيباً. تعالي بأسرع ما يمكن. أنتظر المعشوقة. حبيبك) قرعت في المدخل كما لو كان ساعي البريد وسلمت الخادمة برقية إلى ألكسندرا».

لقد فتحتها وقرأتها، وفي اليوم التالي رغم أننا توسلنا إليها أن لا تغادر المكان فقد سافرت إلى الجنوب. أكدنا لها أن البرقية مزيفة إلا أنها لم تصدق أحداً.

وفي وقت لاحق وقد أصبحت أرملة زارتنا في ميلخوفو وكان مرحها السابق على حاله، وغنت الأغاني الأوكرانية (الرومانس). وأنطون تشيخوف كان يقلدها قائلاً:

ايه! أيتها الاشيبنة! هل ترغبين بأن يخفق صدرك!

في أثناء وجودي وحيداً في تاغانروغ (سنوات ١٨٧٦-١٨٧٩) سافر أنطون، أيضاً، لزيارة صديقه ف.ي. زيمبولاتوف في المزرعة<sup>(٣٠)</sup>. كان يحب الألقاب ومنح هذا الصديق في صفه في الثانوية لقب مكار. وظل هذا اللقب حتى الوفاة. وعندما كانا سوية طالبين في الثانوية كانا يقضيان كل الوقت تقريباً سوية. وقد روى لي أنطون تشيخوف حادثة غرام في حياته عند هذا البدين لكنني، مع الأسف، لم أستطع ذكرها في هذه المذكرات، شعرت بالأسف الشديد لأنني افترقت عن الشقيق أنطون ثلاث سنوات عندما سافرت في عام ١٨٧٦ إلى موسكو وظلت هذه السنوات الثلاث مجهولة في سيرته الذاتية، وعلى فكرة، في هذه السنوات الثلاث بالذات بلغ مرحلة الرجولة وتحول من ولد إلى شاب.

حسبما أذكر عندما كان طالباً في الصف السابع والثامن كان يعشق مغازلة الطالبات وعندما كنت طالباً في الصف الثامن روى أن مغامراته الغرامية كانت بهيجة. وغالباً ما يثني وهو طالب جامعي وأنا طالب ثانوي، على اللحاق بفتاة مارة بجانبنا قائلاً:

اركض، أسرع، الحق بها! فهي لقية بالنسبة إلى تلميذ في الصف السابع!

وفي وقت لاحق بعد رحيل الشقيق أنطون روى لي ألكسي سوفورين نقلاً عن الكاتب نفسه حادثة من حياته، في مكان ما في السهب وفي إحدى المزارع عندما كان أنطون تشيخوف لا يزال في الثانوية كان يقف عند البئر ويشاهد انعكاسه في الماء. قدمت فتاة في الخامسة عشرة من العمر لأجل الماء. لقد سحرت كاتب المستقبل بحيث أنه أخذ، على الفور، يعانقها ويقبلها

ثم وقفا لمدة طويلة بجانب البئر وصارا ينظران إلى الماء صامتين، فهو لم يرغب بالمغادرة بينما هي نسيت الماء الذي كان عليها أن تحضره، وقد روى أنطون تشيخوف هذه الحادثة وهو كاتب كبير أمام ألكسي سوفورين عندما كانا يتحدثان حول موضوع توازي التيارات وعن الحب من أول نظرة.

في هذه السنوات الثلاث غالباً ما كان يزور المسرح ويحب الميلودراما الفرنسية مثل «مقتل كوفيرليه» والهزليات الفرنسية المرححة مثل «ابن الأم المدلل» وقرأ كثيراً ومما ترك انطباعاً خاصاً عنده مسرحية «بين المطرقة والسنديان» لشبيلغاغين وروايات فيكتور هيغو وجورج بورن، وهو نفسه كتب في تلك الفترة دراما «يتيم الأب» وفودفيل (نوع من المسرحيات): «ليس عبثاً أن تغني الدجاجة». وعندما كان في الثانوية اشترك في جريدة «ابن الوطن» وهو نفسه أنشأ مجلة بخط اليد بكاريكاتيرات «الألكن» وصار يرسلها لهما إلى موسكو.

الهيئة العامة  
السورية للكتاب



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

نساfer إلى موسكو - أولى الانطباعات عن العاصمة - رسائل أنطون من تاغانروغ - انتسابي إلى الثانوية - وصول أنطون - تعلم الأخت في دورات غيريه - عوزنا - اثنتا عشرة شقة خلال ثلاث سنوات - عام ١٨٧٩ - أنطون ينتسب إلى الجامعة - نزلاء معنا بالأجرة - العمل على تحسين الوضع المادي للأسرة - بدايات أنطون في الصحافة - صداقة نيقولاي مع م.م.ديوكوفسكي - (التجار) الأمراء والنبلاء في موسكو - قطع علاقة أنطون مع (اليعسوب) - ف.ف.دافيدوف - في هيئة تحرير (المشاهد) - (قصة الملك وبوندارريقتا) - رسومات نيقولاي - آ.م.ديمترييف ((البارون غالكين)).

وصلت الأم إلى موسكو في ٢٦ تموز ١٨٧٦ ومعها أنا وأختي. تاغانروغ مدينة جديدة بشوارع مستقيمة وأبنية أنيقة ومتقنة وهي كلها مشجرة ومعها تبدو جميع شوارعها وأزقتها منتزهاً عاماً. وهذا ما توقعته من موسكو لكن بضخامة أكبر، ففي دارنا ومنذ زمن بعيد حتى قبل أن أرى النور كانت معلقة على الجدران لوحات تصور لندن وباريس والبندقية. وعلى لوحة البندقية كنت ترى القنال الكبيرة مع القصور على الضفاف وقوارب الجنود. وتحت اللوحة توقيع بثلاث لغات «Vue de Venice»، «Aussicht von Venedig» وبالروسية «الصباح في فينيسيا». وهكذا ترسخ في دماغي الطفولي انطباع بأن عاصمة كل دولة ينبغي أن تكون جميلة وأنيقة وتلبي متطلبات الثقافة

المعاصرة. ما أشد استغرابي وخيبة أُملي عندما أوصلنا القطار محطة كورسك القبيحة وقتذاك، التي كانت تستطيع قبل محطة تاغانروغ الانطلاق أبعد من العنبر، وعندما رأيت الأرصفة المقرفة والأبنية المنخفضة والشوارع المعوجة والخرقاء والكثير من الكنائس غير الجميلة والحوذي رث الثياب بشكل يبحث عن الفقهة في تاغانروغ على ذلك. في الحقيقة وصلت إلى موسكو وأنا أعرفها قليلاً والكرملين وبرج سوخاريف من خلال الرسومات المتضمنة في مجموعة «النحلة» المطبوعة في عهد القيصر غوروخ وهي موضوعة عندنا على المنضدة مع كتاب «أولاد الكابتن غرانت» ولكني أصبت بخيبة الأمل حتى من مشاهدة الكرملين والبرج.

كان الوالد والشقيق نيقولا في استقبالنا في المحطة. وبما أن الوالد كان لا يملك شروى نقير بل حتى ستة قروش لأجل استخدام مزالج الجليد لذا اجتزنا المسافة سيراً على الأقدام. كان الوالد لا يزال دون وظيفة والأخوان دون عمل وهذا الأمر قد ترك تأثيره علينا منذ لحظة وصولنا إلى موسكو. وقد اضطررنا جميعنا إلى العيش في غرفة واحدة تحت الدرج، حيث كان علينا أنا والأخوان ألكسندر ونيقولا أن ننام فيها. وقد ترك الانتقال الحاد من منطقة القمح الجنوبية إلى خبز الجودار السيئ انطباعاً قابضاً للنفس. لم تكن لدينا أية أدوات لذا كان يجب الذهاب إلى الدكان لأجل كل صغيرة وكبيرة وسرعان ما تحولت إلى ولد للذهاب والإياب وأختي ماشا ابنة الحادية عشرة من العمر انشغلت بالغسيل والتنظيف والكوي لأجل الأسرة كلها. وهي صغيرة حتى إنها كانت تكوي القمصان المنشاة لأجل الوالد والإخوة الكبار. كنت معتاداً على الأرجاء الرحبة في تاغانروغ بينما هنا لا مكان للتجوال. كانت هذه السنين الثلاث الأولى من حياتنا بلا قرش واحد عذاباً لا يطاق. وقد اشتقت إلى الديار. غالباً ما كنت مع بعد المسافة أمشي إلى محطة كورسك كي أستقبل القطار القادم من الجنوب وأتحدث مع المسافرين القادمين من تاغانروغ وأبعث، من خلالهم، التحيات.

وغالباً ما كان أنطون يكتب إلينا من تاغانروغ وكانت رسائله مفعمة بالفكاهة والمرح والسلوى. لقد هلكوا في جوف الشقق الموسكوفية<sup>(٣١)</sup> ومنها كان من الممكن استقاء المعطيات عن مسار تطور وتكوين موهبة. وغالباً ما كان يسرد في رسائله الألغاز مثل: (لماذا تعوم الوز؟) أو (ما هي الأحجار الموجودة في البحر؟) وأرسل ذات مرة حذاء مملوءاً بالتبناك: هذا خاص للأشقاء وقد باع تلك الأشياء القليلة التي بقيت محفوظة في تاغانروغ بعد سفر الوالدة - علب وطناجر صغيرة لقاء مبلغ زهيد وتراسل مع الأم. الأم التي لم تكن تعترف بعلامات الترقيم كانت تكتب له الرسائل التي تبدأ بالتالي: (أنطوشا في بيت المونة على الرف....) إلخ، و كان هو يسخر أنه نتيجة للبحث والاستقصاء تبين أنه لا وجود لأي أنطوشا في بيت المؤونة. كان يشجعني على القراءة مشيراً علي بالكتب التي ينبغي قراءتها. وعلى فكرة صارت مسألة مواصلة تعليمي أنا وأختي ومنذ الأيام الأولى من استقرارنا في موسكو، حادة للغاية. وصلت إلى موسكو منتقلاً إلى الصف الثاني والأخت ماشا (ماريا) إلى الصف الثالث. بدأت الدراسة في ١٦ آب، و مكثنا نحن في الدار لأننا لم نملك شيئاً ندفعه لقاء الدراسة إذ طلبوا مباشرة من كل واحد منا ٢٥/ روبلاً وكان من المستحيل تأمين هذا المبلغ في تلك الأوقات.

مر شهر آب وأيلول، وفي تلك السنة حل البرد قبل أوانه ونحن لم نزل مع الأخت نمكث في الدار. وأخيراً، صار الأمر خطراً. وقد تحدثوا في أمري كي أعمل وأنا ولد صغير في مستودع (عنبر) التاجر غابرييلوف الذي يصفه تشيخوف في قصته الطويلة «ثلاث سنوات»، كان يعمل في العنبر ابن أخ والدي الذي كان من السهل عليه حمايتي إلا أن هذا الأمر أوصلني إلى حالة من الفزع. وانتهى الأمر بأنني، دون أن أنبس ببنت شفة لأحد، هربت إلى الثانوية الثالثة في لوبيانكا. لقد رفضوني ففتشت عن عناوين الثانويات واتجهت نحو محطة كورسك التي أعرفها كي أصل هنا إلى الثانوية الثانية. دخلت بجرأة إلى المدرسة وصعدت إلى الأعلى واجتازت قاعة الاحتفالات التي كان يجلس في نهايتها وراء المنضدة المدير وحيداً.



كنت أسمع أصوات الصفوف الدراسية. اقتربت من المدير ورويت له، وأنا لم أتخلص بعد من اللكنة والنبرة الجنوبية، ماذا أريد محاولاً بألفاظ العبارات لأعبر له عن رجائي بأن يقبلني وأن لا يقف عنبر غابرييلوف لي بالمرصاد منتظراً ومتوقفاً عودتي بينما أريد تحصيل العلم. رفع وجهه المحلوق وسألني: لماذا لم يحضر والداك فأجبت بشيء ما موفق بينما أخذ يتأمل الموضوع قائلاً:

حسناً، أقبلك. ابدأ الدراسة منذ يوم الغد ولكن ليحضر معك واحد من الأهل كي يوقع الأوراق.

تبعد الثانوية عن شقتنا أكثر من ثلاث كيلومترات قطعتها جرياً. وما إن عرفوا في الدار عن عودتي إلى الثانوية حتى غمرتهم الفرحة وظلوا يتناقلون الخبر بأن: (ميخائيل عاد إلى الثانوية دون عون من أحد).

كان الشتاء قاسياً ومعطفي الشتوي سيئاً جداً وكنت أهلك مرة في الذهاب سيراً على الأقدام لأكثر من ثلاث كيلومترات وفي الإياب الوضع نفسه، لذا غالباً ما كنت أبكي في الشارع بسبب الصقيع الذي لا يطاق. وكان والدي يتكفل بمصروفي لفترة من الوقت. وقد عاد إلى عنبر غابرييلوف كي يعمل بصورة مؤقتة كاتباً<sup>(٣٢)</sup>. وأنا بعد المدرسة كنت أحث الخطى إلى العنبر كي أساعد الوالد. في هذه الأثناء قدم إلى العنبر تاجر يريد شراء بعض السلع من غابرييلوف وما إن رأيته حتى شرع في الحديث معي وطرح الأسئلة. وقد فارق هذا التاجر الحياة في ذاك الشتاء بعد أن أوصى لي بخمسين روبلاً سنوياً لأجل إتمام تعليمي.

وكان التاجر المتوفى قد كلف غابرييلوف بتسليم النقود لي. وغابرييلوف هذا كان، في كل مرة، يجري معي تحقيقاً حول ما إذا كنت لا أنقطع عن الكنيسة وأبجل القيصر دوماً وفيما إذا كنت أهياً نفسي للانتساب إلى صفوف (الاشتراكيين) الخ مما سبب لي حالة من الأسى والضجر، إذ أنني بدءاً من الصف الخامس وعندما صرت أكسب عيشي بنفسي تخلّيت عن هذه الصدقة.

لقد أفرحنا أنطون بقدومه إلى موسكو عشية عيد الميلاد ١٨٧٦<sup>(٣٣)</sup>.  
تجولنا في أرجاء الكرملين ومن ثم في العاصمة. وفي اليوم الأول أرهقناه  
لدرجة أنه في الأيام التالية صار يشتكي أن كعبي قدميه صارا يقشعران من  
شدة التعب. وخلافاً لكل التوقعات تركت موسكو لديه انطباعاً صاعقاً. وبسبب  
انعدام النقود لأجل بطاقة العودة فقد بقي حتى الصوم الكبير وغادر موسكو  
بتقرير طبي عن المرض كان الدكتور يابلونوفسكي قد أعطاه إياه عن طريق  
الشقيق ألكسندر. وعندما كان أنطون في ضيافتنا روى لنا عن ثانوية  
تاغانروغ وشيطة التلاميذ وندرة الصداقة مع المعلمين مما أجبرني على  
الحزن والكآبة لأنني عانيت الكثير في المدرسة.

أخذت، تتكاثر محاولات اغتيال اسكندر الثاني آنذاك، وصار الثوريون  
السريون يطورون نشاطهم وصاروا يجاهرون علناً عن مطالبهم بالدستور.  
وكان رد الفعل أن تنامت الرجعية وصاروا ينتزعون من الناس حتى من  
الصغار الاعتراف بأنهم (اشتراكيون) غصباً وكرهاً. وأخذ يسيطر في وزارة  
التعليم مذهب سخيّف وتافه يقوم على أن الخوف يؤدي إلى الاحترام، وأما  
الاحترام فيؤدي دوماً إلى الحب. واعتقدت إدارة المدرسة أن غرس بذور  
الخوف الجنوني سيؤدي إلى إيقاظ مشاعر الحب تجاه الحكومة، وظهر في  
صفوف المعلمين شعراء لتمجيد ذلك. البعض منهم انطلاقاً من الرغبة في تقديم  
علامات التزلف وآخرون بسبب الحماسة وغيرهم لمجرد وجود سادية عادية.  
ومن الصف الثالث يبرز المدرس ك.ك. بيسكوفسكي<sup>(٣٤)</sup>، كان يتهم على  
الصبيّة ويسكر ويعربد فرحاً بالأمهم. وكان يؤلف الكتيبات غير الضرورية  
وكان ينبغي علينا أن نشتريناها وندفع روبلاً و/٥٠/ كوبيكاً أو روبلين لقاء  
النسخة الواحدة فقط كي يجني النقود بينما صارت هذه الكتيبات تهتري دون  
أن نستخدمها. كانت حالة من الهستيريا تجري في الدراسة. وما إن يظهر  
المفتش المناوب حتى يصبح الجميع مثل النعاج خنوعين. وقد جرى احتفال  
مهيّب في كنيسة المدرسة بمناسبة الانتقال من الكاثوليكية إلى الأرثوذكسية.  
وأما المعلم المذكور فقد خرب مصير وحياة الكثيرين من التلاميذ. وذات مرة

ما حك أحد تلاميذ الصف الخامس لدرجة أن ذاك الجالس على طرف وهو أيضاً من طلبة الصف الخامس واسمه راكوف لم يتحمل ونهض من مكانه وصرخ ساخطاً:

أوه! أنت يا بيسكوفسكي! أرى أنك سافل لدرجة لا توصف. بالطبع تم طرد راكوف من المدرسة على الفور بعد انتهاء الدرس وأما بيسكوفسكي فقد ظل مدرساً للغات القديمة فترة مديدة.

وهناك مدرس آخر وبجعة استئصال التدخين في صفوف الطلبة كان يفتش الجيوب وينتزع منها علب السجائر الفضية دون أن يعيدها إليهم. وحدثني المترجم المعروف للكتب المدرسية الخاصة باللغات القديمة يا.ي.كريمير الذي درس على يده شقيقي وأنا، بأنه قبيل الامتحانات النهائية التي كان على ابنه أن يقدمها وهو من أترابي، قدم إليه زميله في الخدمة في الساعة الثانية ليلاً وهو أيضاً واحد من أساتذة اللغات القديمة ورفعته عن السرير. ذهب يا.ي.كريمير إلى أسفل بالميدعة والشمعة في يده.

قال الغريب: خسرت في القمار. أعطني الآن خمسة وعشرين روبلاً.

أجاب يا.ي.كريمير: ليس معي هذا المبلغ.

هل نسيتم أن امتحان ابنكم غداً؟

تململ يا.ي.كريمير وصعد إلى الأعلى وحصل من السفت على الخمسة والعشرين روبلاً وبعد أن رجع، سلم المبلغ بإذعان إلى الزميل الذي خسر في القمار.

والشيء الأكثر إدهاشاً هو أن مثل هذه الزمرة المتنفذة كانت تحتدم غيظاً ولا تريد سوى أن يكون الطالب هو المذنب. أذكر ذاك الهرج والمرج الذي دوى في مدرستا عندما وجدوا عند طالبيين من صفي رواية تشيرنيشيفسكي «ما العمل؟».

وفي وقت لاحق صدر في وزارة ديليانوف تعميم بأن لا يتم قبول أبناء العائلات الفقيرة في المدارس إطلاقاً وأنا كنت فقيراً بألبسة مرقعة بالكامل

وكان خطر الطرد يهددني. كان على المعلمين مراقبة حياة التلاميذ الشخصية ولهذا السبب كان الجواسيس ينسلون إلى الشقة في أخرج الأوقات عندما كنا جميعاً نستعد للنوم أو نكون متحلقين حول العشاء.

يبدو أن هذا الإرهاب لم يصل بعد حتى الجنوب وإلى تاغانروغ التي كانت منطقة تعليمية أخرى تماماً لأن أنطون كان عندما زارنا، مرحاً ومحباً للحياة، وما ذكره عن صداقته مع المعلمين بدا لي أشبه بالحكاية الخيالية. جميع رفاقي وزملائي في الصف كانوا متجهمين ودائماً ينظرون حولهم وهم مقطبون وعابسون وبهذه الطريقة تم غرس الحب والاحترام للحكومة في الوسط الدراسي الموسكوفي.

في هذه الفترة تعرف شقيقي أنطون بابن عمه ميخائيل ميخائيلوفيتش تشيخوف. وكان ميخائيل ميخائيلوفيتش ابن عمنا الأكبر ميخائيل ايغوروفيتش وكما ذكرت أعلاه كان جدنا ايغورميخائيلوفيتش قد توجه إلى كالوغا كي يتعلم حرفة التجليد. وأما ميخائيل ميخائيلوفيتش فقد كان جميلاً إلى حد الإدهاش، مستقيماً، أميناً، طيباً ورب أسرة رائعاً. وقد سمع منا عن أنطون حتى قبل أن يتعرف به على الرغم من فارق السن الكبير (كان عمره وقتذاك ثلاثين عاماً) هو أول من كتب إلى أنطون في تاغانروغ رسالة عرض فيها صداقته. بدأت المراسلات بينهما ولم يتعارفا إلا الآن عند قدوم أنطون إلى موسكو. كان ميخائيل ميخائيلوفيتش<sup>(٣٥)</sup> يخدم في عنبر ي.يه. غابريلوف السيئ الصيت بينما هو ذو وجه أمين يوحى بالثقة وعقد صداقة مع ذاك التاجر الذي هو نفسه في قصة تشيخوف الطويلة «ثلاث سنوات». وعلى فكرة كانت لميخائيل ميخائيلوفيتش عادة وهي أنه عندما يطرح الأمر علينا يقول في كل مرة (عدا...).

كان الوضع أصعب بالنسبة إلى استئناف التعليم لدى الأخت. فهي بسبب التغيب طوال الفترات السابقة وعدم وجود وظائف شاغرة رفضوها في كل مكان رفضاً حازماً. وربما بسبب المشاغل العائلية والجهد الشاق في

العمل أو بسبب انعدام الممارسة القروية لم يستطع الوالدان الشروع في هذا الشأن كما ينبغي. ولكن هنا سار كل شيء بصورة موفقة وناجحة إذ تمكنت الأخت بنفسها من تقرير مصيرها وأنهت دورة دراسية وحازت لقب معلمة منزلية في جميع المواد. بعدها انتسبت إلى دورات دراسية أعلى وأكملتها بنجاح. وأنا بكل الغبطة والفرح أتذكر تلك الفترة عندما كانت تستمع إلى الأساتذة الكبار من أمثال كلوتشفيسكي وكاريلين وغيريه وستوروجينكوز. كنت، حينذاك في الصفوف العليا من الثانوية والكتب المدرسية المملة وأنقل لأختي المحاضرات، وفجأة غصت في العلوم الغربية عني وأقول إنها أكثر من تعاملي مع محاضرات أختي، قد حددت تعليمي المستقبلي. بدا أنه بوجود الأخت في الصفوف النسائية العليا عند (غيريه) قد تبدلت حياة أسرتنا نفسها، وقد تصادقت الأخت مع زميلات الصف وكانت تدعو الصديقات للقاء عندنا كي يقرأن كارل ماركس وفليروفسكي وغيرهما كثير، مما كان يمكن التحدث عنه فقط همساً وفي محيط ودي وألوف، وتبين أن جميع أولاد الفتيات يتمتعن بنمو الذهن والظرافة. وظل بعضهن من ضمن معارفنا إلى وقتنا الحاضر. وقد غازل الشقيق أنطون إحداهن وعلى ما أظن يونوشيفا، وكان يرافقها إلى الدار وصار يدافع عنها في بداياتها الأدبية بل حتى نظم الشعر لأجلها:

مثل دخان السيجار الحالم،

حملتك في أحلامي،

حاملاً معي ضربات القدر،

والقبة الملتهبة على الشفاه...

الخ.

ومع الأخرى - وهي فلكية ا.ك.<sup>(٣٦)</sup> لم يقطع العلاقة حتى الرحيل، وعرفها على ألكسي سوفورين، وشارك الاثنان في مصيرها. وعلى فكرة، أظهرها (في السمات الخارجية) في صورة راسودينا في قصة «ثلاث سنوات» الطويلة.

وأخيراً، بعد ثلاث سنوات من البحث عن مكان للعمل تمكن الوالد من الحصول على وظيفة حقيقية عند ي.يه. غابريلوف نفسه في قسم الكتابة براتب شهري مقداره ثلاثين روبلاً في الشهر مع الحق في السكن والطعام في الدار في زامسكفوريتشيه سوية مع غيره من الدكنجية والنظارة. أما الأخ الأكبر ألكسندر فقد انفصل عن الأسرة منذ زمن، والفنان نيقولاي تعلم في مدرسة الرسم وعقد صداقة مع زميله في الدراسة ف.و. شيختيل الذي صار، لاحقاً، مهندساً معمارياً وأكاديمياً شهيراً. وهو الذي بنى، على فكرة، المسرح الفني الموسكوفي. وصار إيفان في عداد المعلمين الريفيين. وانضمت إلى أسرتنا العمدة فيدوسيا ياكوفلوفنا التي كنا نكتب إليها من تاغانروغ، عشنا في حالة من الفقر المدقع ولم نتلمس أي أفق جديد لاحقاً. وخلال ثلاث سنوات من إقامتنا في موسكو غيّرنا مكان السكن اثنتي عشرة مرة، وأخيراً في عام ١٨٧٩ استأجرنا داراً في قبو دار عائدة لكنيسة القديس نيقولاي في غرانشيفك حيث تفوح الرطوبة وعبر النوافذ تحت السقف لم نر سوى كحوب المارة.

في هذه الشقة بالذات وفي عام ١٨٧٩ زارنا شقيقنا أنطون<sup>(٣٧)</sup> الذي كان قد أنهى لتوه ثانوية تاغانروغ وقدم إلى موسكو للانتساب إلى الجامعة. لم نره طوال ثلاث سنوات وكنا ننتظر وصوله بفارغ الصبر حتى منذ الربيع أي تماماً عند انتهاء الامتحانات إلا أنه وصل فقط في بداية آب، إذ تأخر لأسباب ما جدية في تاغانروغ. ويعود هذا الشيء الجدي إلى أنه انهمك في موضوع تأمين منحة قدرها ٢٥/ روبلاً في الشهر كانت قد قررتها إدارة مدينة تاغانروغ لواحد من مواليدها بهدف الحصول على تعليم عالٍ. وبهذه الصورة، لم يسافر إلى موسكو بيدين فارغتين. عدا هذا فقد أحضر معه وهو كان يعرف ضيق الحال لدى أسرتنا نزيلين (بالأجرة) من رفاق المدرسة هما ف.ي. زيمبولاتوف ود.ت. سافيلوف. وقد وصل إلينا قبلهما وبالذات عندما كنت أجلس وراء البوابة كي أتدفأ بالشمس. أنا لم أعرفه. هبط من العربة شاب طويل القامة بتياب مدنية. وما إن رآني حتى قال:

مرحباً! يا ميخائيل بافلوفيتش.

عند ذلك فقط عرفت أن هذا كان شقيقي أنطون وأسرعت من شدة الفرح كي أعلم الوالدة.

دخل إلينا شاب مرح وبدأت المعانقات والقبلات، وفي اللحظة ذاتها أرسلوني إلى إدارة البرق كي أعلم الوالد في زامسكفورريتشييه عن وصول أنطون وسرعان ما ظهر زيمبولاتوف مع سافيليف وبدأ ترتيب المأوى للقدامين وأنا كنت كالمحموم تماماً ومن ثم توجهنا سوياً لمشاهدة موسكو. كنت كالديلل وذهبنا إلى الكرملين وشعرنا جميعاً بالتعب. وفي المساء حضر الوالد وتناولنا العشاء سوياً ونحن في غمرة من الفرح والمرح كما لو لم نعشه سابقاً.

وفي اليوم التالي مفاجأة جديدة. زارنا شخص من قياتكا ومعه ابنه الجميل والناعم كالفتاة. عرف من جهة ما أننا مستقيمون وشرفاء لذا قرر أن يرجو الوالدة كي تقبل بابنه كنزِيل بالأجرة عندنا، وكان هذا الابن القادم إلى موسكو يعتزم الانتساب إلى الجامعة. كانوا أثرياء للغاية وأما شقتنا فكانت حقيرة ومعتمة وتقع في قبو عميق ولكن الوالد الذي كان يشغل باله أخلاقية ابنه لم يعر الاهتمام بهذا الوضع وطلب منه أن يقيم عندنا. اسم الشاب نيقولايف إيفانوفيتش كاروبوف وسرعان ما تصادق مع أنطون وكانا صديقين مقربين حتى آخر أيامهما. وهكذا التقى أربعة طلاب في شقتنا الضيقة، وجميعهم أطباء تربطهم وحدة العلم وعلى مستوى رفيع من الأمانة والاستقامة. وصارت حياتنا، على الفور، أسهل من الناحية المادية. طبعاً لم تكن هناك أرباح نجنيها من هؤلاء النزلاء إذ كانت الوالدة تأخذ من كل واحد منهم مبلغاً في أدنى الحدود وتطعمهم حتى الشبع، لذا صارت مائدتنا، بلا شك أغنى وأكثر تنوعاً.

كان تقديم الطلبات إلى الجامعة حتى العشرين من آب على اسم رئيس الجامعة في المبنى القديم في موخوفا في بناء كرية ومقرف تحت إلى اليمين.

لم يكن أنطون بعد يعرف موسكو جيداً وكنت أنا أرافقه إلى هناك. دخلنا إلى غرفة قذرة وضيقة بسقف واطئ ومملوءة بدخان التتباك حيث وقف كثرة من الشباب. على ما يبدو أن أنطون ظنّ شيئاً ما آخر، أي جامعة ضخمة لأن ما شاهده ترك عنده انطباعاً غير بهيج إطلاقاً. ولكن لأنه اضطر إلى العمل في المشرحة وفي المستشفى ولأنه كان نادراً ما يعمل في مخوفاً، إن كل هذا قد خفف من حدة وثقل الانطباع الأول. وعلى فكرة كان في غير وارد الانطباعات إذ تراكمت المسؤوليات والجهد بحيث لم يكن هناك وقت للتفكير بالعواطف.

منذ خريف تلك السنة انتقلنا جميعاً إلى شقة أخرى في غراشيفك نفسها في دار سافيتسكي في الطابق الثاني وتوزعنا على الشكل التالي: زيمبولاتوف وكاروبوف في غرفة، وسافيليف في أخرى، وأنطون وأنا في الغرفة الثالثة، والوالدة والأخت في الرابعة، وكانت الخامسة للاستقبال لأجل الجميع. في هذا الوقت كان الوالد يعيش عند غابري洛夫 وإرادة القدر حل الشقيق أنطون محله في الأسرة ورجعت شخصية الأب إلى المقام الثاني. وإرادة أنطون صارت السائدة. ظهرت في أسرتنا، فجأة، ملحوظات مجترة حادة ومجهولة بالنسبة إليّ حتى اللحظة: (هذا غير صحيح)، (ينبغي أن تكون عادلاً)، (يجب أن لا تكذب) الخ.... بدأ العمل المشترك لرفع مستوى وضع الأسرة المادي. جميعاً اشتغلنا كل حسب قدرته. فأنا، مثلاً، كان يجب عليّ أن أستيقظ كل يوم في الساعة الخامسة صباحاً وأشتري المأكولات وأعود إلى الدار كي أشرب قدحاً من الشاي، بعدها أسرع إلى المدرسة. وكثيراً ما يحدث أن أتأخر عن الدروس وأنا أشبه بالجبل الجليدي... ومن هذه الشقة بدأ نشاط أنطون الأدبي.

لم يعيش ألكسندر معنا كما ذكرت أعلاه. ونادراً ما كنا نراه. لقد درس في الجامعة دون نهاية<sup>(٣٨)</sup> و لم نكن نعرف نحن ماذا كان يشغل حينذاك. كان لديه صديقان في كلية الرياضيات هما الأخوان ليونيد وإيفان ت.<sup>(٣٩)</sup> كانا يتيمين لطيمين وثرين جداً، وكان مفتش المدارس الشعبية ف.ب.ماليتشيف منفذ وصيتهما. كانت هذه مزرعة شاسعة بحديقة هائلة ومغطاة بالليلك، عاش



الأخوان على أحد جانبي البوابة في دار والدين كبيرة وأما ف.ب.ماليتشيف ففي جناح على الجانب الآخر. في الزمن الموصوف كان الأخوان ليونيد وإيفان ت. قد بلغا سن الرشد وعندما كانا لا يزالان غريّن استلما من ماليتشيف المزرعة والرساميل التي حصلا عليها من الوالدين.

بدأت سهرات السكر والمنادمة، تخاصما على النقود وكانا يتناولان الكحول وتصادقا مع نساء مشبهوات السمعة. وكان ألكسندر نديمهما. وقد عرف أخانا المتواضع إيفان بهما إلا أنه حافظ على وضعهما بالتحفي جانباً عنهما وتصرف بثبات إذ إنه تميز عن هذا الحضور على خلفية هذه الحياة المنفلتة. وهذا الأمر لفت انتباه ماليتشيف الذي تأسف وهو يرى ماذا يحل بأموال الوالدين. لقد أعجب بإيفان. تحدثا. وبعد أن عرف أنه نظراً للظروف التي لا ذنب له فيها خسر الإمكانية لمواصلة تعليمه في المدرسة ويستعد الآن للدوام في دورة تعليمية في الإدارة العسكرية. و ف.ب.ماليتشيف كمفتش للمدارس الشعبية في محافظة موسكو اقترح عليه تقديم الامتحان مباشرة كي يصبح معلماً في الأبرشية والتوجه فوراً إلى المكان المنشود. وقد فرح إيفان (وجميعنا) بهذا. سافر إلى زفينيغورد وقدم امتحاناً وسرعان ما تم تعيينه من قبل ماليتشيف معلماً خارج الملاك في مدينة فسكريسنيك الصغيرة التابعة لمحافظة موسكو. سافر إلى هناك وانخفض عدد أسرتنا شخصاً واحداً. ولهذا السبب هو غير مذكور من قبلي في عداد قاطني شقتنا عند سافيتسكي. نال الشقيق أنطون منحة من تاغانرورغ ليس شهرياً بل مباشرة عن ثلاثة أشهر مائة روبل. وهذا لم يخفف من أعباء ظروفه الحرجة لأن المبلغ كله يغطي الديون وكان ينبغي شراء معطف شتوي ودفع قسط الجامعة الخ. وفي اليوم التالي صار صفر اليدين. وأذكر كيف أنه، وللمرة الأولى، حصل على مثل هذا المبلغ واشترى عدداً من المجلات الهزلية ومن ضمنها «اليعسوب»، ومن ثم كتب إليها شيئاً ما، وصار يشتري مجلة «اليعسوب» من بائع الجرائد أسبوعياً منتظراً بفارغ الصبر الرد على رسالته في صندوق بريد هذه المجلة.

كان الوقت شتاءً وأذكر كيف كان أنطون، وبيدين باردتين، يتصفح، في الطريق من الجامعة عدداً من هذه المجلة التي اشتراها. وأخيراً ظهر الرد: (ليست رديئة إطلاقاً. موافقون، مع التأييد اللاحق) ومن ثم في آذار ١٨٨٠ ظهر في العدد ١٠/ من «اليعسوب» أول عمل لأنطون تشيخوف. ومنذ ذلك الوقت بدأ نشاطه الأدبي المتواصل. عنوان العمل في المخطوطة (رسالة إلى الجار العالم) وهي في صيغتها المكتوبة مادة كان يقدمها في الأمسيات عندنا في الأسرة عندما كان يزورنا الضيوف، وكان هو يظهر أمامهم بصفته أستاذاً سخيفاً يلقي أمام الجمهور محاضرة عن اكتشافاته. وغمر ظهور أول عمل للشقيق أنطون أسرتنا بفرحة عارمة. وتزايدت هذه الفرحة بالنسبة إلي شخصياً لاسيما نشرت في الآن ذاته شعراً في مجلة «نور وظلال» أنني التي ترجمتها عن الألمانية ونلت أتعابي عليها روبلاً واحداً وعشرين كوبيكاً.

كما مر معنا درس شقيقي نيقولاي الرسم في ميسنيتسكايا مقابل البريد في مدرسة الرسم والنحت والعمارة. وكان ك.ي.ماكاروف معلم الرسم في المدرسة العسكرية الثالثة (كانوا وقتذاك يطلقون على مباني الكاديت تسمية المدارس العسكرية) إذ كان يمشي يوماً لحضور الصفوف المسائية من ليفورتوفو البعيدة. كان يود أن يصير فناناً حقيقياً ويحلم بالاستقالة كي يتفرغ نهائياً للفن. تصادقوا مع نيقولاي، وغالباً ما صار ك.ي.ماكاروف يزورنا وأحب أسرتنا. كانوا يمشون سيرا على الأقدام إلى ليفيرتوفو، ونحن أيضاً كنا نزوره. وهناك تعرفنا إلى واحد من معلمي المجموعة م.م.ديوكوفسكي الإنسان المرهف الإحساس تجاه الفن والذي تحول لاحقاً إلى عابد لشقيقي نيقولاي وأنطون. كان يقدر تقديراً رفيعاً كل سطر يخطه أنطون وكل جزء من لوحات نيقولاي، وحافظ عليها تماماً كما لو كان يستعد لتسليمها إلى متحف ما. وعندما بدأ نيقولاي العمل على لوحة كبيرة مثل (نزهة في ساكولينكي) أو (العاهرة) ضمن ديوكوفسكي له مبيتاً في دار المبيت الجامعي، وشغلت لوحات الشقيق على منصات الرسام كل الزوايا في غرفته. كان يوقفه

في وضعية خاصة لرسمه، بل حتى إنه كان يضع عليه رداءً نسائياً عندما كان الأمر يتطلب رسم الثنيات. وكان مضحكاً النظر إلى شاب بذقن ويرتدي كالنساء.

وعلى فكرة هو خالد في لوحة نيقولا (نزهة في ساكولينكي) في صورة شاب في المقام الأول وباقية في اليدين. ويعتقد البعض<sup>(٤٠)</sup> أن هذا هو شقيقي أنطون ولكن هذا غير صحيح.

استقال ك.ي.ماكروف فعلاً ورحل إلى بطرسبورغ للانتساب إلى أكاديمية الفنون، وفي العام ذاته فارق الحياة بمرض التيفوئيد. وبناءً عليه ظل صديق واحد مقيماً في ليفروتوفو عند إخوتي فقط. لم يقطعوا معه حبل التعارف حتى آخر العمر. وكانت تبعث السرور فينا زيارة دار م.م.ديوكوفسكي رغم أن اجتياز المسافة من غراتشيفكا إلى ليفروتوفو يعدّ مأثرة. غير أننا أنا وأنطون قطعنا المسافة رغم الصقيع القارس وما أربه خاصة اجتياز جسر ياوزوس الذي تضج تحته مياه غير جامدة وتحيط بها ببداء مرهقة. ويتذكر أنطون هذا الجسر عندما صار كاتباً معروفاً. وفيما عدا ضيافة ديوكوفسكي مما جذبنا إليه هو كثرة المجلات المصورة التي كان يشترك فيها أو التي كان يأخذها من مكتبة الكاديت التي استطعنا التعرف إليها فقط هنا وليس في أي مكان آخر. كنا نأخذ، أحياناً، هذه المجلات إلى الدار، ونجرّ المجلات الضخمة في الصقيع القاسي. ونضطر إلى مسك الأذنين وفركهما والدوس على الأرض برؤوس الأصابع للتحمية.

انفصل ديوكوفسكي عن رئاسة الكاديت وسرعان ما انتقل إلى المدرسة الميشانية<sup>(\*)</sup> في الطرف الآخر من موسكو في شارع كالوجسكايا، حيث أشرف على شؤون المدرسة مع مكتب وشقة. وصار الأخوان تشيخوف يزورانها هنا

---

(\*) الميشانية في الإمبراطورية الروسية سنوات ١٧٧٥-١٩١٧ هي فئة من الحرفيين وصغار التجار وأصحاب العقارات. وكان حتى عام ١٨٦٢ يمكن، حسب القانون، تعريضهم للعقاب الجسدي. والميشاني بالمعنى المجازي هو شخص ذو مصالح ضيقة وأفق محدود - المترجم.

أيضاً، وأما شقيقته فقد تحولت إلى استوديو لأخي نيقولاي. وتكاد لا تربطنا قرابة بديوكوفسكي.

كان لدى الوالدة في شويبا ابنة خال تزوجت برئيس مجلس المدينة ن.آ. زاكاريوكون الذي كانت له ابنة من الزواج الأول وهي تأهلت بالمدعو ي.ي. ليادوف. فارقت هذه الابنة الحياة تاركة للزوج لياديف ابنة اسمها يوليا التي صارت تعلم عجائز زاكاريوكينا. أتمت الثامنة عشرة من العمر وظهرت فكرة تزويجها بديوكوفسكي لاسيما أنها رقيقة وحسنة التربية، فضلاً عن أنها تملك بائلة في حدود الأربعين ألفاً. وكان ديوكوفسكي راضياً تمام الرضا وتوجه مع الشقيق نيقولاي للتعرف.

تزعّم بعض السير الذاتية(\*) أن الذي سافر مع ديوكوفسكي إلى هناك هو أنطون وليس نيقولاي وهذا غير صحيح. لم تكتب لهذا الزواج الحياة إلا أن علاقات نيقولاي وأنطون مع والد يوليا - ليادوف استمرت وكذلك مع عديله ف.ي. غوندوبين(\*\*). وصارا يكثران من زيارتهما إلى موسكو. ونظراً لأحوالهما الميسورة صارا يلجأان إلى سهرات المنادمة ويأخذان معهما أخواتي إلى المطاعم كي لا يقال الأسوأ، إلى صالات الدعارة ومختلف الأوكار حيث كان تجار شويبا الأغنياء يبذرون ببذخ وجرأة. أطلق غوديبين

---

(\*) يزعم بعض كتاب السيرة الذاتية أن يوليا ليادوفا في قرانها بتيرينتييف كانت أول من ذكر بالخطأ في مذكراتها أن أنطون وليس نيقولاي تشيخوف هو الذي يمم شطر شويبا. ثمة افتراض أن لوحة (( فتاة في الأزرق )) التي اكتشفها مؤلف هذه المذكرات في عام ١٩٥٧ مرسومة من قبل نيقولاي تشيخوف في أثناء إقامته في شويبا وعليها مصورة يوليا ليادوفا التي تعزف على البيانو وتستمع إلى م.م. ديوكوفسكي.

(\*) (\*) فيودور غوندوبين صاحب بقالية وعدة دكاكين كان يبيع في إحداها الكتب المدرسية والفودكا. وهو صاحب دار نشر "المعبد" وعمدة الكنيسة وقاص ومبدع هزليات. وغريغوري فيودوروفيتش برياخين هو زوج جدة أنطون - ماريا إيفانوفنا أي أنه قريب عم أنطون.

على أنطون اسم - المختار ولازمه هذا الاسم المبجل حتى الثامنة عشر من العمر. اقتحم هذان النموذجان الصحافة وخدمات تشيخوف بما يشبه الموديل. كيف كان لياذوف وهذا المختار يقضيان الوقت مع شقيقي الأصغر الذي لم يثبت شارباه بعد، وهذا ما يشهد عليه المقطع الأخير من قصة تشيخوف في العدد ١١/١ من المشاهد لعام ١٨٨١ حيث الأشخاص الأربعة بأسمائهم.

بعد «اليعسوب» انتقل أنطون تشيخوف إلى العمل في «المشاهد» قصة هذا الانتقال هي التالية: بينما كان أنطون تشيخوف يعمل في «اليعسوب» كان شقيقي الأكبر ألكسندر يكتب من حين لآخر في «المنبه» حيث ظهرت إحدى قصصه بعنوان «كارل وإيميليا» والتي لفت من خلالها أنظار الآخرين إليه. وعلى فكرة أخذت هيئة تحرير «اليعسوب» تعيد إلى الشقيق أنطون مقالاته ومواده بردود خبيثة في (صندوق البريد) وبعد أن بعث قرابة العشر مقالات، أقدم (صندوق بريد) «اليعسوب» على صب جام غضبه بالرد التالي: (لم تبلغ بعد مرحلة الريعان وإذا بك تذبل. شيء مؤسف للغاية. وهل أنت غير قادر على الكتابة دون موقف نقدي من القضية). انزعج أنطون وصار يبحث عن مجلة أخرى. لم يكن يثق، وقتذاك بـ «المنبه» و«التسلية» ولم تكن هناك مجلة أو صحيفة لائقة. وإذا لم أكن مخطئاً فقد ورد في الكرونولوجيا أنه في ذلك الوقت بالذات بادرت مجموعة من الكتاب الموسكوفيين إلى إصدار المجموعة الأدبية «العفريت» ودعت إلى المشاركة فيها أنطون كما دعت نيقولايف كفنن. وشرع نيقولايف سوية مع فنن آخر هو أ.س. يانوف برسم الصور بحماسة واعتزم أنطون الكتابة للمجموعة بهمة لم يسبق لها مثيل. وصدرت «العفريت» بدون مادته. وظل الشقيق أنطون دون مورد ولكن سرعان ما أنقذته «المشاهد» وكما تبين فيما بعد صارت هذه المجلة تشيخوفية لمشاركة الإخوة الثلاث فيها وهم ألكسندر وأنطون ونيقولايف. وللعلم صار ألكسندر مشرفاً على سكرتارية «المشاهد». تقع هذه المجلة في بولفار ستراسني في دارفاسيليف غير بعيد عن شارع تفير وكنت أمشي إلى هناك يومياً بعد المدرسة.

كان المدعو فسيفولود فاسيلي دافيدوف مؤسس "المشاهد" ولدى زوجته ورشة حديثة بينما هو يملك مطبعة غير كبيرة. عدا هذا كان يشتغل في التصوير الفوتوغرافي وبحماسة غير عادية. خططه هائلة وحجومها لا حدود لها. وعندما كان يشرع في شيء ما كان يلوح بيديه ويتحدث بشيء من المبالغة ويرش في كل الاتجاهات ويصفّر....

كان الحفر بالزنكوغراف قد دخل لتوه حيز الاستعمال. وجميع المجالات المصورة الموجودة في موسكو كانت تطبع على الحجر باستثناء (اليعسوب) في بطرسبورغ التي كانت تستخدم الكليشة الزنكوغرافية (كان يطبعها الزنكوغرافي جيرمان كورنفيلد).

اندفع دافيدوف بالعمل بالزنكوغراف بحماسة ومتعة وحسب كلمات أنطون تشيخوف: صار يتلف رسومات فنانيه. هو بنفسه بنى ورشة الزنكوغراف وكانت بدائية للغاية. ثلاث علب (صناديق) مطلية بالقطران ومملوءة بمحلول حمض الأزوت الذي يتنفس دافيدوف بخاره من الصباح حتى المساء ومن المساء حتى الصباح ومسند مدور بلون أسود كان يدفع بواسطته الرسومات المنقولة على الزنك - هذا هو مبدأ الزنكوغراف. وبهذه الوسائل ودون دفع أي قرش بدأ يصدر مجلة (المشاهد). كان على هذه المجلة أن تصدر (صغير) بمعدل ثلاث مرات في الأسبوع وكان عليها (صغير) أن يعتم على كل المجالات الموسكوفية الأخرى.

كتب ستروجكين الأشعار بالاسم المستعار (شيلو) وكان الأخ أنطون يسخر منه قائلاً إن هذا المخرز (الشيلو بالروسية تعني المخرز بالعربية) وخزه ليس بالطرف الحاد بل بالكليل. على ما يبدو لم يكن لدى أوزيريسكي ممارسة حقوقية في المحاماة إطلاقاً لأنه كان يخترع أموراً خيالية لإعلاناته. وهكذا حسب مشروعه كان على واحد من الشقيقتين أنطون أو ألكسندر أن يتقدم بشكوى إلى القاضي الدولي بأن ستروجكين كسر رأسه بالغيتر، وكان على هذه القضية أن تنتقل لاحقاً إلى مؤتمر عالمي وإضفاء الصفة الهزلية

عليها ثم بعدها تنتقل إلى الصحافة مباشرة بقلم أنطون أو ألكسندر، علماً أنه تم إقرار إعداد خطاب دفاع لمحامينا أوزيريسكي «الموهوب والمعقود عليه الآمال الكبيرة».

كانت هيئة تحرير «المشاهد» أقرب إلى النادي منها إلى هيئة التحرير حيث كان يؤمها أعضاء الهيئة كل يوم كي يقهقهوا ويدخنوا. ويقصّوا النكات. فهم لم يكونوا يعملون شيئاً بل كانوا يجلسون حتى الهزيع الأخير من الليل. وكان الخادم ألكسي يحضر الشاي قرابة العشر مرات كل ليلة. وكان يجلس هنا المصنّف البريدي غوشين، الذي كان يصغي بكل تجيل إلى الأحاديث وينتقي عناوين المشتركين حسب الطرق العمومية والأمكنة. وكان يوقع على كل جدول للطرق ما يلي: (المصنّف غوشين) ولهذا لقبوه (الكنيف).

في هذا الوقت حدثت في المطبعة عند دافيدوف قصة مسلية إذ طبع أحد الأشخاص ترجمة رواية الكاتب البولوني كراتشيفسكي (الملك وبونداريفنا) ولكن بما أنه لم تتوفر النقود لدفعها لقاء الطباعة والورق لدى المترجم فإن الألفي نسخة من الكتاب المذكور ظلت عند دافيدوف في المستودع. كانت مرزومة والأختام في الزاوية. رتب الحارس ألكسي هذه الرزم كي تصبح سريراً وكان يحرس المكان في الليالي مع أنه لم يكن يوجد فيه إلا طاولات مطبخية وكراسي بلا مساند ولا شيء آخر. غاب المترجم عن المكتب أكثر من سنة حتى درجة اليأس كي يدفع ما عليه لقاء طباعة "الملك وبونداريفنا" فقررُوا بيع الكتب بالرطل. ولكن هنا، بصفتي طالب ثانوية أظهرت الفطنة. سألت دافيدوف: لماذا لا نقدم هذه الكتب كجوائز لأجل مجلة "المشاهد" بغية جذب المشتركين؟ استحسن الشقيق أنطون هذه الخطة. وانتابت سيفولود دافيدوف حالة من الإعجاب. لوّح بيديه وهتف بولع شديد:

وكيف يمكن لكم أن تفكروا؟ صغير! يوجد عندي ألفا نسخة فقط ولكن المشتركين لا يزيدون عن هذا العدد. وإذا صار العدد ألفي نسخة عدا البيع بالمفرق فسوف أصبح مليونيراً. أوف، صغير! و«الملك وبونداريفنا» ...



وهكذا ظلت موجودة في هيئة التحرير في أكوام شكلت سريراً للحارس الكسي لأنه لم يكن هناك أي اشتراك.

شرع الشقيق نيقولاي بكل حمية وولع بإبداع الصور الإيضاحية لمجلة «المشاهد» وقد رسم رسمة صغيرة رئيسية للمجلة ومجموعة من الرسوم والتزيينات ولكن العدد الأول ظهر شاحباً من الناحية الأدبية ولم يحظ بالنجاح. وبدأ الشقيق أنطون تعاونه فقط مع العدد الخامس بمقالة عنوانها (الأمزجة) بعد ذلك انتقلت المجلة كلياً إلى أيدي شقيقيّ.

كان نيقولاي يرسم من الصباح حتى المساء وكان دافيدوف يمزق رسوماته أيضاً من الصباح حتى المساء مع العلم أنه تم الاضطرار إلى إعادة الرسم ثانية. و لم يضمن أنطون بالكتابة إلا أن المجلة لم تشق طريقها، وكان صعباً عليها الصدور ثلاث مرات في الأسبوع وصارت تتأخر عن مواعدها، وأخيراً فقدت ثقة الجمهور بها. ومن أجل تلميع الوضع نشر دافيدوف خبراً مفاده أن الفنان نيقولاي تشيخوف يعاني من مشاكل عينية وفقد البصر تقريباً لذا توقف صدور المجلة مؤقتاً. تمنى المشتركون الصحة والعافية بأسرع ما يمكن للفنان. من هنا لا ينتج أن هيئة التحرير استطاعت استثمار النقود. تماماً في الوقت الذي صدرت فيه «المشاهد» وصلت إلى موسكو في جولة فنانيين الفنانة الشهيرة سارة برنار التي منحت شقيقيّ مادة غنية. وعلى فكرة، في ذلك الوقت ظهرت في (المشاهد) على صفحتين رسمة (بورترية) الأخ نيقولاي وعليها صورة مسرح البولشوي الموسكوفي في أثناء أداء سارة برنار. وعلى هذه الرسمة - جميع المشاهدين الفعليين: في الزاوية اليسرى - ي.س.أكسكوف وبعد شخص من جانبه - مدير الفيلهارمونيا ب.آ.شيسيتاكوفسكي، والثاني من المشاهدين في الصف الأول - غيلياروف بلاتونوف، والأول من جانب المشاهد في الصف الثاني - الناشر المبجل فسيغولود دافيدوف الذي جرى الحديث عنه أعلاه الخ.



عندما رأت «المشاهد» النور لفتت نظر مجلات موسكوفية أخرى. وهكذا، «المنبه» التي ارتعبت من المنافسة صارت تطبع الغلاف بلون ذهبي. وبعد زوال «المشاهد» انتقل أخواي أنطون ونيقولاى إلى العمل هناك. وحسبما أذكر عمل شقيقي أنطون في «المشاهد» سنة واحدة لا غير، وعندما تجددت هذه المجلة لاحقاً لم يعد يشارك فيها. وكتب عنها هجائية ساخرة مضحكة للغاية بعنوان «معبد المجد» التي حملها ومع مخطوطة إلى فسيفلود دافيدوف نفسه. ولكن عن مصيرها اللاحق لا أعرف شيئاً مع الأسف الشديد.

نسيت التحدث عن نشاط عضو هيئة تحرير «المشاهد» المؤلف الروائي والمترجم أندريه ميخائيلوفيتش ديمترييف رئيساً لتحرير (جريدة المسرح الموسكوفية) وكان يصدر سوية مع ن. لانين: «الساعي الروسي» وكتب ونشر عدة كتب كما أخرج عدة مسرحيات على خشبة المسرح. إنه إنسان رائع وذو طاقة كبيرة بحيث يمكن الإصغاء إليه. وكلمة حق يقال فهو نفسه الذي روى لشقيقي أنطون وبحضوري مشهداً عن «العنكبوت» والذي استخدمه في قصته «إيفان ماتفييفيتش» مأخوذ عن أخي إيفان عندما كان حتى قبل بدئه العمل بصفة معلم بحاجة إلى النقود وكان يجتاز طرقات وشوارع موسكو إلى ذاك القاطن في ساكولينيكى الكاتب پ.د. بوبوريكين كي يكتب بإملاء منه<sup>(\*)</sup>.

---

(\*) [[ بيوتر ديمترييفيتش بوبوريكين ١٨٣٦ - ١٩٢١ كاتب روسي له روايات منها «رجال الأعمال» و«الصين - المدينة» الخ وقد صور بصدق وأمانة حياة مختلف فئات المجتمع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - المترجم]].

«المنبه» ومسؤولا المجلة ن.ب. كيتشيف وف.ف. بوبودوغلو - عدة كلمات عن م.يفستيفنييف - ب.آ. سيرغينكو - ليودور ايفانوفيتش بالمين - لقاء أنطون مع ليكين - العم غيلياي (ف.آ. غيلياروفسكي) ونزواته - في العرس عند ي.آ. بيلووسوف - مجلة «موسكو» ي.ي. كانكا - «شهادة طبية» للحصول على أتعاب للشقيق - «أخبار اليوم» آ.يا. ليبسكروف - اصل «نصر لانزوم له» - ن.ل. بوشكاروف «نور وظلال» «المكتبة الأوروبية» البوشكاروفية - مشاركتي في التفكير الدنيوي - «مع علامة غاتسوك، غير موافق مع برودون» - مؤسسة بوشكاروف - في جلسة جيرمان للتتويم المغناطيسي - الناشران الأخوان م.ويه. فيرنير و«صرصورهما».

كانت ل.ن. اوتكينا تصدر «المنبه» في ذلك الوقت ورئيس تحريرها آ.د. كوريبين الذي كان يرد على كل سؤال بسؤال لماذا؟ لماذا؟ لعب نيقولاي بتروفيتش كيتشيف دوراً كبيراً في «المنبه». كانت هيئة التحرير تقع في زقاق ليونتيفسكي في دار ميتشينير وأشرف كوريبين، بالإضافة إلى هذا، على المقالات الموسكوفية الهجائية في «الأزمة الحديثة» بينما أشرف كيتشيف على مثل هذه المقالات في البداية في «الصوت» بعدها في «الأخبار» وكان هاوي مسرح وكتب تعليقات مسرحية كما إنه كتب هو نفسه عدداً من المسرحيات. وعلى فكرة، منحنى كسب العيش إذ كان عليّ أن أعيد نسخ «الحرب مع الألمان» أربع مرات بالتوالي والتي ألّفها سوية مع ف.ف. بوبودوغلو. كانت المسرحية ثقيلة ولم

يعجب بها الجمهور وبعد أول عرض لها تم سحبها من الريبورتوار. دفع لي كيتشيف لقاء العمل /٢٥/ روبلاً وخصصت هذا المبلغ بدوري لأجل التعلم. ولكن أخوي احتاجاً إلى هذه النقود وأنفقاها. وعندما حلت المدة الأخيرة للدفع إلى المدرسة، وقال المفتش إنني يجب أن لا أحضر غداً، بدأ شقيقي نيقولاي وأنطون ينتقلان من دار تحرير إلى أخرى يستجديان متوسلين قبض الأتعاب على الفور. وفي وقت متأخر من الليل كنت قد غفوت عاد الشقيقان إلى الدار فأيقظاني وسلماني رزمة ثقيلة كادت تسقط من يدي لثقلها. كانت مبلغ الخمس والعشرين روبلاً بقطع نقدية فضية ذات العشر كوبيات. وقد تبين أن شقيقي لم يغادرا أية هيئة تحرير إلا بعد عودتهما حاملين تقرير بائع الجرائد الذي كان يبيع بالمفرق بعشرة كوبيات لقاء كل نسخة. وقد أحضرت هذه النقود إلى المدرسة في حقيبة ظهر على الكتفين وأربك المفتش عندما دفعت له كامل المبلغ من فئة العشر كوبيات. وقد حاول استيضاح الأمر ومن أين حصلت على هذه النقود إلا أنني تذرعت بالجهل وقلت إن الوالدين قد أعطاني إياها.

كان كيتشيف لطيفاً للغاية ومهذباً، إذ كان من الممتع قضاء فترة من الوقت معه والإصغاء إليه. كان يجلس عند أخوي ودوماً يعطر نفسه بعبور رائحة وأنا، بدوري كنت أزوره في (المنبه) علماً أنه كان يضيّفني دوماً من كل ما هو ثقيل كالعسل والشاي الغامق الذي كنت أحتسيه لطفاً واحتراماً. وبناء على توصية من الشقيق أنطون قمت بنسخ مسرحية كيتشيف السميكة مرتين دون أن أرى أية قيمة فيها. أنا لا أذكر عنوانها إلا أنها كانت شيئاً ما من المستحيلات بوجود سارقي الخيل وإطلاق نار وامرأة تلقي بنفسها تحت القطار، وبما أنني كنت، وقتذاك، لا أزال طالباً في الثانوية فقد اجتاحتني نوبة من البرد تحت القلب بسبب الاضطراب. هذه المسرحية كان الشقيق أنطون الطالب الجامعي - سنة ثانية قد حملها شخصياً إلى م.ن.يرمولوفا كي تقرأها وأراد أن تخرجها للتمثيل (على شرف أحد المشتركين في المسرح). بيد أن المسرحية قد أعيدت وذهبت جهودي أراج الرياح. وفي وقت لاحق نشر المركز الأرشيبي هذه المسرحية.

بودي وأنا أذكر كيتشيف، أن أكتب كلمات عن الشخص الذي يساعده فيودور فيدوسيقيتش بوبودوغلو. كان مشهوراً جداً في وسط الكتبة الموسكوفية. كان مستقيماً إلا أن الإخفاقات المتكررة لاحقته من جميع الجوانب وكان يكسب بصعوبة لقمة الخبز من جهده الأدبي. تصاحب مع مؤلف الكتيبات المعروف وقتذاك وهي لأجل الشعب إلا أن بائعي الكتب كانوا يستغلونه ببشاعة. وفي كل معرض وعلى وجه البسيطة في الوطن الأم كان يمكن مصادفة مؤلفات ميخائيل يفستغنيف التي تباع مباشرة من الرزمة، وكانوا يشترون أي كتاب من فئة الخمسة مثل «ابتسامات بخمسة روبلات» أو «المسيو فون إلا أن بتروشكا» كان يكتب أعماله خصيصاً لبائعي الكتب الذين كانت لهم علاقة بالبائعين المتجولين، وكان يقبض أتعابه ما بين الخمسين كوبيكاً والروبل وخمسين لقاء الكتيب الواحد. ومن حيث الجوهر يمكن أن يقال إن ميخائيل يفستغنيف شق طريقه بموهبته فوصل إلى دور النشر المستقبلية مثل العمل الضخم الذي أخذه على عاتقه ي.د.صيتين. في لقاءات أنطون تشيخوف مع ف.ف. بوبودوغلو عند رؤساء وهيئات التحرير حدث تقارب بينهما وتشيخوف نفسه قال لاحقاً إنه صار يزوره في الأمسيات تماماً كما لو أراد إخفاءها عن شخص ما. في ذلك الوقت مرض بوبودوغلو مع أنه كان لا يزال يسير على قدميه وشرع أنطون تشيخوف في معالجته. ومن أولى الخطوات العلاجية وضع تشخيص - السرطان - في المعى المستقيم وتبين لاحقاً أنه لم يخطئ في تشخيصه. فارق بوبودوغلو الحياة وفقد أنطون تشيخوف صديقاً وسميراً محدثاً. وانتقلت مكتبة المرحوم بإرادة الأخير إلى أنطون تشيخوف الذي دفع ثمنها مضاعفاً، وأذكر كيف جلبوا لنا صندوقاً ضخماً مملوءاً بالكتب. وبدأنا أنا والشقيق أنطون في تصنيفها. وقد تبين مع الأسف الشديد، أنها كلها من سقط المتاع ولا قيمة لها حتى بالنسبة إلى بائعي الكتب المستعملة: كاتالوغات متنوعة وكتيبات ميخائيل يفستغنيف ولاشيء ثمين. وقد فرز من عشرات الكتب فقط «الأغاني التي جمعها ريبنيكوف» و«هدوء واطمئنان» لمؤلفها بابيكوف وهو موجود حالياً في مكتبة تاغانروغ،

وأما كتاب «كلمات أوامر للقيام بعمليات رئيسية في الباخرة» فقد منحت تشيخوف مادة لدور ريفونوف كارالوف في فودقيل «العرس» (مسرحية هزلية ساخرة) وكل ما تبقى فقد اضطرب كل بساطة إلى حرقه.

بالإضافة إلى شقيقي كان يعمل في ذاك الوقت في «المنبه» الفنان ن. تشيشاكوف الذي يوقع الطغراء بحرفين (ت.س.) و.ب.آ. سيرغينيكو الذي كان يوقع بالاسم المستعار (اميل پوپ) و.ف.آ. غيلياروفسكي (العم غيلياي) والشاعر ل.ي. بالمين.

عاش ب.آ. سيرغينيكو فترة طويلة خارج البلاد ثم عاد إلى روسيا وصار يعمل في المجالات الهزلية، وفي نهاية المطاف استقر في عمق التولستوية. فهو المبجل اللامع للكاتب ليف تليستوي، وكتب عنه كتاباً أضفى عليه أهمية جدية. كان من أهل البلد وكان يخاطب الجميع بصيغة (أنت) أي أنه كان يرفع الكلفة ويتمتع بالظرافة والفكاهة بل إنه ذاع صيته بأنه غريب الأطوار. شاعت عنه مختلف أنواع النكات. وشقيقي أنطون حدثني بأنه كان يحب الاستهزاء برجال الدرك والشرطة بشكل عام. عدا هذا أصدر مسرحيتين أو ثلاث واحدة منها تم إنجازها بالتعاون مع ي.ن. باتابينكو ولاقت نجاحاً لافتاً، كما إنه أغراني في عام ١٩٠٢ بإصدار مجلة سميكة سوية معه. وأنا أعطيت الموافقة الكاملة إلا أن شقيقي أنطون ثنائي عن عزمي، ولكن الشيء الأهم بالنسبة إلى أنطون تشيخوف هو المساعدة التي قدمها سيرغينيكو في بيع أعماله الكاملة إلى ماركس (أدولف فيودوروفيتش ماركس ١٨٣٨ - ١٩٠٤) وجرت أحاديث عديدة حينذاك عن هذه الصفقة في المجتمع والصحافة في آن معاً وليس مكانها هنا<sup>(٤٣)</sup>.

كان ل.ي. بالمين أحداً، مجدوراً، يلثغ بحرف (الراء) وكان دائماً مهملاً ووسخاً في لباسه إذ كان النظر إليه يبعث على الشفقة. كان نبيلاً في روحه ورؤوفاً حنوناً. وكانت الحيوانات هي نقطة ضعفه المميزة، ففي كل مرة يزورنا كانت خمسة أو ستة كلاب ترافقه ومنها ما كان دون رجل وآخر بلا

عين وثالث بظهر أجرب ومخدوش حتى الجلد. كان يختارهم في الطريق ويقدم لهم المأوى. كان رفيع الموهبة إلا أنه هوى إلى الدرك الأسفل كلياً. شارك آنذاك في (المكتبة لأجل القراءة) وكان مقرباً من «الايسكرا» ويمتلك موهبة الشعر وفي هندام جذاب إلا أن الشوق المريض لاحتساء المشروبات الروحية (وبالذات البيرة وليس النبيذ) هو الذي أوصله إلى الصفر.. في أيام تعارفنا لم يكن بعد عجوزاً إلا أن الهرم قد أحناه إلى الأرض. كان دوماً يعيش في مكان ما بعيداً عن الطرق العالمة والبيوت وفي الزوايا ذات التسميات المرعبة بحيث أنه من المفرع حتى الذهاب إليه. كان يعيش مع أفدوتيا البسيطة والمهملة، والتي كان الشقيق أنطون يسميها فيفيلا وظل هذا الاسم مرافقاً لها إلى الأبد. وهي أيضاً، كانت تحب الشرب، ومن أجل الحصول على هذه الإمكانية كانت تتحرش بـ بالمين أيضاً.

- أما آن الأوان يا ليودور بالمين لاحتساء كمية أخرى من البيرة؟ كان يعرف جيداً اللغات ويترجم أعمال الكلاسيكيين وكانت أشعاره تبعث على الرضا لدى القارئ. توجه ذات مرة الشقيق أنطون إليه برجاء إرسال النظام الداخلي الجديد لإحدى الجمعيات. فأرسل ليودور بقصيدة خاصة أذكر فيها بعض الأبيات:

أيها الزميل عزيزي أنطوشا!

حسب الوعد أرسل إليك (النظام).

الآن تعبت قليلاً،

والشعر منفوش،

علماً أن بيرة كلاشينكوف

لعوب بصورة هزلية

قاع الكأس يلمع...

اعذرني على عبث القافية السريعة،

مثل رياضي اللوغاريتم،

يمكنني البحث عنها دوماً.

نحن، الشعراء نتسلق على جميع القوافي،

مثل الملاح السائر نحو شعب مرجاني حاد.

الخ.

لا أذكر البقية

لعب الشاعر ليودور بالمين دوراً كبيراً في المصير الأدبي لأنطون تشيخوف مع أن هذا الحدث قد تم بالمصادفة. كان يكتب الأشعار في «الشظايا» البطرسبورغية التي كان يصدرها الكاتب الهزلي ن.آ.ليكين. ففي إحدى سفراته إلى موسكو قام ليكين بسحب بالمين لتناول الغداء في مطعم تسيتوف وعندما كان الاثنان ذاهبين إلى هناك في عربة الركوب رأى بالمين على الرصيف شقيقني نيقولاوي وأنطون فأشار إلى ليكين عليهما:

ها هما الشقيقان يمشيان سوية: أحدهما فنان والآخر أديب. يعمل الاثنان في المجالات الهزلية المحلية.

أوقف ليكين الحوذي، نادى بالمين أخوي وتعرفا إلى ليكين الذي دعا، على التو، أنطون للتعاون في «الشظايا» وهكذا حدث انتقال الشقيق أنطون في الأدب من موسكو إلى بطرسبورغ حيث تشكل مجده شيئاً فشيئاً. لتتوقف عند ف.آ.غيلياروفسكي.

ذات مرة في السنوات المبكرة من إقامتنا في موسكو وبينما كان الشقيق أنطون عائداً من الدار من مكان ما قال:

ماما، غداً سيزورنا شخص يدعى غيلياروفسكي، حبذا لو يقدم لنا ضيافة لائقة.

حدثت الزيارة وبالذات في يوم الأحد حيث كانت الوالدة تخبز فطيرة بالملفوف وتحضّر الفودكا. ظهر غيلياروفسكي. كان لا يزال وقتذاك شاباً متوسط القامة وقوي البنيان بحتري وعريض المنكبين يلبس في رجليه جزمة صيد عالية. مفعم بحب الحياة الذي يفيض منه في كل الجوانب وسرعان ما رفع الكلفة في حديثه معنا، وعرض علينا أن نلمس عضلاته الحديدية في اليدين واستطاع ثني قطعة الكوبيك على شكل أنبوبة وثني ملعقة الشاي على شكل لولب وسمح للجميع أن يشموا التبغ وعرض على الحضور عدداً من الخدع والحيل المدهشة بورق اللعب وروى أكثر النكات الخطيرة، ثم غادر الدار تاركاً انطباعاً حسناً. ومنذ ذلك الوقت صار يزورنا، وفي كل مرة يحمل معه شيئاً من الحيوية والإنعاش. وقد تبين أنه كان ينظم الشعر، عدا هذا كان مندوباً في قسم الحوادث في (الجدول الروسية) وكان مميزاً واستثنائياً في هذا المجال.

كان غيلياروفسكي يعرف جيداً أوساط السلطة العليا وجميعهم كانوا يعرفونه. ولم يكن هناك مكان لم يدس فيه أنفه رافعاً الكلفة مع الجميع بدءاً من الكونتات والأمراء وانتهاءً بالبواب والشرطي. لا حاجز أمامه للوصول إلى أي مكان حيث لا يستطيع أيّ واحد الحصول على إذن مرور، مثلاً إلى جميع المسارح ولم يكن يدفع ثمن تذكرة السفر بالخطوط الحديدية الخ... كان مسموحاً له الحضور إلى النادي الإنكليزي الرفيع التهذيب والتأديب وفي أقذر وأفقر الأحياء والأصقاع النائية. وعندما سرق اللصوص مني معطف الفرو لجأت، قبل كل شيء، إليه وهو قادني إلى تلك الأمكنة التي يمكن أن يوجد فيها فقط القتلة السفاحون وقطاع الطرق الأوغاد. كان على المسرح الفني أن يخرج مسرحية غوركي (في الحضيض) - عرفه غيلياروفسكي أي عرف ممثليه بكل (مفاتن) هذا الحضيض. لم تكن هناك نكتة إلا وكان يعرفها، ولم تكن هناك كمية من المشروبات الروحية إلا استطاع أن يشربها، وفي الوقت



ذاته كان صاحباً ولبقاً ومتأدباً. كان غيلياروفسكي يتمتع بقوة هائلة يتباهى بها، فهو لم يكن يخاف أحداً ولا شيئاً إطلاقاً وكان يعانق الكلاب الشديدة العنيفة والمربوطة بالسلاسل، ويقتلع الأشجار من جذورها. وخلف دولاب كان يربط طوال الجري طاقماً سوية مع حصان. وفي حديقة (الأرميتاج) حيث تم صنع آلة للجمهور لقياس جذر الأرض. وعندما فكر بكتابة قصيدة شعرية جنح فيه الخيال نحو الفولغا - الأم وأحرار روسيا القديمة الذين كانوا يقومون بالغزوات مع فرق مسلحة في زوارق كبيرة في الفولغا وكاما والقوزاق الأحرار الذين هربوا من جحيم الأشغال الشاقة وعلى اختلافها...

في أيار عام ١٨٨٥ أتممت سنتي الدراسية في المدرسة ونجحت في امتحان الثانوية. ومن أجل عدم إضاعة الوقت سافر الشقيق أنطون مع أختي وأمي إلى المصيف في بابكينو وبقيت وحدي في الشقة. وفي كل يوم كطالب في المستقبل صرت أمشي من سريتينكا إلى زقاق دولغوروكوفسكي كي أتناول الغداء في مطعم الطلبة حيث كنت أدفع /٢٨/ كوبيكاً لقاء الغداء، كانوا شحيحين في إطعامنا وردئين أيضاً لدرجة أنني عندما كنت أعود إلى الدار سيراً على الأقدام كان بودي تناول الغداء ثانية.

وفي إحدى المرات بينما كنت عائداً وأنا أعبر بولشايدامتروفا نادى علي فجأة شخص ما:

يا ميخائيل، إلى أين تمشي؟

كان هذا ف.آ. غيلياروفسكي في عربة نقل متوجهاً إلى حيث لديه أشغال صحفية، هرولت نحوه وقلت إنني ذاهب إلى الدار.

اجلس سوف أفلّك.

شعرت بالفرحة وجلست. ولكن ما إن سارت العربة قليلاً حتى تذكر غيلياروفسكي فجأة أنه عليه الذهاب إلى (الأرميتاج) إلى لينتوفسكي وعوضاً عن الوصول إلى حيث أبغي، رأيت ذاتي فجأة في مسرح الأوبريت من حيث

لا أدري. كانت المسرحيات الصيفية تبدأ آنذاك في الخامسة مساءً وبدأت في السادسة بالذات أي أننا لحقنا بالبداية.

أدخلني غيلياروفسكي إلى المسرح قائلاً: اجلس هنا، سأعود الآن.

ارتفعت الستارة. كان الكورس ينشد شيئاً ما غير مفهوم وغيلياروفسكي لم يأت بعد. تفرجت على الأوبريت وشعرت بالاضطراب لأن المجيء إلى (الأميتاجات) مسألة غير لائقة بالنسبة إلى طلبة المدارس. وفجأة اقترب مني مراقب البطاقات وطلب البطاقة. بالطبع ليست معي وأخذني المراقب من يدي وسحبني إلى المخرج مثل الأرنب. ولكن لسعادتي ظهر غيلياروفسكي من تحت الأرض.

ما الأمر؟ ما هذا؟

وأنا تمتعت:

يطلب مني بطاقة الدخول إلى المسرح.

توجه غيلياروفسكي إلى المراقب: هذه هي البطاقة يا عزيزي! مزق قطعة من الجريدة ومدّها إلى المراقب عوضاً عن البطاقة:

فما كان من المراقب إلا أن ابتسم وسمح لكليتنا بالمرور إلى أماكننا.

ولكن لم يستطع غيلياروفسكي الركون والجلوس.

لنذهب حل الوقت.

وخرجت وإياه من (الأميتاج). وتذكر غيلياروفسكي: كنت أريد أن أفلّك إلى الدار. أين الحودي؟

سار يلقي نظراته إلى كل الجوانب. تبين أن الحودي يقف بعيداً في الزاوية لأن الشرطي طرده من أمام المدخل. وبينما هو في انتظارنا كان يغفو بهدوء على التيسين بينما يتدلى رأسه على صدره.

اقترب غيلياروفسكي وبقوة كبيرة نفض التيسين بحيث أن الحوذي اهتز  
كامل جسده وكاد أن يسقط على الأرض.

أحمق! شيطان! سال لعبه! هل لحقت أن تنام نوماً كافياً! وقع الحوذي  
في حالة حرجة وانطلقنا.

كان ينبغي إجراء لف ودوران من سادوفايا إلى داري في ستريتينكا.  
في تلك اللحظة تذكر غيلياروفسكي فجأة مرة ثانية أنه يجب عليه أن يذهب  
إلى هناك. وصلنا ودفع الحساب للحوذي وأدخلني إلى المحطة. التقى في  
طريقه وتحادث مع العشرات من معارفه وتوجه مباشرة إلى القطار الذي  
سينطلق لتوه ورماني وفجأة في لحظة انطلاق القطار الذي بدأ يبتعد ببطء عن المحطة.

نادى علي: الوداع يا ميخائيل!

هرولت بجانب القاطرة.

أعطني يدك للتوديع!

مددت يدي.

مسك بها بقوة لدرجة أنني، والقطار يتحرك، علقت في الهواء ومن ثم  
ودون توقع، رأيت نفسي في فسحة القطار من الداخل.

انطلق القطار بكامل سرعته وسافرنا فيه سوية غيلياروفسكي وأنا إلى  
حيث لا أعرف. وهذا القوي الشديد قادني معه بينما لم يكن في جيبتي أي  
كوبيك وهذا ما أقلقني.

انتقلنا من الفسحة إلى داخل القاطرة (الفركون) وجلسنا في مكاننا.  
سحب غيلياروفسكي من جيبه رزمة جرائد وشرع يقرأ، حاولت الظهور  
بمظهر المستاء.

وأخيراً سألته:

فلاديمير ألكسييفيتش! إلى أين تأخذني؟

أجاب دون أن يبعد ناظريه عن الجريدة: أليس الأمر سيان عندك؟  
دخل الجباة وصاروا يتفحصون البطاقات لدى الركاب. شعرت دائماً  
كما لو أنني أستعد للفتيش. لم تكن لدي بطاقة ولا نقود وتتأت بالفضيحة  
والمنغصات والغرامة المضاعفة.

بطاقاتكم!

ودون أن يرفع رأسه عن الجريدة مزق غيلياروفسكي، مثلما حدث  
وقتذاك في المسرح، قطعة من الجريدة ومدّها إلى الجابي عوضاً عن  
البطقتين، ختم الجابي بكل احترام، عليهما وأعادهما إلى غيلياروفسكي وتابع  
عمله مع بقية الركاب. ارتاح بالي بل حتى أنني صرت مرحاً.

على ما يبدو، نزلنا من القاطرة في لوبيرتس أو في مالاخوفك وتوجهنا  
إلى طرف من الأطراف سيراً على الأقدام عبر غابة ضخمة وكثيفة. لم أزر  
الضواحي منذ السنة الفائتة وما أروع استنشاق رائحة الصنوبر وأشجار  
البتولا الطازجة. خيم الظلام قليلاً وغرقت الأرجل في الرمال. قطعنا قرابة  
الكيلومترين ورأيت ألامى ضيعة، الأنوار مضاءة عبر النوافذ. والكلاب تنوح  
نواحاً قروياً.

اقتربنا من أحد البيوت الصغيرة وأخذ غيلياروفسكي يقرع على النافذة،  
خرجت سيدة وعلى يديها تحمل طفلاً.

توجه إليها غيلياروفسكي قائلاً: يرافقني ضيف. دخلنا إلى الدار، مثلما  
هي الحال في الأكواخ القروية كانت المقاعد الطويلة وطاولة كبيرة في الوسط  
ولا شيء غير ذلك. كان المكان نظيفاً للغاية بدا كما لو كان قد تم تنظيفه  
لحظة قدومنا.

مرحباً يا مانيا! مرحباً يا أليوشكا!

غيلياروفسكي قبلهما وقدمني إلى السيدة، كانت زوجته ماريا ايفانوفنا والطفل أليوشا. الطفل في عامه الثاني وقد تباهى غيلياروفسكي به قائلاً: يحمل الأثقال، وقد أوقف الطفل على رجليه على الطاولة وأعطاه قطعتين من الأثقال التي يلعبون بها أنواع الرياضة. رفع الطفل بعد أن نفخ وجنتيه واحدة منها عن الطاولة. أصابني الفزع ماذا سيحدث إذا سقط هذا الثقل من اليدين وحطم الرجلين؟

هتف الأب بفرح: أحسنت!

وبهذه الصورة ودون أدنى توقع ولا تخمين رأيت نفسي عند غيلياروفسكي في كراسكوف.

قضيت الليل عنده ولم تسمح لي ماريا ايفانوفنا بالمغادرة إلى موسكو طوال اليوم التالي. أعجبني الوضع عندهم بحيث صرت أزورهم كل سنة بين امتحانين. وفي أحد الأيام عندما كنت في ضيافة غيلياروفسكي في كراسكوف فجأة أتى من موسكو بصحبة حصان أسود كان قد اشتراه من أحد الأفواج لقاء ٢٥/ روبلاً. وسرعان ما اتضح أنه كان يعرض بقوة ويلقي عن ظهره الراكب، لم ينزعج غيلياروفسكي من هذه الحالة إطلاقاً وقرر (تدجينه) على طريقته معتمداً على قوته الجسدية.

قال لي: انتظر وسوف ترى قريباً كيف سأمتطي هذا الحصان إلى موسكو وأعود.

وضعوا الحصان في العنبر ومنذ تلك اللحظة كنا نسمع دق الحصان بالحوافر على الجدار وهو يصهل بينما كان غيلياروفسكي يصرخ عليه بشكل محاولاً تخليصه من العيوب وعندما كان يدخل إليه وقفل الباب خلفه بدا وأن الحصان سيقنّله. كانت ماريا ايفانوفنا تشعر بالاضطراب. وكان غيلياروفسكي والحصان يفهمان في العنبر هذه الضجة كما لو كان الاثنان يتعاركان بمقابض الأيدي. وبالفعل في كل مرة كان يخرج من هناك معروفاً وببيدين دامتيتين. ولكن لم يرغب الاعتراف بأن الحصان هو السبب وقال بلا مبالاة:

ضربته ضرباً مبرحاً هذا السافل، على أسنانه لدرجة أنه أدمى يديه بنفسه.

في نهاية المطاف أتى أحد الفلاحين ونقل الحصان إلى حيث السلخ وفقد غيلياروفسكي الأمل بامتطائه وأهدى الحصان بالمجان.

لم يقطع الصلات الطبية مع شقيقي أنطون حتى آخر أيام حياته وكان لطيف المعاملة معنا جميعنا. كان يزورنا في ميلخوفو في تسعينات القرن التاسع عشر . وفي كل زيارة له كان يظهر قوته العملاقة إلى درجة الإدهاش. ذات مرة أجلسنا في عربة الجر وسحبنا عبر المزرعة كلها. كتب الشقيق أنطون إلى ألكسي سوفورين عن إحدى زيارته إلى ميلخوفو: «كان عندي غيلياروفسكي. ماذا فعل! يا إلهي! امتطى جميع خيولي غير الأصلية وتسلق على الأشجار وأرعب الكلاب وهو يظهر قوته وكان يكسر جذوع الشجر» (٨ نيسان عام ١٨٩٢)

أنا لا أذكر غيلياروفسكي إلا وهو فتى كالطفل. ذات مرة .. كان هناك في موسكو يعيش في زارياديه الخياط بيلووسوف. كان عنده ابن اسمه ايقان ألكسييفيتش الذي صار لاحقاً شاعراً ومترجماً معروفاً وعضواً في جمعية محبي الآداب الروسية.

كان وقتذاك هو أيضاً خياطاً ويقوم بمحاولات متواضعة في نظم الشعر. فكر الوالد أن يزوج هذا الحبيب اللطيف ايقان ألكسييفيتش. استأجروا داراً لدى صاحب مطعم صغير (بالقرب من كانافا) في ما وراء نهر موسكو ودعوا فرقة موسيقية ومن معارفهم والبعيدين وبدأوا العرس. كان عدد الضيوف يزيد على المائة. حينذاك كان شقيقي ايقان باقلوفيتش يخدم في المدرسة (الميشانية) التي وردت سابقاً وحيث كان أحد المعلمين يكسوه بيلووسوف وكان يكسوني والشكر له. وهكذا دعانا جميعنا إلى العرس: الإخوة التشيخوفيين ولكن الذين توجهوا إلى العرس كانوا ثلاثة: أنطون وايقان وأنا وذهب معنا إلى هناك غيلياروفسكي أيضاً.

تعرفنا هناك بزميل عزيز على العريس اسمه نيقولا ديترفيتش  
تيليشوف وهو فتى يافع وجميل كان سائقاً ويرقص دون أن يستغني عن  
الطاقة الحربية السوداء حتى دقيقة واحدة طوال الليل. صار لاحقاً كاتباً  
معروفاً. وعندما رجعنا إلى الدار قبيل الفجر - الإخوة أنطون وإيفان وأنا،  
تيليشوف و غيلياروفسكي - رغبتنا في تناول كأس من الشاي. ذهبنا إلى  
وبدأ الفجر المشرق. فهنا محلات الليل وهناك أصحاب الدكاكين وعربات  
الحانات وعندما مررنا بجانب إحدى الحانات اقترح الشقيق أنطون فجأة:

يا سادة، لنذهب إلى هذه الحانة ونحتسي الشاي!

دخلنا الحانة، نحن الخمسة نرتدي الفراك (سترة رسمية) وجلسنا حول  
طاولة غير نظيفة وغير مرتبة. صاحب الحانة استيقظ لتوه. الحوذيون وحدهم  
يحتسون الشاي وغيرهم تحلقوا حولنا وصاروا يتفحصوننا، أخذ غيلياروفسكي  
ينكت بينما صار الشقيق أنطون وتيليشوف يتحدثان عن الأدب.

وفجأة قال أحد الحوذيين:

يا سادة! ولكن يتحلمقون...

بالطبع كان محقاً إلا أن غيلياروفسكي أراد التحلمق، قفز من مكانه  
ونظر نظرة ثاقبة إلى وجه الحوذي.

قال مازحاً: قف عندك، عندك! يبدو أننا سووية وإياك هربنا من الأشغال الشاقة؟

ماذا حدث هنا! قفز جميع الحوذيين واضطربوا دون أن يعرفوا ماذا  
عليهم أن يعملوا. هل يمسون بتلايب غيلياروفسكي ويقودوه إلى القسم أم  
يمسكوا بالأخ الحوذي أو يعودون إلى كراسيهم وكأن شيئاً لم يحدث. ولكن  
سرعان ما سوّى الأمر من تلقاء نفسه. روى غيلياروفسكي نكتة وقدم إلى  
الحوذيين تنباك الشم وحاول الحوذي الأخلاقي الاختباء في مكان ما ونحن  
أيضاً، شرعنا بالنهوض. هل يتذكر تيليشوف كل هذا؟ على فكرة كان مبهوراً

بالحديث مع أنطون تشيخوف لدرجة أنه، على الأرجح، لم يعر أي انتباه للمشهد كله.

تعاون أنطون تشيخوف مع «المنبه» وفي الوقت ذاته وفي عام ١٨٨٢ صار يتعاون مع ي.ي.كلانك. كان كلانك أديباً. وعلى الأرجح كان الطبع على الحجر يعطي مدخولاً متدنياً لأنه كان يرسم الكاريكاتيرات غير المباشرة التي كان يضعها في المجلات الثانوية. وعلى فكرة، كانت جميع المجلات الموسكوفية المصورة وقتذاك ثانوية. أعتقد أنه لأجل زيادة الأموال وجعل عمل الحفر على الحجر مستمراً بادر ي.ي.كلانك في عام ١٨٨٢ إلى إصدار مجلة فنية مصورة كبيرة «موسكو» بحيث تكون جميع الصور ملونة. وكانت مثل هذه البادرة بالنسبة إلى ذلك الوقت جريئة وأصيلة. وقد تمت دعوة شقيقي نيقولا ي.ون.بوغاتوف واسحاق ليفيتان وغيرهم بصفتهم فنانين وتمت دعوة شقيقي أنطون إلى المشاركة في القسم الأدبي. بذل ي.ي.كلانك كل جهده في الأعداد الأولى من المجلة، وقد بدت فنية بالنسبة إلى المشترك غير المتطلب كثيراً. وبدت بعض الرسومات بالألوان جيدة إيجابياً. وقد أدرج الشقيق نيقولا ي. إنتاجه مع لوحته الهائلة (نزهة في ساكولينكي) إضافة إلى الصورة المسلية الهزلية (شرب حتى الثمالة) وفيها يصور شقيقنا الأكبر ألكسندر الذي كان مولعاً بالفعل، بالكحوليات وليس أبداً أنطون حسبما يزعم البعض في الصحافة ولسبب أجهله لم يبدأ أنطون تشيخوف نشاطه في مجلة «موسكو» بقصة بل بمقالة نقدية إلا أنه فيما بعد قدم، مشكوراً، قصة طويلة بعنوان «الجديلة الخضراء» التي أغناها الشقيق نيقولا ي. بالصور. ولكن النقص في الأموال لأجل الإعلان الجيد والامبالاة الجمهور لم تفسح لمجلة «موسكو» المجال كي تتقوى وسرعان ما تهاوت. ولا اعتبارات معينة بدل ي.ي.كلانك اسم المجلة كي يصبح «الموجة» ولكن هذا التغيير لم يعط ثماره أيضاً. توقف العمل و صرت أنا أزور هيئة التحرير كي أقبض أتعاب أنطون تشيخوف وهذا الأمر لم يسعفنا دوماً لأن الناشر، حسب كلمات فانيا بابكين المستخدم عنده في المكتب الولد ، قد غادر الدار لتوه من مدخل خلفي.



بشكل عام كنت كثيراً ما أحصل على الأتعاب نيابة عن الشقيق أنطون. فهو كان مشغولاً على الدوام والوقت لم يسعفه وأنا كنت محاميه الدائم. وحتى إنه لأجل هذه الغاية أعطاني وثيقة مضحكة بالمضمون التالي:

(وثيقة طبية)

ممنوحة لطالب جامعة موسكو الإمبراطورية ميخائيل تشيخوف ابن العشرين عاماً ويدين بالمذهب الأرثوذكسي تثبت أنه منذ عام ١٨٦٥ هو أخي الشقيق ومنحته صلاحية قبض النقود في كل هيئات التحرير دون استثناء ومهما كان المبلغ وبناءً عليه أضع توقيعتي وختمتي.

موسكو ١٨٨٦

١٥ كانون الثاني

الطبيب

أنطون تشيخوف

بهذه الشهادة الطبية كنت أذهب لقبض الأتعاب في «أخبار اليوم» لأجل الشقيق أنطون. كانت هذه الأيام امتحاناً قاسياً بالنسبة إلي!... كان يحدث أن يأتي إلى هيئة التحرير ومنتظر - ننتظر إلى أن يجلب بائعو الجرائد الإيرادات.

وأخيراً يسأل الناشر: ماذا تنتظرون؟

فقط كي أحصل على الثلاث روبلات.

ليس عندي هذا المبلغ. ربما تودون أخذ بطاقة إلى المسرح أو بنطلون جديد؟ إذن اذهبوا إلى الخياط آرون تريخير وخذوا بنطلوناً على حسابي.

«أخبار اليوم» هذا اسمها أما شقيقي أنطون فكان يسميها «قبائح اليوم» ويصدرها ابراهام ياكوفليفيتش ليبسكيروف. قبل إصدار الجريدة كان واحداً

من أفضل كتاب الاختزال بل ربما كاتب الاختزال الوحيد وكان يسجل المحاكمات القضائية في محكمة المنطقة. وكان المحامي الشهير ف.ن.بليفاكو الذي بنى لنفسه سمعة كبيرة بمرافعاته، يأخذه معه إلى المحاكمة الريفية حيث كان آ.يا.ليبسكيروف يسجل كلمات بليفاكو كلمة كلمة ومن ثم كانت تظهر في جرائد العاصمة.

بصدد بليفاكو وليبسكيروف ثمة قصة وهي أنه ذات مرة وفي إحدى المدن الريفية كانت هناك محاكمة شهيرة وكان على ف.ن.بليفاكو أن يلقي كلمة هي في آن ليست كلمة محامي الدفاع ولا كلمة المدعي. أخذ معه آ.يا.ليبسكيروف ووصلا إلى هناك تماماً عشية المحاكمة. كان القطار يجتاز هذه المدينة مرة واحدة في اليوم وعند المساء أي ينبغي المبيت فيها شئت أم أبيت. وصلا شتاءً وقت العاصفة الثلجية في الساعة السادسة مساءً وقضيا ليلتهما في فندق ريفي أجرب. وهما المعتادان على ضجيج العاصمة شعرا على الفور بالملل ولم يستطيعا أن يعدّا نفسيهما لتقصير مدة المساء الذي بدأ لتوه. بينما كان الثلج يغطي الشوارع.

تلفنا فظهر لهما خادم الفندق.

أليس عندكما هنا يا عزيزي! مسرح أو مطعم؟

نعم سيدي! عندنا مسرح المدينة في الشارع.. وفيه عرض مسرحي كل يوم عدا السبت!

وما كان من بليفاكو وليبسكيروف إلا أن وضع كل منهما طاقيته الشتوية على رأسه وتوجها إلى المسرح. لم يكن هناك حوزيون ووصلا بمشقة إلى معبد ميليوмина. وفجأة - أوه يا للفضاعة! ثمة إعلان على شباك تذاكر المسرح: (بسبب الطقس الغائم والماطر يلغى العرض).

كان هناك ضوء في كوة التذاكر وقاطعة التذاكر تجلس عسى ولعل ما إذا كان هناك من يشعر بالإغراء ويرغب رغم الطقس الرديء، التجول في المسرح وربما سيشتري بطاقة.

مدّ ف.ن.بليفاكو رأسه من كوة شبّاك التذاكر وسأل:

ألا يمكن للعرض أن يتم اليوم؟

أجابت قاطعة التذاكر: مستحيل. لقد وصل الممثلون لتوهم كي يمثلوا ولكن بسبب هذا الطقس الغائم المتطر أنا لم أبعد ولا بطاقة واحدة.

ما هي الجباية الكاملة عندكم؟

٤٥٨ روبلاً و ٥٠ كوبيكاً.

سحب بليفاكو من جيبه محفظة النقود وأخرج منها كامل المبلغ وأعطاه إلى قاطعة التذاكر وقال:

أنا أدفع الجباية الكاملة. ابذلي جهدك لجمع الممثلين والبدء بالتمثيل.

الله كريم! لم تحدث مثل هذه السعادة إطلاقاً. الجباية الكاملة على الفور في هذا الطقس حيث الأمل مفقود حتى لجني الأجر الأدنى. وقاطعة شبّاك التذاكر غمرها الهرج والمرج. أرسلت أحد الحراس كي يحضر رئيس الجوقة، وأرسلت آخر كي يلم شمل الفرقة. مر الوقت (والأجانب الارستقراطيون) اختفوا في مكان ما. ظهر الشخص الذي يشغل الأضواء والمصابيح، والصالة الميتة انتعشت ومن ثم وصل قائد الأوركسترا المكسو بالجليد ويسير خلفه الموسيقيون أفراد الأوركسترا الواحد تلو الآخر وبدأوا «دوزنة» آلاتهم.

تر، - ترن - ترن .... برن - برن - برن .... بي بي بي .... تو - تو - تو ...

سمعنا من ذاك الجانب من الستارة خطوات وأصواتاً وانتعشت غرف الزينة وحاول أحد الممثلين الفضوليين النظر عبر ثقب في الستارة لرؤية المسافرين المجنونين ولكن لم يكونا هناك. على الأرجح كانا ينتظران بدء العرض في البهو.

ها هي الأوركسترا تصدح بالمارش ومن ثم بشرف صغير وارتفعت الستارة وبدأت المسرحية ومر الفصل الأول وصالة المشاهدين فارغة تماماً. والفصل الثاني أيضاً. وقع الممثلون في حالة من الارتباك والذهول وليس من المفرح بالنسبة إليهم أن يمثلوا أمام مجال فارغ. والضيفان لا وجود لهما لا في المقصورات ولا في الصالة.

وفجأة ولدهشتهم تم سماع هتافات الاستحسان (برافو) من أعلى المسرح.

كانت هي أصوات وهتافات بليفاكو ولييسكيروف.

بعد أن اشترى هذان الموسكوفيان جميع البطاقات وفضلاً لأجل المزح والتنكيت إشغال مكانين في أعلى المسرح.

لا أذكر جيداً أين كانت تقع إدارة «أخبار اليوم» في ذلك الوقت عندما كنت أذهب إلى هناك كي أقبض ثلاثة روبلات في الأسبوع. على ما أظن في شارع تقير غير بعيد عن زقاق الجريدة. وهي مكونة من غرفة واحدة حيث كانوا يستلمون الاشتراكات. وكان العاملون فيها كثيرون الضجيج وفي إحدى الزوايا يوجد بيانو وفي ظل هذا الضجيج كانت ابنة أخت ليبسكيروف أو السلفة تعزف السلم الموسيقي. وبجانبتها كانت تقف معلمتها في الموسيقى. كانت تحاول الصراخ لوقف الضجيج وتقطع هذا بمقطع موسيقي وتعد: واحد - اثنين - ثلاثة - أربعة، .... واحد - اثنين - ثلاثة - أربعة، .... كان يحدث أن تجلس وتجلس في هذا الوضع منتظراً الثلاثة روبلات وفجأة تغمرك الرغبة بالعودة إلى الدار!

سرعان ما استقامت حالة «أخبار اليوم». جرت شائعات أن هذه الجريدة صارت تعلم دون خطأ ما هي الخيول التي ستكسب السباق القادم. الرهان التبادلي قام بما عليه القيام به، والنواقص السابقة حل محلها التوفيق الكامل وصار الناشر نفسه ينتقل من مكان لآخر على الخيول الأصيلة.

لم تكن رواية «فاجعة في الصيد» هي أول روايات أنطون تشيخوف إذ نشر سابقاً في «المنبه» رواية «نصر لا لزوم له» التي ولدت بمحض

المصادفة. تجادل الشقيق أنطون مع رئيس تحرير «المنبه» آ.د. كوريبين بأنه سيكتب رواية من الحياة الأجنبية ليست أسوأ من تلك التي ظهرت خارج البلاد وترجمت إلى اللغة الروسية. نفى كوريبين هذا الأمر. قررا أن يشرع الشقيق أنطون بكتابة مثل هذه الرواية بينما احتفظ كوريبين بالحق في التوقف عن طباعتها في أية لحظة.

ولكن تبين أن الرواية ممتعة وحازت اهتمام الجمهور لدرجة أنه أكملها حتى النهاية بالتوفيق. وحسبما أذكر وردت إلى هيئة التحرير رسائل يسألون فيها أليس ايوكاهو المغربي وأليس شيبيلغاغين هو فريديك؟

كانت ثمة مجلات أخرى في موسكو يتعاون معها شقيقاي نيقولاي وأنطون ومنها «نور وظلال» و«التفكير الدنيوي» وقد نشرهما ن.ل. بوشكاروف. كان هذا الشخص متعلماً ومتقفاً ثقافة عالية ومتعددة الجوانب وشهيراً للغاية في زمانه كشاعر هجائي بذوق نيكرا سوف. وأشعاره الفاضحة مثل (بشاعة وقباحة وبذاءة) و(هكذا لا بأس) و(ثلاث مربيّات حاضنات لثلاث أمم - جميعهم من خميرة متميزة) كانوا ينشدونها على من خشية أي مسرح منوعات. ولم تبارح أشعاره الشفاء ولكن لا يكاد أحد يعرف مؤلفها. عدا هذا كان كاتباً مسرحياً وعرضت مسرحيته «كسينيا وديميتري المزيف» على خشبات المسارح.

كان إنساناً ذا مراس وعالي الهمة وذا دهاء ومبدعاً؟! وكانت له داره الخاصة به في شارع البريغادير في موسكو حيث توجد مطبعته وآلة الطباعة الحجرية وهيئة التحرير وشقة واسعة. أصدر للمرة الأولى مجلة «العرض الموسكوفي» التي كانت تصدر أسبوعياً الكتيبات التي كان يطبع فيها رواية شكلياريفسكي الخاصة بالجرائم الجنائية وعنوانها «الصباح بعد حفلة الرقص أو جريمة قتل في الحمامات الصينية» المكتوبة على أساس موضوع المحاكمة المثيرة التي أفلقت العقول الموسكوفية. ومن ثم بعد أن أسس المجلة الهزلية (نور وظلال) غير بوشكاروف اسم «العرض الموسكوفي» كي يصبح (التفكير الدنيوي) وصار يصدرها سوية مع (نور وظلال). كانت مجلة حادة للغاية تتصدى لكل الأحداث في الحياة الاجتماعية والسياسية مما عرضها

لعقوبتين: الأولى تم توقيفها لسنة كاملة بالتمام والكمال، والثانية نصت على منع بيعها بالمفرق وبالطبع نصف هذا الوضع، بقوة، إمكانات المجلة المادية مع أن الرأي العام كان بالكامل إلى جانب بوشكاروف لاسيما الرسمة المنشورة بعد الأول من آذار ١٨٨١ والتي تصور المشنقة ومكتوب عليها: (سلاحنا لحل المسائل الملحة).

ولكن بوشكاروف لم يكتتب. أسس مجلة سميكة «المكتبة الأوروبية» التي كانت تصدر أسبوعياً على شكل كتيبات الواحد منها ١٢ - ١٥ صفحة مطبوعة. وكل كتيب كان يتضمن رواية مكتملة لكاتب أجنبي بالترجمة الروسية. وعلى شرف هذه «المكتبة الأوروبية» ينبغي القول إنها أول مجلة تطلع الجمهور الروسي على مؤلفات أولئك الكتاب من أمثال هكتور مالو وكارل اميل فرانتسوز وآ.دوديه وآ.تيريه واميل زولا وبير لوتي. كان ينبغي الشعور بالتعجب والاستغراب كيف استطاع بوشكاروف إصدار هذا الكم الهائل من الكتب المطبوعة خلال سنة واحدة على مثل هذا الكم من الورق ناهيك أن الأموال المحدودة المتوفرة في ذلك الوقت كانت محدودة؟!!

يبدو أن «المكتبة الأوروبية» استمرت لسنة ونصف السنة ومن ثم توقفت إذ لم يكن ثمة وقت لدى المشتركين لقراءة هذا الكم الهائل من الكتب فكان يكفي إصدار ١٢/ كتاباً في السنة بينما أصدرنا خمسين كتاباً. وتركت (التفكير الدنيوي) ذكرى جيدة عن ذاتها بنشر (أغاني البحار الكهل) لكولريج مع رسومات فائقة الروعة بريشة غوستاف دوريه.

نشر الشقيق أنطون في «التفكير الدنيوي» القصة الطويلة «أزهار متأخرة» بينما نشر نيقولاي عدداً كاملاً من الرسوم والكاريكاتيرات في «نور وظلال» ونشرت أنا تحت شركة الشقيق نيقولاي رسوماتي أيضاً وأما ما أبدعته من أحجيات الصور فقد صدرت في مسابقة الجائزة. وفي «المكتبة الأوروبية» كان يجب أن تظهر ترجمتي للكاتب مورييس هارتمان ولكن (لأسباب تتعلق بهيئة التحرير) رجعت المخطوطة من الرقابة بالرفض. وحتى أنني لم أفكر عندما كنت طالباً كيف استطعت ترجمة مثل هذه الأشياء الخبيثة

عن الألمانية. أتصور كما لو كانت بداياتي المدرسية قد أهينت! وبشكل عام عقدت آمالاً كبيرة في ذاك الوقت على مهنة الكتابة. وهكذا رتبت رواية كاملة وأخذتها إلى جريدة آ. غاتسوك وكان من الممكن أن تظهر مطبوعة في هذه الجريدة غير المتطلبة فيما لو لم يتم حبسها.

عند ذاك قرأت الكثير من الأدبيات الاجتماعية وكنت أكسب الشيء الضئيل من النشر في المجلات حتى إنني اشتريت ساعة. وأن تكون لدى الإنسان ساعة جيب وأنا طالب في المدرسة الثانوية وأقرأ الكتب التي تستحق اللوم عليها مثل مؤلفات برودون، بدا كل هذا قمة التفكير الحر والتفكير التحرري، وقد لازمني الشقيق أنطون دون أن يريحني وكان طوال الوقت يقول لي ساخراً:

تعرف إلى غاتسوك. ولكن غير موافق أن تتعرف إلى برودون واحمل معك ساعتك.

تتبعي الإشارة إلى أنه لم تكن توجد ساعة جيب حتى عند أنطون تشيخوف وقتذاك.

كان بوشكاروف يتجاوب مع كل ما هو جديد في العلم والفن والأدب. وهكذا وصل إلى موسكو المنوم المغناطيسي المعروف في زمانه جيرمان وكان محظوراً عليه أن يُري جلساته للجمهور فاقترح بوشكاروف عليه داره ودعا ممثلي الصحافة والبروفسورات الموسكوفيين. وقد تم الاتفاق أن يقوم شقيقاي باسم بوشكاروف بدعوة البروفسور الشهير أسترواوموف إلى هذه الأمسية.

أنجز جيرمان أشياء مذهشة وعجيبة أوصلت الأساتذة الكبار إلى حالة من الذهول. وهكذا فهو لم ينوم الشخص الممدد أمامه بل أوقف، أيضاً، دوران الدم في سائر جسده. وخزوا العرق (الوريد) لدى المنوم وحزوا الجسد إلا أن الدم ظل على حاله لا يسيل وتوقف القلب عن الخفقان وتوقف أيضاً نشاط الدماغ. ولكن الغرابة في الأمر ومما أذهل حتى البروفسور أسترواوموف وأغرقه في حالة من الاضطراب أن جيرمان رتب الأمر مرة واحدة بحيث أن المنوم في ظل التوقف الكامل للدورة الدموية والتوقيف

الكامل لنشاط القلب، لم يتوقف مع ذلك نشاط الدماغ الرئيسي واستطاع الشخص أن يرى ويشم ويسمع وحتى أن يجيب عن الأسئلة المطروحة عليه وبهذه الصورة هنا برز السؤال المعلق: كيف استطاع وبشكل سليم تشغيل دماغ الرأس في الإنسان في ظل الشلل الكامل للقلب والرئتين؟.

هتف أسترواوموف عالياً: هنا بالذات تكمن المشكلة!

كان من المرعب النظر عندما عرض جيرمان مريضه لحالة الكزاز، وعندما تخشب وصار كالحجر أو جذع الشجرة وضعه على قفاه على كرسي واحد والأعقاب على آخر وجلس ثلاثة أشخاص كبار عليه كما لو كانوا يجلسون على مقعد طويل. وهو نفسه لم يشعر بذلك واستغرب عندما أيقظوه لاحقاً ورووا له كل شيء. وكان كل شيء جديداً آنذاك وتم عده عصياً على الشرح بل حتى الأساتذة أنفسهم وقعوا في مأزق وصرخوا: (إنها لمعضلة!).

على ما يبدو أن ن.ل. بوشكاروف كطبع وموهبة متنوعة الجوانب سرعان ما شعر بالملل أو إن طبيعته كانت واسعة لدرجة لم يستطع التوقف عند نقطة واحدة. فهو يعشق صيد السمك واختراع صنارات تنتشل بسرعة كل سمكة ذاتياً وتباع في المحلات والآن لا أحد يعرف بأنه هو بالذات الذي اخترعها. وفتح محل تصوير في لوبيانكا وبعد ذلك كرس كل جهده لاختراعه (الشمعة البوشكاريفية) التي صار يستفيد منها الأجانب بأبخس الأثمان والتي اكتسبت حق المواطنة في أرجاء الكرة الأرضية على شكل فتيلة عادية تعمل بالبنزين والكحول والتي تستخدمها كل ربة منزل عند غلي القهوة أو تصفيف الشعر وتجعيده ولكن كل هذه المشاريع والإخفاقات مع المجالات سرعان ما أوصلت بوشكاروف إلى حالة الإفلاس في النهاية وفارق الحياة، كما قالوا، وهو في فقر مدقع.

ومن بين المجالات التي عمل فيها أنطون تشيخوف أود التوقف أيضاً عند «الصرصور» وقد أصدر هذه المجلة الهزلية الفرنسية الصغيرة الأخوان فيرنر (يفغيني وميخائيل). كانا فتيين يافعين نشيطين وعاشا فترة طويلة في



المهجر ويكسبان من الأعمال التجارية وقدموا إلى روسيا كي يشتغلا بالبزنيس الفعلي. أسسا مجلة «حول العالم» وبفضلها اطلع الجمهور على مؤلفات لويس بوسينار وستيفينسون ورايدر هاغارت وغيرهم. كانت مجلة شهيرة للغاية وقد اشترك بها كل طالب ثانوية. وسارت الأمور على خير ما يرام واقتتوا من آ.كارينسكايا مطبعة ضخمة في (أرباط) وصارا يوسعان مجال نشاطهما وبالإضافة إلى «حول العالم» صارا يصدران مجلتيْن أخريين: الأولى هزلية «الصرصور» والثانية طفلية «صديق الأطفال» وهنا انطفأ نشاطهما.

إذا كانا في مجلة (حول العالم) قد انجرا، كما يقال وراء ذوق القارئ ومتطلباته فقد أظهرنا ضعفاً في نشر المجلتيْن الهزلية والطفلية. في الحقيقة كانت «الصرصور» من حيث الظاهر أصيلة. فهي نسخة عن إحدى المجلات الباريسية علماً أن الأخوين فيرنر لشرف كبير لهما أنهما أول من أدخلوا إلى روسيا تلوين الرسوم ليس بالطبع على الحجر بل التلوين المائي بواسطة (الاستنسل). لكن «الصرصور» من حيث المضمون كانت شاحبة إلى حد ما، وأما «صديق الأطفال» (كنت أنا أيضاً أعمل فيها) فكانت غير شيقة إطلاقاً. فهي لم تحظ بإعجاب الأطفال ولم تستطع حتى التنافس مع المجلة السيئة مثل «استراحة الطفل» لناشرها ايستومين. ولكن من يزر ولو بالصدفة مرة واحدة مطبعة الأخوين فيرنر فهي ستبدو له أنها أجنبية. العمل يجيش والآلة تهدر ومحرك الغاز يشتعل ويشند في اشتعاله والأخوان فيرنر لم يجلسا ويدهما مشبوكتان ينتظران الأرباح بل إن الاثنين يرتديان القمصان الزرقاء ويعملان دون أن يرخيا اليدين.

كان الأدباء النثريون يؤمنون الدار وعلى فكرة أصدرنا كتاباً يتضمن قصص الشقيق أنطون تشيخوف (أحاديث بريئة) وصمم الغلاف شقيقنا نيقولاي. وتميزت كل الطبوعات بالأصالة والأناقة. وفي ظل ظروف أفضل كان يمكن للأخوين فيرنر أن يعملوا الشيء الكثير. والشيء الرئيسي هو أنهما بنفسهما أعفيا نفسيهما من العمل وهما كأوروبيين حقيقيين كانا يظهران في المجتمع وهما يرتديان أحدث الأطقم المتأنقة وأما أنطون تشيخوف فقد كان

يداعبهما ويمازحهما في (شظايا الحياة الموسكوفية) التي ضمنها في مجلة ليكين «شظايا» كتب عنهما ما يلي: هل تعتقدان أنه من السهل إصدار المجلات؟ هذا ليس عبارة عن الصدير مع الفرس (لعبة).

لم يعرف الأخوان فيرنر أن الذي كتب هذا هو بالذات واشتاكيا له على تلك النزوة الطائشة الموجهة إليهما.

الأخوان فيرنر أفلسا لاحقاً أيضاً عندما انتقلت (حول العالم) إلى ي.د.سيتين وأما «الصرصور» و«صديق الأطفال» فقد توقفتا عن الصدور. يبدو أن الأخوين قد غادرا، بعد ذلك روسيا.

الهيئة العامة  
السنورية للكتاب



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

في يوم الأحد عند الشقيق ايفان - كارثة كوكوف - پ.آ.شيسستاكوفسكي - (حكايات ملبومينا) (في الميثولوجيا الإغريقية ملبومينا هي واحدة من ربات الشعر والأدب وحامية التراجيبيا. مصورة في لكليل من أوراق الغب مع قناع تراجيدي وهرولة في اليد. بالمعنى المجازي: (كهنة ملبومينا هم الممثلون) - المترجم) على منصة أدب الأطفال. في تشيخين عند الطبيب پ.آ.أرخانغلسك - منابع المواضيع التشيخوفية - قصة مع (القائد) آشينوف - انطباعت زفينغورود ( مدينة روسية عريقة) لعام ١٨٨٤ في مواضيع تشيخوف - أنطون تشيخوف والدكتور پ.ك.روزانوف - لقاء مع سكريابين - أوائل مرضى الشقيق - حراس نظام زفينغورود - التقرب من عائلة كيسيليوف - (البابكنية) في إبداع تشيخوف - في عالم الانطباعات الأدبية الموسيقية - م.ف.بيغيتشيف - كيسيليوف وتشايكوفسكي - خطة (بيللا) مع ليريتو الشقيق - وصول غريغوروفيتش - الجزام عند تشيخوف وليفتان - ماركيفيتش في بابكين - تلون ليفيتان مع الشقيق نيقولاوي - رويات ليفيتان - تفاصيل لأجل موضوع «النورس».

كنت قد ذكرت في حينه أن شقيقي الأوسط ايقان تشيخوف اجتاز الامتحان في عام ١٨٨٠<sup>(٤٤)</sup> بنجاح كي يصبح معلماً وتم تعيينه خارج الملاك في مدينة فوكريسنيك الصغيرة في منطقة موسكو على بعد ميل واحد من الدير الشهير (اورشليم الجديدة) الذي أسسه البطريرك ليكون بهدف منح الحجاج الروس الإمكانات كي لا يسافروا إلى فلسطين لزيارة الأماكن المقدسة بل الاكتفاء بزيارة (الدير) القريب منهم. ويعدُّ هذا الدير صورة طبق الأصل

عن هيكل اورشليم الفلسطيني. ففيه تم إنشاء الجلجلة ومصلى (الضريح الرباني) وصف الأرز بل حتى أنه يوجد جبلا الكتاب المقدس فوقور وحرمون وقد تم انتقاء المكان بعناية خاصة. فوسكريسنيك كانت لاتزال وقتذاك مدينة صغيرة وكان فيها مدرسة واحدة تابعة للأبرشية. وقد أشرف عليها شقيقي.

كان ولي قيم هذه المدرسة هو صاحب معمل الجوخ الشهير سوريكوف الذي لم يضمن بالأموال لأجل تجهيزها بكل مستلزماتها. وفجأة ظهرت لدى ايفان شقة واسعة وبأثاث جيد ومعدة لا لمعلم عازب واحد بل لأسرة كاملة. وبالنسبة إلى عائلة تشيخوف التي كانت تقطن حينذاك في موسكو في حالة من الضيق والضحك كانت هذه الشقة لقية لا غبار عليها. وما كادت تنتهي الامتحانات الانتقالية عندي وعند أختي ماريا حتى سافرنا مع الوالدة يفيغينياكوفليفنا إلى فوسكريسنيك ومكثت معنا حتى لحظة بدء الدراسة. كانت فوسكريسنيك بالنسبة إليّ وإلى الأخ جنة الأرض لاسيما أننا شعرنا بالإرهاك في موسكو. فوسكريسنيك رائعة بضواحيها. ففي محيطها يكثر الفطر ونحن عائلة تشيخوف من هواة جمع الفطر.

كانت تقف في المدينة بطارية بقيادة العقيد ب.ي.مايوفسكي الرجل الاجتماعي والحيوي النشيط. وهناك كان يعيش، وقتئذ، ب.د.غولوخفوستوف الذي اشتغل كثيراً على مسألة كاتدرائيات المجالس المحلية. طويل القامة، أسود اللحية، وشعر الرأس بخصلة شبياء من الجبين حتى موخرة الرأس وكان يتهدى في مشيته مرخياً رأسه على صدره. كان دوماً مشغولاً بأفكاره وسائراً على طرف داره وحوله دون أن يتمكن من العثور على البوابة. ومن أجل أن يستطيع ولوج الدار كانت هناك فتاة صغيرة اسمها آفوتشكا تساعد في ذلك وهو تبنائها. انهمك كثيراً في دراسة التاريخ القديم وقدم عدداً غير قليل من الاكتشافات حول زمن الفتنة والشغب وفكر سوية مع الوزير آنذاك ن.ب.ايجناتيف لإدخال شيء من نوع الدستور في روسيا ولكن على نمط كاتدرائيات المجالس المحلية (الضيقة الصلاحيات). لغته عتيقة جداً. كان

يكتب ويتحدث بلغة المدونات التاريخية وهو نفسه كان يبتكر كلمات ضخمة مثل الغابات حول دار مؤلفة من ثلاثة طوابق. وكان من الممتع جداً الحديث معه لأنه كان يحافظ على البساطة ويدهش الآخرين بسعة اطلاعه. في أثناء سرده الحديث كان يزرع الغرفة جيئة وذهاباً. وزوجته اولغا أندرييفنا كانت كاتبة وتنسب إليها مسرحية «الجسور للجسور» ومسرحيته الفكاهية الناقدة حسب المثل (ادمج القول بالعمل).

كانت تقطن في فوسكريسنيك عائلتان - ثلاث عائلات ظريفة أيضاً إلا أن أسرة مايوفسكي هي، مع ذلك، مركز الحياة كلها فيها. أولاد صغار ذوو فتنة وسحر: أنيا وصونيا وأليوشا الذين يتصادق معهم شقيقي أنطون ووضعهم في قصة «الأولاد» وكان عندهم، أيضاً، جريح في الحرب التركية هو الضابط أيه.ي. طيشكا الذي كان يمشي دوماً وهو يلبس على رأسه طاقية شتوية حريرية سوداء اللون والذي يسميه الشقيق أنطون في مراسلاته (طيشكا الصغير بطاقية شتوية صغيرة). وهنا تعرف الشقيق بضباط آخرين، وبشكل عام بالحياة العسكرية. وخدمه هذا التعارف خدمة جلى في إبداع "الشقيقات الثلاث" وكان ملازم المدفعية يه.ب. ايغوروف صديقاً مقرباً للإخوة التشيخوفيين وذكره أنطون تشيخوف في قصته «الجديلة الخضراء». فيما بعد أحيل ايغوروف هذا على التقاعد ولكن الرغبة ظلت قوية لديه بأن (يعمل ويعمل ويعمل) مثل البارون توزينباخ في «الشقيقات الثلاث» وقدم خدمة لا بأس بها لسكان محافظة نيجيغورود. في عام ١٨٩٠ كان يسافر إليه الشقيق أنطون وشارك الاثنان في تأمين خيول الشغل للفلاحين.

لم يذهب الشقيق أنطون معنا منذ البداية إلى فوسكريسنيك إذ كان في شغل شاغل عن المصايف لأن ضرورة كسب لقمة العيش في المجالات الموسكوفية أعاقه حتى الصيف في موسكو التي لم يغادرها إلى أبعد من ساكولنيكي وبوغورود وغيرهما من الضواحي التي كان يهزأ بها، بموهبة فذة في (القصص المبرقشة). على ما يبدو لم يشعر وقتذاك بالملل في صيف

موسكو الخائق. كان هناك معرض كبير لعموم روسيا. وفي عام ١٨٨١ تم كشف الستارة عن النصب التذكاري لبوشكين الذي حرك الانتيليجينسيا الروسية بأسرها. تعرّف حينذاك بأشخاص جدد ودخل في صلات أدبية وانغمس كلياً في شؤون الجرائد والمجلات، وعلى فكرة حصل في معرض عموم روسيا على تأنيب أقلقه كثيراً.

في تلك السنة، صيفاً بينما كان قطار الركاب منطلقاً من موسكو إلى الجنوب تحطم تحت الردميات بين محطتي موسكو - كورساك (تشيرن) وباستيفا بالقرب من قرية كوكويقا. انهالت الردميات خلفه ودُفن جميع الركاب أحياء. أطلقوا اسم القرية كوكويقا على الكارثة. تم وقتذاك إرسال ف.أ. غيلياروفسكي المذكور سابقاً كمراسل وكان له الفضل في توضيح جميع تفاصيل هذه الكارثة المرعبة.

في معرض عموم روسيا، قسم الصحافة الدورية كان يوجد كشك مجلة «نور وظلال» ومسؤولتها واحدة من معارفنا هي ايباتيفا. تحدث الشقيق معها وفجأة اجتاح البشر حالة من التشنج إذ سمعوا خبراً عن الكارثة وهروا الأولاد ببرقيات مستعجلة. اهتم الشقيق أنطون بالموضوع، اشترى برقية وقرأ وأصابه الاضطراب.

توجه الشقيق أنطون بالكلام إلى آ.آ. ايباتيفا بصوت مسموع: من المعلوم أن مثل هذه الكوارث لا تحدث إلا في بلدنا روسيا الحقيرة.

في هذه اللحظة هروا نحوه بسرعة جنرال بصدارة زرقاء وكتافيتين بيضاوين وقال:

كيف قلت أيها الشاب؟ أعد! يبدو «في بلدنا الحقير روسيا»؟ ما اسم عائلتك؟ من أنت؟

ارتبك الشقيق أنطون واضطرب.

قال الجنرال: حسناً. يمكنك أن تكون مسؤولاً عن كلامك. ثم ابتعد بسرعة.

توقع الشقيق أنطون أنهم سيعتقلونه الآن ويستدعونه إلى بوتيركي وما إلى ذلك إلا أن كل شيء مر بالتوفيق ولم يعد الجنرال بعد ذلك.

كان يوجد قسم موسيقي مميز في معرض عموم روسيا، تعرض فيه أنواع مختلفة من الآلات الموسيقية، وبصورة رئيسية آلات البيانو الصغيرة والكبيرة والاوركستريونات (آلة ميكانيكية موسيقية تقلد الاوركسترا وتشبه في شكلها الخارجي الأرغن - المترجم). ومن أجل الإعلان الجيد عن المعروضات دعت الشركات مشاهير الأوروبيين كي يعزفوا عليها كونسرات كاملة وبهذا الشكل كان من الممكن الاستماع إلى فنان عظيم بالمجان. ومن هؤلاء المشاهير قائد اوركسترا ومؤسس الدورات الفيلهارمونية والكونسرات في موسكو ب.آ. شبيستاكوفسكي الذي عزف للمرة الأولى في هذا القسم الموسيقي على بيانو عائد لإحدى الشركات - (رابسوديا) ليست المعروفة. وقد لفتت انتباه شقيقي نيقولاي وأنطون بحيث أنه صار من الممكن منذ ذلك الوقت الإصغاء إلى هذه الرابسوديا عندنا في الدار كل يوم عدة مرات ومن أداء نيقولاي. تعرف الاثنان بشبيستاكوفسكي وصارا يزورانه كثيراً دون كلفة.

كان شبيستاكوفسكي إنساناً على غاية من الظرافة والطف والتهذيب وكل من يعرفه كان يقدره أرفع التقدير بصفته عازفاً ويحبه كإنسان. ولكن إذا كان الأمر يتناول الموسيقى التي كان يعبدها فكان ينسى كل شيء في الدنيا ويتحول إلى أسد مستعد لتمزيق كل واحد من موسيقيه بسبب أدنى خطيئة في الاوركسترا. ما إن يسمع بمثل هذه الخطيئة حتى يذق بعصاه ويوقف الاوركسترا كلها عن العزف.

توجه إلى الموسيقي قائلاً: إذا كنت بهيمة وستفسد حفلاتي الموسيقية فأبني سأطردك إلى خارج القاعة.

في إحدى تلك الحالات اعتبر صديقنا العزيز آ.ي. إيفانينكو أن هذه الإهانة موجهة إليه فسأل بكبرياء وكرامة:

أتجاسر على الاعتقاد يا بيوتر آدموفيتش أن هذه الكلمات غير موجهة إلى شخصي (هو عازف على الفلوت)؟



نعم ليس إلى شخصك. قال شبيستاكوفسكي هذه الكلمات بصوت باك بل إلى هذا العبيط البليد!

حادثة أخرى مع س.م. غريغوروفيتش الذي كان يعزف على الطبل الرئيسي. بينما كان يحلم وتعب من الانتظار عندما يعطيه المايسترو الإشارة، الميزور قرع على الطبل قبل حينه.

وضع بيوتر آداموفيتش العصا وأوقف الاوركسترا ثم توجه إلى قارع الطبل: إذا استمرت بهذه الروحية فإنني سأسحبك من أدنك.

تكرر عازف الطبل وخرج من القاعة بصورة استعراضية.

ولكن بعد التدريبات والكونسرتات لم يزعل أحد من شبيستاكوفسكي. وقد عرف الجميع طبعه وكانوا واثقين بأنه هو نفسه سيلاطف الجميع لاحقاً وسوف يغبط بنجاحات فرقته الموسيقية.

يبدو أن أنطون تشيخوف في قصته «فضيحتان» بوصفه المايسترو أخذ نموذج شبيستاكوفسكي بالذات ودخلت هذه القصة في مجموعة أنطون تشيخوف القصصية الأولى «حكايات ميلبومينا» التي أصدرها في عام ١٨٨٤. وكما يقال لم يلق هذا الكتيب النجاح. وقد تم طبعه في مطبعة آ.أ. ليرينون بالدين من أجل أن يستوفي الثمن من الدفعات الأولى من البيع. ما السبب: تصور مالكو مخازن الكتب أن هذه القصص ليست مسرحية بل حكايات للأطفال ووضعوها في قسم الأطفال. بل حتى أنه حدث نوع من سوء التفاهم. وقد أثار جنرال للمشرف على محل الكتب فضيحة بأنه باعه هذا الكتيب الطفلي اللاأخلاقي.

ماذا جرى لـ «قصص ميلبومينا» فهذا ما لا يعرف شيئاً عنه حتى المؤلف نفسه. ومثل هذا الإخفاق أصاب كتاباً آخر لتشخوف في تلك الفترة إذ تم طبعه وتحضير كراساتة إلا أنه لم يكن بالإمكان وضع الغلاف. وعلى فكرة، ضم هذا الكتاب قصة «زوجات الفنانين» التي طبعت لاحقاً في

«قصص ميلبومينا» و «الجزر الطائرة». وقد أبدع الصور لهذا الكتاب بلطف وأناقة شقيقه نيقولا. ولا أعرف لماذا هذا الكتاب بالذات لم ير النور وما هو مصيره اللاحق؟

لم يزر أنطون تشيخوف فوسكريسنيك إلا في الصيف عندما كان طالباً في السنة الدراسية الأخيرة. فهنا وجد نفسه في محيط مخلص وشريف من المعارف. صار أنطون هذا الإنسان الطويل القامة بمعطف أسود وقبعة عريضة يشارك في كل نزهة علماً أن الأطفال يشكلون مجموعة كبيرة ويركضون إلى الأمام بينما كان الكبار يسرون بعيدين خلفهم وهم يخوضون في أحاديث ليبرالية حول موضوعات الساعة المقلقة. وعن ماذا كان يمكن الحديث فيما عدا مؤلفات شيدررين التي كان يحسب لها حساب، وكانوا يشتركون بالمجلات السميكة والتي كان أكثرها نجاحاً «المذكرات الوطنية» و«بشير أوروبا» و«البشير التاريخي». وأنطون تشيخوف بصفته كاتباً كان بحاجة إلى الانطباعات و صار الآن يستمدّها لأجل موضوعاته من تلك الحياة التي كانت تحيط به في فوسكريسنيك: فهو ولج هذه الحياة بالكامل. ونظراً لأنه أصبح طبيباً مستقبلاً كان يحتاج إلى ممارسة طبية عملية وهي، كما تبين، أنها بين يديه.

تقع مزرعة تشيكينو على بعد كيلومترين تقريباً عند بركة ضخمة وجميلة. وهذه المزرعة اشتراها المجلس البلدي بهدف تحويلها إلى مستشفى. وأشرف عليها أحد أطباء المجلس وهو معروف في الأدبيات الطبية الدكتور الطبيب باقل أرسيفيتش أرخانغلسك. وقد برزت مستشفى تشيكينو لأنها عدت نموذجية. و باقل أرسيفيتش نفسه كان اجتماعياً ومحباً للعشرة وكان يلتف حوله لأجل الدروس العملية لفيف من الشبيبة الطبية التي برز كثير منها نجوماً مضيئة في عالم الطب. وهناك الشقيق أنطون ونحن جميعاً تعرفنا إلى ف.ن.سيروتين و د.س.تاوبير و م.پ.ياكوفليف الذين لم تبرز أسماؤهم في علوم الطب وكانوا دون أثر. وغالباً وبعد يوم عمل شاق كان يلتئم شملهم عند أرخانغلسك حيث يتمتعون بالسهرات التي كان يكثر فيها الحديث عما هو ليبرالي ويناقشون آخر مستجدات عالم الأدب. وكانوا يتكلمون كثيراً على

شيدرين وتورغينيف ويغنون في كورس الأغاني وينشدون نيكراسوف (أشهر لي على مثل هذا المسكين) بتلذذ. وهناك للمرة الأولى وأنا طالب ثانوية لم ينادوني (ميشا بل ميخائيل) وهذا الأمر رفع من شأنني في عيني الاثنين. وكانت السهرات بالنسبة لي، مدرسة حصلت فيها على تثقيف سياسي واجتماعي وحيث صيغت معتقداتي إلى الأبد كإنسان ومواطن.

في عام ١٨٨٤ أتم شقيقي أنطون سنته الأخيرة في الجامعة وانتقل إلى مستشفى تشيكنو للعمل طبيباً ممارساً. وهنا استمد موضوعات قصصه «الهارب» و«الجراحة» وأما تعرفه بمدير مكتب البريد أندريه ايغوروفيتش فقد أعطاه موضوعاً لقصته «امتحان الرتبة».

ساد وضع آخر كلياً في هذه الفترة في مستشفى آخر قريب من فوسكريسنينك يتبع معمل الجوخ العائد لمالكه آ.س. تسوريكوف في ضيعة ايفانوفو. هذه المستشفى مفروشة بأثاث ثمين بل حتى باذخ إلا أنها لم تكن تتمتع بالشهرة. كان يشرف عليها الطبيب م.م. تسفيتايف الذي يتسم بنفسية خاصة إذ لم يكن في أثناء استقباله المرضى، يسمح للمريض بالاقتراب منه خوفاً من أن تفوح منه رائحة كريهة. ومع ذلك ثبت اسم هذا الطبيب في أدبيات الطب أي إنه ترك أثراً ملحوظاً.

كان هناك أحد القوزاق الذي سمى نفسه زعيماً ويتمتع بشهرة كبيرة ويحلم، مثل كولومبوس، بفتح قارة جديدة وجعلها مستعمرة روسية.

في سنوات شباب العم ميتروفان ايغوروفيتش الذي تحدثت عنه في بداية هذا الكتاب زاره شخص طالباً العمل. حدث هذا في تاغانروغ، اقترح عليه العم أن يحفر له قبواً. أنجز هذا الشخص المهمة بجهد كبير وكان يتكلم بذكاء بحيث أثار اهتمام العم وصارا يتحدثان سوية. وقد ترك أثره الكبير في العم وتركت هذه الحفريات الأرضية بصمتها عليه طوال حياته اللاحقة.

أحيل طبيب المستشفى في تسوريكوف م.م. تسفيتايف على التقاعد ودخل سلك الرهبنة. وها هو قد ظهر فجأة (الزعيم) آشينوف الغريب وذكر أنه اكتشف قارة. استقبلته الصحافة بسخرية وتهكم، والسلطات في بطرسبورغ -

بارتياپ. وقتذاك قرر العمل متوكلاً على نفسه إذ طبع إعلانات دعا فيها الأشخاص الباحثين عن السعادة والحبوحة والهناء أن ينضموا إليه ويتوجهوا معه إلى أماكن جديدة.

جمع، حينذاك قرابة المائة أسرة ومن أجل أن لا يبقى دون غذاء روحي دعا آشينوف أيضاً الخوري بابيسيوس كرئيس للفرع المقبل للكنيسة الأرثوذكسية في المستعمرة والخوري تسفيتايف كطبيب وراعٍ روحي.

التقى المغامرون في السفينة في الاوديسا وأبحروا إلى أراضي الميعاد. أنزلهم آشينوف على شاطئ البحر الأحمر بعد أن احتل المستعمرة الفرنسية أبوك وصار اسمها (موسكو الجديدة). رفعوا العلم الروسي وعسكروا.

قدمت الحكومة الفرنسية إلى الروسية استجابةً مفاجئةً الأخيرة أنه لا علاقة لها إطلاقاً بآشينوف ولا (بموسكو الجديدة) وأن الزعيم يتوكل على نفسه. عند ذلك أرسلت الحكومة الفرنسية طراداً إلى أبوك وطلبوا من آشينوف تنظيف الشاطئ على الفور وإنزال العلم الروسي. رفض رفضاً باتاً آملاً، على الأرجح تلقي الدعم من الأصدقاء في روسيا.

وعند ذلك فتح الطراد النار على موسكو الجديدة وتم أسر العائلات على متن الطراد بعد أن تم قتل الكثيرين من النساء والأطفال ولكن إلى أين لجأ آشينوف وبابيسوس فهذا الأمر لا أذكره. وأما ما يتعلق بالطبيب السابق تسفيتايف فقد عبر صحراء دانيكيل في إفريقيا وانتقل إلى أثيوبيا حيث استقبله النجاشي الحبشي مينيليك وعقد معه الصلات ثم وصف لاحقاً هذه الرحلة، إذا لم أخطئ، في (جداول محافظة ياروسلاف) وفي سلك الرهبة كان يحمل اسم يفريم.

في أواسط صيف عام ١٨٨٤ أخذني شقيقي أنطون معه وتوجهنا إلى زفينغورود بصفة مشرفاً على المستشفى القائمة هناك في أثناء إجازة طبيبها س.ب. اوسبينسكي وهنا بالذات لزم الأمر كي ينغمس في حمأة الحياة الريفية إذ هنا كان يستقبل المرضى وكانوا يكلفوه بالسفر للقيام بأعمال التشريح وصار خبيراً في القضاء الشرعي. وفي زفينغورود كان ذاك البيت الذي احتوى مؤسسات الدولة التي يقول عنها أحد الأبطال التشيخوفيين: (هنا

البوليس، وهنا الميليشيا، وهنا القضاء - مؤسسة الفتيات النبيلات تماماً). وأعطت انطباعات زفينيغورود تشيخوف موضوعاً لقصص «الجسد الميت» و«أثناء التشريح» و«جنية البحر»، وعندما كان يحل المساء كنا نزور سوية مع الشقيق ربة المزرعة المحلية المضيفة ل.ف.غامبورسيفا التي كان لديها بنات لطيفات وكان يمكن الاستماع إلى الموسيقى والغناء وأن نرقص. كان الإنسان الوقور والمبجل سيرغي مكاريتش مساعد الطبيب في مستشفى زفينيغورود وأما عامل المختبر في الصيدلية فكان النابولي الذي يخلط بين الأدوية التي يسجلها الشقيق أنطون. حتى تم تكليفي بمتابعة دقيقة لهذا الكيميائي من زفينيغورود.

في يوم من أولى أيام إشراف تشيخوف على مستشفى زفينيغورود التابعة للمجلس المحلي أحضروا له طفلاً في عامه الخامس تقريباً يعاني من الجلاع (اختناق القلفة أي الجلدة التي يقطعها الخائن عند الختان) ففي القرية لم يكونوا يعيرون الانتباه لمثل هذه السخافات ولكن العبث سبب وزمة وظهرت علامات الغنغرينا وكان على هذا الطفل أن يحرم من الجنس فيما لو لم يتذكر الوالدان فجأة ويأخذانه إلى المدينة لأجل العلاج في المستشفى. وبناءً عليه، كاد الشقيق أنطون يشرع من أول يوم في إجراء العملية. ولكن الطفل كان يصرخ صراخاً عالياً ويهز رجليه باحتدام وجنون لدرجة أن أنطون تشيخوف لم يقدم على هذه الخطوة. والمرأة التي أحضرت الطفل أجهشت بالبكاء المر ومساعد الطبيب والنابولي وأنا وقفنا بتطفل وإلحاح بانتظار نتائج هذه العملية. وقد أخرج هذا الأمر الشقيق وضايقه أكثر فأكثر. انتهى العمل بكتابة ملحوظة إلى الطبيب پ.ك.روزانوف القاطن في زفينيغورود كي يأتي إليه في المستشفى بغية إلقاء نظرة على الطفل. و لم يجبر الطبيب المبجل نفسه على الانتظار طويلاً ولم تمر عدة دقائق إلا وكان كل شيء جاهزاً وهذا الطفل ثم حملته الأم عائدة إلى القرية. بدأ التعارف بين أنطون وهذا الطبيب اللطيف، إذا لم أكن مخطئاً، في فوسكريسنيك حيث كان يسافر إلى هناك لزيارة الطبيب أرخانغلسك حيث التقى هناك بشقيقي وبعد هذا اللقاء عقدا

صداقة واستمر التراسل بينهما فترة طويلة. كان پ.ك. روزانوف رجل علم ينشر في المجلات الطبية وهو واحد من أوائل الأطباء الذين طرحوا في مؤتمر بيروغوف فكرة تأسيس وزارة للصحة الشعبية في روسيا وكان يحلم، طوال الوقت، بإصدار جريدة أو مجلة طبية على أن لا تكون ضمن إطار ضيق في المضمون بل أن تحمل لونيّات حياتية اجتماعية ولكن حسبما أذكر، شقيقي أنطون ثناه عن عزمه إذ قال له:

المجلة لن تؤدّ إلا إلى إفلاسك وعجزك. فضلاً عن هذا لن تجد العاملين الضروريين وستضطر إلى أن تكتب كل شيء بنفسك.

احتفل الشقيق أنطون في العرس وظل، لفترة طويلة، يتذكر تلك السهرة، كانوا سوية مع الدكتور س.پ. اوسبينسكي هناك بعدها جالوا (في عرض موسكو كلها) ورأوا أنفسهم في مقهى مع ملهى سيء السمعة ولم يعد أنطون تشيخوف إلى الدار إلا عند شروق الشمس.

عندما كنت طالباً كنت أحب زيارة ل.ف. غامبورتييفا التي مر ذكرها سابقاً إذ كانت تقضي الشتاء في موسكو، في الشارع الألماني. كان الجو هناك مرحاً حيث يلتئم شمل الشبيبة ويشجعون الفن، وهناك في الصيف حيث الشقة فارغة من الناس كان أنطون تشيخوف كثيراً ما يتوقف في أثناء وصوله إلى موسكو قادماً من زفينيغورود وفوسكريسنيك وفي إحدى الأمسيات في يوم السبت رأيت الشاب الكاديت (طالب حربي) الذي لم يشارك إطلاقاً في الفرح والمرح بل كان يجلس بجانب البيانو ويدق متأملاً وبيد واحدة على المفاتيح.

بعد الرقصات قالت له ربة الدار:

ساشا، اعزف لنا شيئاً ما.

انتفض الكاديت على التو وأخذ يعزف موسيقى معروفة مستقاة من (غوغينوت) إنها صعبة إلا أن كل طالب في المعهد الموسيقي يعرفها وكل عازف بيانو.

لقد أصبح لاحقاً العازف الموسيقي الماهر ألكسندر سكريابين. وكم أنا  
أسف أنني لم أتعرف عليه عن قرب وقتذاك!.

كان لدى ل.ف.غامبورتييفا ابنتا أخت هما مرغريتا وإيلينا قنسطنطينوفنا  
أو ببساطة ريّتا ونيللي. تزوجت ريّتا بمهندس الخطوط الحديدية المعروف  
البارون سبينغلر وأما نيللي فقد أنهت آنذاك دراستها الثانوية (على فكرة عند  
والدة هاتين الفتاتين كانت غرفة الكلب الذي يهتمهم ويدمدم الذي كتب عنه  
أنطون تشيخوف إحدى قصصه). ولدى سبينغلر كان يلتئم شمل الشبيبة دوماً.  
كان الجو مرحاً وغالباً ما كنا نحن الإخوة التشيخوفيين حاضرين في هذا الجو  
أيام العيد. في هذا الوقت كان أنطون تشيخوف يقضي سنته الأولى في  
ممارسة الطب وقد تردد هل يمارس مهنة الطب أو يكرس حياته لعالم الأدب.  
كان لدى سبينغلر أطفال صغار وهم صاروا من أوائل المرضى عند أنطون  
تشيخوف. ووالد الأطفال فيها سبينغلر عوضاً عن دفع الأتعاب أحضر له  
حافضة نقود فيها عملة تركية ذهبية كبيرة - الليرة. وغالباً ما كانت هذه  
الليرة تنتشل أنطون تشيخوف في الفترات الصعبة، أعطاني إياها وأنا أخذتها  
إلى محل الرهونات حيث رهنها لقاء عشرة روبلات وبعد عدة ساعات  
صارت النقود عند الشقيق أنطون تخشخش في الجيب. وأخذ أخي الفنان  
نيقولاي يغازل نيللي بشكل ملحوظ.

ثم أتى مرضى آخرون من عائلة ياكوف وهنا كما يقال وقعت في حيرة  
إذ أنني قررت نهائياً تكريس نفسي للأدب. كان يعيش في موسكو مع شقيقي  
الفنان آ.س.يانوف الذي تعلم الرسم سوية مع شقيقي نيقولاي، ومن هنا  
تعارف الأسرة التشيخوفية بأسرة يانوف. وفيما بعد صار يانوف مهندس  
الديكور الرئيسي لمسرح كورش ثم انتقل من هناك إلى مسرح بطرسبورغ  
الاسكندري. ولكن في الفترة التي أصفها كان يعيش في حالة من الفاقة  
المريعة مع الأم وثلاث أخوات - كائنات فتية وطيبة. كان يحدث أن تمرض  
الأخوات الثلاث والأم في آن واحد بمرض التيفوئيد. دعا يانوف إليه الشقيق



أنطون. كان طبيباً شاباً يافعاً ولكن دون خبرة إلا أنه كان مستعداً للتضحية بحياته بهدف شفاء المريض إذ كان أنطون يقضي ساعات طويلة بجانب مرضاه إلا أنه لم يخطئ. كان المرض يتخذ وضعاً خطراً وأخيراً فارقت الحياة كل من الأم وإحدى البنات في يوم واحد. مسكت الابنة أنطون تشيخوف من يده وهي تعاني سكرة الموت. ولفظت النفس الأخير. وشعوراً منه بالعجز الكامل والذنب وإحساساً منه بعناق المرحومة البارد قرر أنطون تشيخوف عند ذاك، عدم الاشتغال بمهنة الطب والانتقال نهائياً إلى الأدب.

شفيت البنات الأخريان وغالباً ما صاروا يزرننا. وإحداهما حاكت ألبوماً بالذهب وأحضرتة إلى أنطون تشيخوف ومكتوباً عليه (في ذكرى تخليصي من التيفوس). وكانت عائلة يانوف تزورنا بالتأكيد في تلك الأيام عندما كان الصحن الثالث على الغداء التفاح. وما إن تظهر فطائر التفاح حتى ينهض الشقيق أنطون ويقول:

ينبغي الآن أن تزورنا أسرة يانوف.

وبالفعل يقرع الجرس ونسمع في الممر أصوات بنات يانوف.

ولكنني كنت أتحى قليلاً.

كان الطبيب س.ب. اوسيينسكي الذي حل محله الشقيق أنطون فترة الإجازة قد التحق بمستشفى زفينيغورود كي يحل مكان الطبيب بيرسيدسكي الذي اضطر إلى ترك الخدمة في هذه المستشفى والسبب كان ممكناً فقط في تلك الأزمنة.

على بعد كيلومترين - ثلاثة كيلومترات تقريباً من زفينيغورود على شاطئ نهر موسكو وفي مكان خلاب يقع ديرسافين - منسك ستوروجيف. كان يدعو، دوماً الفنانين من أمثال ليفيتان وكوفشينيكوفا وستيبانوف وألاجالوف. وبشكل عام، شكل محط اهتمام سكان فوسكريسنيك لأنه لمرة واحدة في السنة كان هناك موكب ديني مسيحي إلى فوسكريسنيك لمسافة ٢٦ فرسخاً وكان هذا عيداً حقيقياً مع تنظيم معرض بهذه المناسبة.



في عام ١٨٨٣ قرر الأطباء المتميزون في مستشفى تشيكيينو عند أرخانغلسك وهم من الشباب: م.ب. ياكوفليف و.ف.ن. سيرووتينين و د.س. تاوبير و.ه.ن. سابيينين، قرروا القيام بنزهة مشياً على الأقدام إلى ديرساقين وانضم إليهم عدد آخر ومن ضمنهم أسرة تشيخوف. وقد اجتزنا مسافة /٢٦/ كيلومتراً بكل حيوية ونشاط ووصلنا إلى الدير قبل شروق الشمس بكثير. وتجولنا حول الدار وارتأى الأطباء الشباب زيارة زميلهم الطبيب بيرسيدسكي المشرف على المستشفى في زقينيغورود. وقد فرح بيرسيدسكي بضيوفه الأعداء وقدم لهم أكواب الشاي في الحديقة. خلدوا إلى الراحة وتحادثوا فيما بينهم ثم تذكر الشباب سنوات الطلبة وصاروا يغنون في كورس. وبينما هم غارقون في الغناء ظهر فجأة رجل البوليس وكتب محضراً. عبثاً حاول بيرسيدسكي إقناعه أن هؤلاء الأشخاص هم ضيوفه وأنه يستقبل من يشاء في شقته وأنه غير محظور الغناء في جو البيت - ذهبت كل المحاولات أدرج الرياح. أخذ المحضر مجراه. عند ذاك بعث بيرسيدسكي برسالة إلى هيئة تحرير «الجدول الروسية» حول الحادثة. ولكن هذه الخطوة أيضاً لم تلق التوفيق. ولكن م.ب. ياكوفليف كانت له صلات وعلاقات واسعة في العاصمتين فتوجه، شخصياً إلى محافظ موسكو بغية شرح ما جرى إلا أن المحافظ أجاب:

بالطبع كان من الممكن أن ننحاز إلى طرف بيرسيدسكي فيما لو لم يطبع تلك الرسالة إلى «الجدول الروسية» وعلينا الآن أن نقف إلى جانب بوليس زقينيغورود بغية عدم إعطاء المسوغ للتفكير بأننا ارتعبنا من «الجدول الروسية» وبشكل عام من الإصغاء إلى الصحافة.

واضطر الدكتور بيرسيدسكي إلى مغادرة زقينيغورود.

على بعد /٢٥/ كيلومتراً من فوسكريسنيك التي صار فيها شقيقي إيفان بافلوفيتش معلماً كانت توجد سلوبودا بافلوفسك التي كانت ترابط فيها فرقة مدفعية. وتتبع هذه الفرقة تلك المدفعية برئاسة العقيد مايوفسكي والمرابطة في فوسكريسنيك. وبمناسبة لا أعرفها كانت هناك الفرقة الفنية للرقص التي

بالطبع كان ينبغي أن يحضر فيها الضباط من مدفعية فوسكريسنيك. ذهب إلى هناك معهم شقيقي ايفان بافلوفيتش: ما أكبر دهشته عندما قرر ضباط فوسكريسنيك القادمون إلى حفلة الرقص عند انتهاء الرقص، المبيت في سلوبودا بافلوفسك وكان عليه فتح مدرسته في فوسكريسنيك منذ الصباح. ونظراً لحلول فصل الشتاء كان السير على الأقدام إلى الدار مستحيلاً. ولسعادته خرج من لقاء الضباط أحد الضيوف المدعوين الذي كان يود السفر إلى فوسكريسنيك وكان بانتظاره الترويك (عربة تجرها ثلاثة أحصنة). رأى هذا الضيف ايفان بافلوفيتش العاجز فاقترح عليه أن يأتي معه وأوصله فعلاً إلى فوسكريسنيك. كان هذا آ.س. كيسيليوف القاطن في بابكينو على مسافة خمسة كيلومترات من فوسكريسنيك وابن أخت السفير الروسي في باريس الكونت ب.د. كيسيليوف. توفي هذا الكونت كيسيليوف في نيس في قصره المنيف تاركاً لأبناء أخته الثلاثة أموالاً طائلة. ومن بين أبناء أخته ألكسي سيرغييفيتش المتزوج بابنة مدير الامبراطورية المعروف آنذاك في موسكو ف.ب. بيجيتشوف، ماريا فلاديميروفنا وكان عندهما الطفلة ساشا والابن سيريوجا وهما مذكوران في سيرة حياة أنطون تشيخوف غير مرة. وبناءً عليه، وبعد أن تعرف آ.س. كيسيليوف في أثناء الطريق إلى شقيقي ايفان بافلوفيتش، دعاه إليه للتدرب، وهكذا ولدت الصلة بين أسرة تشيخوف وبابكينو وقاطنيتها. بدأ كل شيء من أن شقيقتنا ماريا (ماشاشا) التي تعرفت من خلال ايفان بافلوفيتش بكيسيليوف وبعد أن تصادق مع ماريا فلاديميروفنا صار كثيراً ما ينزل ضيفاً في بابكينو ومن ثم وبدءاً من ربيع عام ١٨٨٥ انتقلت عائلة تشيخوف بأسرها إلى هناك، إلى المزرعة.

ذكر غير مرة أن بابكينو لعبت دوراً بارزاً في تطوير موهبة أنطون تشيخوف ناهيك عن الطبيعة الخلابة فعلاً حيث كانت بالقرب منها الحديقة الإنكليزية والنهر والغابات والمروج والبشر الذين يقطنون في بابكينو وكأنهم قد تم انتقاؤهم. وكانت عائلة كيسيليوف واحدة من العائلات النادرة القادرة على التوفيق بين التقاليد والثقافة الرفيعة. كان حمو آ.س. كيسيليوف، ف.ب. بيجيتشوف

الذي وصفه ماركيفيتش في روايته «قبل أربعة قرون» باسم عائلة «آشانيين» كان إنساناً شيقاً للغاية مع رهافة حس تجاه الفن والأدب. ونحن الإخوة التشيخوفيين كنا نجلس عنده ساعات كاملة في غرفته المفروشة فرشاً نسائياً وكنا نصغي إليه وهو يروي لنا عن جولاته في روسيا وخارجها. ويدين أنطون تشيخوف له بقصصه «موت موظف» (الحادثة التي جرت فعلاً في مسرح البولشوي الموسكوفي) و«فالوديا» و«السماك النهري» و«ابنة ألبون» - في وسط محيط بابكينو.

كانت ماريا فلاديميروفنا حفيدة الناشر والكاتب الإنساني نوفيكوف وهي نفسها كانت تكتب في المجالات وتعشق صيد السمك وتجلس الساعات المديدة مع شقيقي أنطون وشقيقيتي ماريا (ماشيا) مع الصنارة على الشاطئ وتخوض معهما أحاديث أدبية. وكما عبر الشقيق أنطون: في الحديقة (كان يهيم ظل بوليسلاف ماركيفيتش) الذي قبل سنة من سكنه في بابكينو كتب هناك «الهاوية». والمغني الذي كان في وقت مضى، (تينور) شهيراً، فلاديسلاف وجلب المجد للرومانس الشهير (على الجبل وراء النهر تقع مزرعة) الذي حافظ فيه لدقيقة كاملة على (رى) العالية في كلمة (أخ...) عاش هنا وغنى الأغاني الأوبرالية المنفردة والرومانسات كما كانت تغني ماريا فلاديميروفنا. وكانت به. آيفريموفا تعرفنا كل ليلة ببيتوفن وليست وموسيقيين عظماء آخرين. وكانت أسرة كيسيليوف على صداقة قوية مع دارغوميجسكي وتشايكوفسكي وسالفيني. كان تشايكوفسكي وقتذاك قبل أن يقدم (يغفيني أنيغين) بفترة وجيزة إلا أنه كان يذهل عندها عقول بابكينو. وغالباً ما كانت تثار أحاديث عن الموسيقى والموسيقين والفن الدرامي. كان الأطفال الفاتنون يركضون في أرجاء الحديقة الإنكليزية ويلقون النكات واللغات مع الشقيق أنطون ويبثون الروح في الحياة. الصياد إيفان غافريلوف كذاب فوق العادة مثله مثل جميع الصيادين وهناك الحدائق فاسيلي إيفانوفيتش... والطبيعة نفسها، كل هذا منح الشقيق أنطون موضوعات متنوعة لكتابات.

نهضنا جميعنا في بابكينو في وقت مبكر جداً. وفي الساعة السابعة صباحاً كان الشقيق أنطون يجلس وراء طاولة صغيرة مصنوعة من لآلة خياطة. نظر عبر النافذة المربعة الكبيرة إلى المشهد الرائع وكتب. كان يعمل حينذاك في «شطايا» و(الجريدة البوترسبورغية) وكتب بغزارة عن انطباعاته حول بابكينو. كنا نتناول الغداء أيضاً باكراً حوالي الواحدة ظهراً. كان الشقيق أنطون عاشقاً كبيراً للبحث عن الفطر وفي أثناء المسير عبر الغابة كان يسهل ابتكار المواضيع. وبالقرب من غابة دراغونوفسكي كانت تقع كنيسة بوليفشين الوحيدة التي كانت دوماً تلفت انتباه الكاتب والخدمة فيها مرة واحدة في السنة لا غير حيث تفرع الأجراس بأصواتها الكنيية عندما كان الحارس يدق الساعة وهذه الكنيسة مع الدار الصغيرة التي يقيم فيها الحارس على طريق البريد يبدو أنها ألهمت الشقيق أنطون فكرة كتابة «الساحرة» و«قضية غير نبيلة». بعد العودة من الغابة كنا نحتسي الشاي. بعد ذلك يشرع الشقيق أنطون ثانية في الكتابة وبعد فترة اللعبة الرياضية (الكروكيت) وفي الثامنة مساءً وقت العشاء ثم بعد العشاء كنا نمشي إلى الدار الكبيرة العائدة لأسرة كيسيليوف حيث الأماسي التي لا تتكرر لروعتها. كان آ.س.كيسيليوف و.ف.ب.بيجيتشيف يجلسان بجانب الطاولة ويلعبان (الياسينس) وهي لعبة بالورق يؤديها شخص واحد - المترجم) وكانت يه.آ.يفريموف ترافق على آلة موسيقية، والتينور فلاديسلاف يغني وأسرة تشيخوف تجلس حول ماريا فلاديميروفنا وتصغي إلى قصصها عن تشايكوفسكي ودارغوميسكي وروسي وسالفيني. أستطيع الزعم أن حب الموسيقى نما عند أنطون تشيخوف هنا بالذات. ففي هذه الأمسيات جرت أحاديث كثيرة عن الأدب والفن واستمتعوا بتورغينيف وبيسيمسكي. قرؤوا كثيراً إذ كانوا يحصلون على المجلات السمكية وأعداد متنوعة من الجرائد. ولم تخف ماريا فلاديميروفنا أنها كانت معجبة جداً بتشايكوفسكي ومن جهته كان واقعاً في حبها إلا أنه تأخر في طلب يدها عندما كانت فتاة. ببساطة فاتته القطار. هذا ما حدث (أروي كل هذا من كلام ماريا فلاديميروفنا نفسها).

كما ذكرت أعلاه كان بيجيتشيف مديراً للمسارح الإمبراطورية في ذاك الوقت. وبعد أن طلق زوجته الأولى تزوج بالمغنية الشهيرة حينذاك م.ف. شيلوفسكايا وبناءً عليه صارت ابنة بيجيتشيف، ماريا فلاديميروفنا فتاة شابة في الحادية عشرة من العمر وجميلة وفجأة صارت ربيبته (ابنة الزوج) وكان عليها العيش تحت سقف واحد مع زوجة الأب. كانت م.ف. شيلوفسكايا تغار جداً من الربيبة. وكانت أسرة بيجيتشيف منفتحة على الحياة. وفي شقتها الفسيحة كان يلتئم شمل موسكو كلها ولكن الذين كانوا يزورونها، على وجه الخصوص مشاهير المسرح والموسيقى وغيرهم ومن ضمنهم تشايكوفسكي. جميعهم كانوا نضرين وممتعين وظرفاء. كان لدى م.ف. شيلوفسكايا في هذا الوقت أبناء كبار (أحدهم وهو ك.س. شيلوفسكي كان واضع الرومانس الشهير في حينه ( تيكرنوك )) - (يعوم شهراً في السموات الليلية...) ومن هنا - الغيرة. وتدرجياً صارت الحياة بالنسبة إلى ماريا فلاديميروفنا شاقة في الدار. بدأت المسرحيات ولم تستطع ضمن هذه العلاقات إلا أن يلحظها الشباب المحيطين بالربيبة. هكذا صاروا مكشوفين. ذات مرة وهم يتناولون الغداء شعرت ماريا فلاديميروفنا بأنها مهانة فأجهشت بالبكاء وقفزت من وراء المائدة إلى الغرفة الأخرى. في هذا الوقت بالذات كان من بين الضيوف آ.س. كيسيليوف الذي لحق بها وتقدم بطالب الزواج منها فأجابت (لن يكون هناك أسوأ من ذلك) ووافقت. في هذه الدقيقة بالذات أسرع إلى الغرفة نفسها بيوتر تشايكوفسكي أيضاً وهو كذلك تقدم لخطبتها والزواج بها ولكن فات الأوان.

وكانت السعادة بهذا القرب وبهذا الإمكان...

«يفغيني أنيجين» وهذا المشهد الذي ترويه ماريا فلاديميروفنا نفسها قد طوقا في روح الموسيقى العزيز بفتنة مميزة. وعندما منحني القدر في أواسط تشرين الأول ١٨٨٩ السعادة برؤيته شخصياً في ضيافتنا بدا لي الأمر شيئاً استثنائياً. قدم إلينا دون مقدمات، جلس وسحب من جيبه الجانبي صورة فوتوغرافية له مكتوب عليها سلفاً: (إلى أنطون بافلوفيتش تشيخوف من عابد متحمس، ١٤ تشرين الأول عام ١٨٨٩، بيوتر تشايكوفسكي وقدمها إلى

الشقيق أنطون<sup>(٤٥)</sup>. ومن ثم تبادلًا أطراف الحديث عن الموسيقى والأدب. وأذكر كيف تناقش الاثنان حول موضوع الليبريتو المستقبلي لأجل اوبرا «بيلا» التي اعترم تشايكوفسكي تأليفها. أراد أن يكتب له هذه الليبريتو الشقيق أنطون حسب ليرمونتوف: بيلا - سوبرانو، بيتشورين - باريتون، مكسيم ماكسيموفيتش - تينور، كازبيتش - باص .

قال تشايكوفسكي: هل تعرفون يا أنطون بافلوفيتش، لا أريد أن يكون هناك مواكب مع المارشات. بصراحة أنا لا أحب المارشات.

غادر الدار إلا أننا شعرنا بتلك الفتنة وذاك السحر الذي تركته زيارته لنا. وردّ الشقيق أنطون على الصورة بأن أهدى كتابه الثاني «بشر عابسون» إليه.

أما الكتيب الأول «في أوقات الغسق» فكان، كما هو معروف، مهدى إلى الكاتب ديمتري غريغوروفيتش. وهاكم المناسبة: ففي وقت مبكر من ربيع عام ١٨٨٦ عندما كنا نعيش في كودرينسكايا سادوفايا في منزل كورنييف تلقى الشقيق أنطون رسالة من العجوز ديمتري غريغوروفيتش: (.... عندكم موهبة حقيقية، موهبة تدفعكم بعيداً عن محيط أدباء الجيل الجديد... كما ترون لم أستطع احتمال الصبر وأمد يدي الاثنيتين لمصافحتكم). وهكذا كان العجوز هو أول من اكتشف في أنطون تشيخوف كل جدية موهبته وباركه لمآثر جريئة. وبالطبع أربكت هذه الرسالة الشقيق أنطون نفسه وأدهشتنا جميعاً لعدم توقعنا كل هذا، ولهذا الرأي عن موهبة الشقيق. في الوقت ذاته جلس وكتب له الرد التالي: (رسالته يا عزيزي أيها المحبوب، أذهلتني مثل الصاعقة الخ... ٢٦ آذار ١٨٨٦). بعد فترة بعث غريغوروفيتش له بورتريه له مع التوقيع التالي: (من كاتب عجوز إلى موهوب شاب).

بعد هذا توثقت الصلات بين الكاتب العجوز والموهوب الشاب. سافر الشقيق أنطون إلى بطرسبورغ وزار غريغوروفيتش وعاد من بالميرا الشمالية تماماً كالمحموم من استقبال لذيذ. كما دعاه ألكسي سوفورين (كاتب ومسرحي وناشر - المترجم -) للعمل معه. هذا يعني أن الأمور ستسير بشكل أكثر مرحاً وفرحاً ولن تكون هناك ضرورة لحياة الضيق.

أنا كنت طالباً آنذاك. والحياة تتفجر في داخلي وشقيقتي ماريا فاتنة ومرهفة ومتعلمة وأنطون في السادسة والعشرين من العمر وامتألت شقتنا بالشبيبة. والأنسات الطريفات ليكا ميزانوف وداشاموسين - بوشكينا وقاريا أيرليه ومن الموسيقين الشباب والأشخاص الذين لهم علاقة بالفن والأدب حيث كانوا يغنون ويعزفون وأصواتهم تلهم الشقيق أنطون الذي يجلس في مكتبه الخاص ويكتب، يكتب ثم يصعد إلى فوق كي يمزح مع الآخرين وفي النهار عندما كان الجميع كل واحد منهمك في عمله ولا أحد عندنا كان الشقيق أنطون يتوجه إليّ:

يا ميشا اعزف شيئاً ما فأنا اشعر أن الكتابة لا يحالفها التوفيق. فأشرع أنا بالعزف على البيانو من أوبريتات متنوعة وبمزاج حاد.

وفي الأمسيات كان يلتئم شمل الشباب كل يوم. وفجأة زارنا دون توقع في إحدى هذه الأمسيات غريغوروفيتش. طويل القامة أهيئ رشيق وجميل بياقة ثمينة ولكن معقودة دون عناية. وعلى الفور ينغمس في جو الهرج والمرج الشبابي ويتلقى العدوى ويبدأ هذا العجوز الأثيم بمغازلة الأنسات. ويسهر عندنا إلى وقت متأخر من الليل كي يتوجه بعدها بمرافقة الفتاة التي أسرته وسحرته دولي موسين - بوشكينا إلى شقتها. في المرة الثانية التقيت بغريغوروفيتش في بطرسبورغ عند عائلة سوفورين. وصار يتذكر هذه السهرة، وعلى ما يبدو كان مسروراً بها.

توجه إلى سوفورينا لاهناً من الاضطراب: أنا ايفانوفنا! عزيزتي! ليتك تعرفين ماذا حدث هناك عند عائلة تشيخوف! وهنق بعد أن رفع يديه الاثنتين نحو السماء:

خلاعة، يا روعي، خلاعة حقيقية!

أعود إلى بابكينو. بفضل ابتهاج القاطنين الأحبة كنا جميعنا ومن ضمننا الشقيق أنطون مسرورين وفرحين. كتب أن النقاد مدحوه رغم أن ألكسندر سكابينشيسكي<sup>(\*)</sup> تنبأ بأنه سيفارق هذه الدنيا في مكان ما تحت السياج إلا أنه

---

(\*) (١٨٣٨ - ١٩١٠ ناقد وكاتب اجتماعي روسي - المترجم -).



كان يؤمن بموهبته ما دام بصحته وعافيته. في بعض الأحيان أنطون كان يميل نحو الطيش. وحدث في سهرات الصيف أنه سوية مع ليفيتان ارتدى البرنس البخاري ومسح وجهه بالسخام والعمامة على رأسه وانطلق إلى الحقول والبندقية على كتفه وعلى ذاك الطرف من النهر بينما كان ليفيتان يذهب إلى هناك راكباً الحمار ثم ينزل عنه ويفرش الأرض بسجادة ويبدأ، مثله مثل المسلم، الصلاة نحو الشرق. وفجأة من بين الأغصان يتحرك خلسة، البدوي أنطون ويطلق عليه من سلاحه رصاصات خلبية يسقط ليفيتان مستلقياً على الظهر. إنها لوحة شرقية بالتمام والكمال. وأحياناً يحاكمون ليفيتان. كيسيليوف رئيس المحكمة، والشقيق أنطون المدعي الذي وضع المكياج على وجهه لأداء الدور. ويرتدي الاثنان السترة الرسمية المحاكة بالذهب. ألقى أنطون كلمة المدعي التي أجبرت الجميع على الموت من القهقهة. ومثل الشقيق أنطون دور طبيب الأسنان وألبسوني دور الوصيصة وتحرش بي المرضى القادمون لدرجة أنني لم أستطع أن أمسك نفسي وأؤدي دوري فأطلقت ضحكة مدوية في وجوههم.

استقر بنا المقام في بابكينو في ذاك الجناح من البناء حيث قطن قبلنا الكاتب بوليسلاف ماركيفيتش. تعرفت به وبعقيلته وابنه صيف عام ١٨٨٤ عندما كان يزور كيسيليوف للاستضافة وليس إلى المزرعة. كان ماركيفيتش بفروة الرأس البيضاء والفودين الأبيضين وكله في بياض وقبقاب أبيض، يشبه تمثال القائد العسكري. تعجبنى روايته «قبل أربعة قرون» ولكن ما سمعته حينذاك عن ماركيفيتش نفسه قد أبعدني عنه. قيل أنه تم تسريحه من الخدمة خلال أربع وعشرين ساعة لأنه كان عدواً لدوداً لتورغينيف الذي كنت أحبه حتى العبادة وإنني رددت على إحدى تهجماته برسالة بعيدة كل البعد عن الإطراء والمديح في «بشير أوروبا». وعرفت أيضاً أن بوليسلاف ماركيفيتش يؤيد نظرات «الجدول الموسكوفية» الخ، ولكن مع كل ذلك أحببته كاتباً، وضليعاً في علم البلاغة. شعر ماركيفيتش في بابكينو بالملل الفظيع إذ ابتعد عن ضجيج العاصمة لاسيما أنهم هناك لا يحصلون على الصحف والمجلات



كل يوم. ومن أجل استلامها قبل الآخرين كان ماركيفيتش يخرج بعيداً في الغابة منتظراً ميكيشكو العائد من البريد فيأخذ منه الجرائد دون أن يعطيها لأحد وينزوي في ركن هادئ معزول ويقرأها من أولها إلى آخرها. في شهر آب على أبواب الخريف حيث يبدأ المساء باكراً ويبدأ المصطافون بالعودة إلى المدينة، إلى العمل الاعتيادي، خرج ماركيفيتش إلى الغابة وقابل ميكيشكو وأخذ منه كل الجرائد لحظة كان فيها أن جميع سكان بابكينو مشغولين في هذا المساء بلعبة الكروكيت وجلس في دار كيسيليوف الكبيرة وراء المائدة التي كان يشتعل فوقها مصباح الكاز (الكيروسين)، وكله بياض في بياض شرع في القراءة ثم زاد نار المصباح وانغمس كله في القراءة. سرعان ما شعر أن المصباح قد بدأ يخمد. ودون أن يتنحج عن الجريدة مد يده إلى المصباح وزاد شعلة النار. صارت من جديد تتناقص فأضاف النار وأخيراً صار الجو معتماً كلياً. وكالسابق دون أن يزيح بصره عن الجريدة مد يده ثانية إلى المصباح وقوى الإنارة. عندما عدنا من الكروكيت رأينا اللوحة التالية: المصباح يدخن كالبركان وغطاء طاولة المائدة صار أسود بالكامل... وتحول ماركيفيتش من عجوز أشيب إلى أسود الشعر ملتهب ولم يكن في طقمه الأبيض بل كان كل ما عليه أسود. كان السخام قد انتشر في جو السحائب، وتوقف الجميع في حالة من الذهول.

من المدهش والعجيب أن بابكينو لعبت دوراً بارزاً أيضاً في التطور الفني لمبدع مدرسة المنظر الطبيعي الروسي اسحاق ليفيتان<sup>(\*)</sup>. تعرف إلينا هذا الفنان منذ فترة بعيدة عندما درسنا سوياً مع شقيقي نيقولاي في مدرسة الرسم والتصوير الموسكوفية في ميسنيتسكايا. كانوا أصدقاء مقربين ويساعدون بعضهم بعضاً في العمل. وهكذا إن لوحة ليفيتان الموجودة في غاليري تريتيكوف وتمثل سيدة تمشي خريفاً في الممر إلى سالكولينكي، إن شقيقي نيقولاي رسم هذه السيدة أما السماء في لوحة نيقولاي (ميسالينا) فقد أبدعها بدوره ليفيتان.

---

(\*) (١٨٦٠ - ١٩٠٠، رسام أبدع مزاج المناظر الطبيعية - المترجم)

بينما كنا نقضي أول صيف في المزرعة في بابكينو تبين أن ليفيتان يقطن قريباً منا. على بعد ثلاثة كيلومترات من مكاننا وعلى الجانب الآخر من النهر تقع قرية ماكسيموفكا على طريق كلينسكايا الكبير. كان يعيش فيها صانع الفخار فاسيلي السكير المدمن الذي شرب كل ما يملك ولم يكن هناك وقت عندما لم تكن زوجته بيلاجيا تروح وتجيء وهي حامل. وأما الفنان ليفيتان الذي أتى لأجل التمارين (الايثودات) فقد استقر عند صانع الفخار هذا. ومن المعروف أن ليفيتان كان يعاني، أحياناً، نوبات من الميلانخوليا (السوداوية). وفي مثل تلك الحالات كان يأخذ البندقية ويغادر الدار لأسبوع أو أسبوعين ولم يكن يعود إلا بعد أن يعود إليه فرح الحياة. أو كان يجلس في الدار بين أربعة جدران عابساً كئيباً وصامتاً دون أن يتحدث إلى أحد أو مثل روح الإقصاء واضعاً إشارة الصليب بيديه على صدره معلقاً رأسه على صدره وهو يجول في عزلة تامة غير بعيد عن مسكنه.

بطريقة ما هطلت أمطار متواصلة عدة أيام، كئيبة، شجية، مملة وعنيدة مثل فكرة لجوجة وثابتة. قدمت من ماكسيموفكا زوجة صانع الفخار تشتكي من أمراضها وذكرت أن النزيل عندها تيساك (اسحاق) ايليتش قد توعك. بالنسبة إلى أسرة تشيخوف كان اكتشافاً مفرحاً وجميلاً أن ليفيتان موجود بهذا القرب من بابكينو وأراد الشقيق أنطون أن يراه. أنهينا العشاء والمطر ينهمر كما لو كان من سطل ونحن لم نذهب إلى دار كيسيليوف الكبيرة وكان الليل الطويل. وفجأة انتفض الشقيق أنطون:

هل تعلمون؟ لنذهب الآن إلى دار ليفيتان!

ونحن انتعلنا (أنطون باقلوفيتش والشقيق ايغان وأنا) الأحذية الكبيرة وحملنا المصباح وانطلقنا رغم الظلمة الدامسة. هبطنا إلى الأسفل واجتزنا الممر فوق النهر ولطمننا أحذيتنا بالمروج المتسخة ثم في المستنقع، وأخيراً دخلنا غابة داراغونوفسكي الكثيفة العذراء. كان الوضع موحشاً أن ترى كيف كانت تمتد من الظلمة إلى المصباح أذرع أشجار الشوح الممتدة من مئات

السنين والشجيرات أما المطر فكان لا يزال ينهمر مثل أزمات طوفان نوح. وها هي ماكسيموفكا. نبحث عن كوخ صانع الفخار الذي نتعرف إليه من كسارات موزعه حول الدار ونقرع الباب ودون أن ننتظر الجواب نقترح المكان على ليفيتان ونوجه المصباح إليه.

قفز ليفيتان من السرير ووجه مسدساً صوبنا ومن ثم بعد أن عرفنا أخذ يقطب جبينه من النور ويقول:

الشیطان وحده یعرف ما هذا! .... ما هؤلاء الحمقى! لم یر العالم مثیلاً لهم. جلسنا عنده وضحكنا وأخذ الشقيق أنطون يلقي النكات، وبفضلنا أخذ ليفيتان يضحك ويمرح.

بعد فترة من الزمن انتقل إلى عندنا في بابكينو وشغل جناحاً منفرداً صغيراً. وأصر الشقيق أنطون على أن أسكن معه هناك. وهكذا سارت حياتي سوية مع ليفيتان. وكتب واحد من العائلة النشيخوفية شعراً يحمل المضمون التالي:

ها هو جناح ليفيتان المنفرد،

الفنان العزيز يقطن هنا،

يستيقظ باكراً جداً جداً.

وما إن ينهض حتى يحتسي الشاي على الفور...

الخ.

كان وجه ليفيتان بديعاً فاتناً ونبيلاً. نادراً ما صادفت لاحقاً مثل تلك العيون المعبرة والتناسق الفني في الخطوط. أنفه كبير لكن لم يلحظ أحد ذلك في نطاق الانسجام العام لخطوط الوجه وسماته. وجدت النساء فيه شخصاً جميلاً وكان يجيد المداعبة والغنج أمامهن بقوة. ولأجل لوحته المعروفة (المسيح والخاطئة) أخذ الفنان بالينوف وجهه كنموذج واتخذ ليفيتان وضعيته لأجل وجه المسيح. كان ليفيتان لا يقاوم بالنسبة إلى النساء وهو نفسه كان سريع الوقوع في الحب بشكل غير عادي. كان ولعه يجري بصورة عاصفة

وعلى مرأى من الجميع وبسخافات وحماقات متنوعة وصولاً حتى إطلاق الأعيرة النارية ومن النظرة الأولى إلى المرأة التي تثير اهتمامه يرمي كل شيء ويندفع، بأقصى سرعته، نحوها في مطاردة سريعة حتى ولو أنها غادرت موسكو فهو لم يكن يحتاج إلى بذل أي جهد كي يجثو أمام سيدة على ركبتيه أينما يلتقي بها في إحدى ممرات الحديقة أو في دار فيها بشر. بعض النسوة تعجبهن هذه الخصلة فيه وأخريات يحذرن منه خوفاً من التشهير رغم أنهن حسبما أعرف ، كنّ في السر يحملن مشاعر التعاطف تجاهه. وبفضل إحدى مغازلاته دُعي إلى المباراة في لقاء سمفوني، مباشرة في الحفلة الموسيقية وهنا في أثناء الاستراحة رجاني باضطراب أن أكون شاهداً على المباراة وكاد أن يثور الشقاق مع شقيقي إلى الأبد بسبب إحدى هذه المغامرات الغرامية. كان يقطن في ذلك الوقت في موسكو طبيب الشرطة ديمتري بافلوفيتش كوفشينيكوف وعقيلته صوفيا بتروفنا. كانا يقطنان في شقة على نفقة الحكومة تحت برج المطافئ. كان ديمتري بافلوفيتش ينفذ التزاماته الوظيفية من الصباح حتى المساء وأما صوفيا فكانت، في أثناء غيابها، تمارس الرسم ( على فكرة، إحدى لوحاتها معلقة في غاليري تريتيكوف). فهي لم تكن ذات جمال مميز إلا أنها امرأة طليّة وخلابة من حيث قريحتها ونبوغها. ثمة جمالية خاصة في ارتدائها الملابس وهي قادرة أن تحوّل نفسها ثياباً رائعة وهي تتمتع بموهبة محظوظة من خلال قدرتها على إضفاء الجمال والراحة حتى على أكثر المساكن كآبة والتي تشبه العنبر. بدا كل شيء لديهم في الشقة فخماً وفاخراً وشيقاً. وللعلم، عوضاً عن الأرائك التركية تم وضع صناديق فارغة وعليها فرشاة تحت السجاد. وعلى النوافذ تم تعليق شبكات صيد السمك البسيطة عوضاً عن الستائر.

كان دوماً يلتئم شمل الكثير من الضيوف في دار ديمتري بافلوفيتش: أطباء وفنانون وموسيقيون وكتّاب، ومن بين الزوار كنا نحن التشيخوفيين. وللحقيقة أقول لقد أحببت وجودي هناك. حدث أنه في أثناء السهرة كلها ورغم الأحاديث الضجوة والموسيقى والغناء لم نر رب المنزل بين الضيوف.

وفقط قرابة منتصف الليل انفتح الباب وظهرت شخصية الدكتور الضخمة والشوكة في يد والسكين في اليد الأخرى وأعلن بمهابة:

أيها السادة! تفضلوا إلى المائدة.

اندفع الجميع إلى غرفة الطعام . ولم يكن هناك موضع فارغ على المائدة بسبب كثرة المقبلات. وابتهاجاً بالزوج هرولت صوفيا بتروفنا نحوه ولقطته بيديها الاثنتين من رأسها وهتفت:

ديمتري! كوفشينيكوف! (كانت تتأديه باسم الكنية)

أيها السادة، انظروا ما أجمل وجهه الرائع والمعبر! كان يؤم هذه الدار فنانان هما ليفيتان وستيبانوف. وكان ليفيتان يعطي صوفيا بتروفنا دروساً في الرسم.

عادة ما كان الفنانون الموسكوفيون يتوجهون صيفاً لأجل التمارين (الايثودات) على نهر الفولغا مرة وسافينسكايا سلوبودا بالقرب من زفينيغورود مرة أخرى وكانوا يقضون شهراً كاملاً فيما يشبه الكومونة. وهذا ما حدث في هذه المرة أيضاً. سافر ليفيتان إلى الفولغا و... توجهت معه إلى هناك أيضاً صوفيا بتروفنا، قضت صيفاً كاملاً على الفولغا. وفي السنة التالية مع ليفيتان أيضاً بصفتها تلميذته، غادرت إلى سافينسكايا سلوبودا. وفي وسط الأصدقاء والمعارف صارت تروج الأقاويل حول ما كان ينبغي الصمت على ذلك. وعلى فكرة، كانت صوفيا في كل مرة عند عودتها من السفر إلى الدار ترمي بنفسها على زوجها وبكل دلال تمسكه من رأسه بيديها الاثنتين وتهتف بابتهاج:

يا ديمتري! يا كوفشينيكوف! أعطني يدك الشريفة كي أصافحها بكل قوتي! أيها السادة انظروا ما أنبل وجهه!

انزوى الدكتور كوفشينيكوف والفنان ستيبانوف وحدهما وهما يسرّان أحدهما للآخر ما في الصدور بينما يرفعان الأتخاب. تبين أن الزوج خمن وحزر وتحمل آلامه صامتاً. وعلى ما يبدو أن أنطون تشيخوف أدان صوفيا

بتروفنا في أعماقه. وفي نهاية المطاف لم يتماسك وكتب قصة (الوثابة) التي أدرج فيها الأشخاص المذكورين أعلاه. وإن وفاة ديموف في هذه القصة هي فكرة مختلفة بالطبع.

نشرت القصة في «الشمال» وأثارت نقولات كثيرة في أوساط المعارف. أخذ البعض منهم يدين موقف تشيخوف الذي يحمل تلميحات براقية للغاية وآخرون صاروا يقهقهون بشماتة. وانتابت ليفيتان حالة من الكآبة. واكتفى أنطون تشيخوف بالرد الهزلي قائلاً:

وثابتي ظريفة بينما صوفيا بتروفنا ليست بهذا الجمال ولا هذه الفتوة.

شاعت أقاويل أن ليفيتان اعتزم دعوة أنطون تشيخوف إلى المباراة. وامتد الخصام طويلاً. ولا أعرف ماذا عساها أن تنتهي هذه القصة لولا إقدام ت.ل. شيبكينا - كوبرنيك على سحب ليفيتان بالقوة إلى أنطون تشيخوف وإجراء المصالحة بينهما.

فارقت صوفيا بتروفنا الحياة وقبلها توفي زوجها أما ليفيتان فقد واصل غرامياته لفترة طويلة. وعلى فكرة، إحداهما لها صلة ما بمسرحية تشيخوف «النورس». أنا لا أعرف بدقة من أين ظهر موضوعها العام ولكن أملك بعض التفاصيل: في مكان ما على إحدى الخطوط الحديدية الشمالية كان يعيش ليفيتان في مصيفه<sup>(٤٦)</sup> أقدم ليفيتان هناك على مغامرة غرامية معقدة جداً كان ينبغي بنتيجتها أن يطلق النار على نفسه أو يتظاهر بالانتحار. أطلق النار على رأسه ولكن المحاولة لم تكن موفقة إذ اجتازت الرصاصة غطاء الرأس الجلدي دون أن تمس الجمجمة. وبطلات الرواية القلقات والمضطربات عرفن أن أنطون تشيخوف كان طبيباً وصديق ليفيتان لذا تكلمن مع الكاتب بالهاتف كي يأتي على الفور لإسعاف ليفيتان. رغم عدم الرغبة إلا أن الشقيق اعتزم تلبية النداء. أنا لا أعرف ماذا حدث هناك إلا أنه في أثناء العودة من هناك أعلمني أن ليفيتان استقبله بربطة سوداء على الرأس وعند الاستفسار من السيدات عن الأمر فك الربطة ورمى بنفسه على الأرض ومن ثم أخذ ليفيتان البندقية وخرج إلى البحيرة. عاد إلى سيدته مع النورس المسكين المقتول

دونما سبب والذي ألقاه نحو قدميها. هذان الموتيفان استخدمهما تشيخوف في «النورس» وقد برهنت صوفيا بتروفا فيما بعد أن هذا المشهد حدث معها بالذات وأنها هي بطلّة هذا الاقتباس. ولكن هذا غير صحيح. أنا أضمن صحة ما أكتبه الآن عن ليفيتان وهو مستقى من كلمات شقيقي المرحوم. ولم يستطع شقيقي أنطون أن يضللني ناهيك أنه لا طائل من التضليل. ربما كرر ليفيتان مرة ثانية الموضوع إلا أنني لن أجادل حول ذلك.

الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

جامعة موسكو بنظام جديد - جورفيكس<sup>(\*)</sup> عند أنطون مع قاطني (الأماكن المهجورة) في المنزل الصيفي عند أسرة لينتفارييف في عام ١٨٨٨. بليشيف في ضيافة أنطون - قصة بليشيف عن إعدام البتراشييفيين<sup>(\*\*)</sup> - بارانتسيفيتش، سوفورين وياقل سفابودين (بول - مايتاس) في لوكا- من قصص سوفورين عن سيرة حياته - تعرفي بأنا تولي كوني - صداقة الشقيق مع سفابودين - أنطون يوجز (الكونت مونتي كريستو) - قراءة تشيخوف (قصة مريض) - في مسرحية (ايفانوف) عند كورش - اقتراح فيكتور كريلوف (ألكسندروف) عن مشاركة في التأليف مع تشيخوف. - ايفان شيغلوف (ليونتييف) - اسم تشيخوف المستعار (باتيومكين) - تعارف أنطون مع نيفيجين. السيدة برينكو ومشجب كورش - افتتاح ونجاح مسرح كورش.

انتسبت إلى الجامعة في الصيف الأول من إقامتي في بابكينو وكان نصيبي نظاماً جامعياً جديداً بشكله وغرفة ضيقة مظلمة وناظر الطلبة وغيرها من (مفاتن) النظام المنتصر. وكان الأساتذة ملزمين بالبرهنة للطلبة بأية طريقة كانت أن روسيا Sui generis<sup>(\*\*\*)</sup> وأن العظمة الإمبراطورية هي

---

(\*) جورفيكس (فرنسية) تعني يوماً محدداً في الأسبوع لاستقبال الضيوف.

(\*) (\*\*) (جمعية من الشبيبة في بطرسبورغ - نهاية عام ١٨٤٤ بداية عام ١٨٤٩ - أعضاؤها لثركلون طوباويون وديمقراطيون. الاسم نسبة إلى ميخائيل بتراشيفسكي ١٨٢١ - ١٨٦٦ ثوري روسي ولشترافي طوباوي. مؤلف قاموس الجيب للكلمات الأجنبية. دعا إلى ديمقراطية نظم روسيا لسياسي وتحرير الفلاحين مع الأرض. حكم عليه في عام ١٨٤٩ بالأشغال الشاقة المؤبدة - المترجم -)

(\*) (\*) (\*) نوعاً من ، فريد في نوعه (التعبير لاتيني).



المصدر الشرعي الوحيد لأية سلطة في الدولة وأن الدستور بكل مؤسساته يؤدي إلى مفترق طرق حتمي ضل فيه الغرب كرجل حكيم (في مجتمع همجي) إذ أن حق الشعب لا يتوافق مع روح الشعب الروسي وطبيعته وما إلى ذلك. وإن هذه الهجمات العدائية مثل تصفيق الطلبة للبروفسور كانت تعتبر أعلى من التفكير الحر والمذنبون كان يتم طردهم من القاعة من قبل الناظر ويرسلون إلى الغرفة الشيقة المظلمة (كما في السجن).

وهكذا أنا، من عباد الله، لم أحضر أبداً محاضرة البروفسور م.م. كوفاليفسكي الذي صفقوا له بدوني، وبسوء تفاهم رأيت نفسي في غرفة السجن الضيقة المظلمة. كان الناظر بافلوف مستبداً ويحتدم غيظاً. وفي فترة وجودي في الجامعة كانت هناك حالات فوضى جدية علماً أن الجامعة كانت مغلقة خلال نصف سنة بالكامل إلا أن الناظر بافلوف يظهر فجأة مراقباً يتخذ منصبه مقابل الجامعة. وقد زارت عائلة القيصر الجامعة وللعلم أنا نفسي رأيت بعيني الاثنتين كيف أقدم قيم منطقة موسكو التعليمية ب.أكابنيسست على تقبيل يد القيصر بلهفة وتعلق بها لثماً بشفتيه لدرجة أن القيصر سحبها بسرعة وباشمئزاز وتقرز، إلا أنه واصل اصطياها في الهواء وتقبيلها بشهوانية. زيارة القيصر للجامعة ضمنت فيما بعد الترقى في المنصب للعميد بوغوليبيوف الذي وصل إلى منصب وزير التعليم الشعبي بعد ديليانوف العديم الموهبة والكفاءة وبعد فترة وجيزة تعرض للقتل.

ذات مرة، بينما كان ف.ب.بيجيتشيف يرافقتني من بابكينو إلى الجامعة، استل من سقط المتاع الذي عنده سيفاً وقدمه لي إذ كان على الطلبة، حسب نظام الجامعة الجديد الذهاب والإياب وهم بسلاحهم (السيف التعليمي).

توجه إلي باحتفالية مسلية قائلاً: اخفق وارعد وتشرب بالتبجيل والوقار فهذا السيف كان في المقصورة التي يجلس فيها ألكسندر الثاني!.

وفي هذا السياق تحدث بشكل فكه وهزلي مما يجيده هو وحده، عن حادثة جرت معه عندما كان مديراً لمسارح موسكو:

في طريقه إلى القرم عرّج ألكسندر الثاني على موسكو. لم يعلمني وزير البلاط أي شيء عن زيارة القيصر للمسرح ، وبما أن الأمر كذلك فهذا يعني أنه يمكن البقاء واثقاً من أن القيصر لن يكون في المسرح. جلست في الدار هادئ البال أحتسي الخمرة مع الأصدقاء الأعراء وأعترف أنني ثملت لدرجة أنه من المناسب الذهاب بل الاندفاع إلى الرقص أو إلى حيث يلتقي الغجر. كانت الساعة تدق الثامنة مساءً وفجأة يطير نحوي موظف المهام الخاصة ويتكلم باضطراب أن القيصر عبر عن الرغبة بمشاهدة الباليه بصورة متوقعة وأن وزير البلاط يأمرني بأن أكون أنا أيضاً في مقصورة القيصر. ما العمل؟ أنا بالكاد أقف على رجلي وهنا يطلبون مني التوجه فوراً إلى المسرح ناهيك أنه ربما يضطر الأمر كي أتحدث إلى القيصر نفسه. لا حيلة لي فقد هندمت ذاتي وارتديت السترة الرسمية والسيف جاهز وانطلقت إلى المسرح حيث القيصر كان جالساً في المقصورة والحاشية تحيط به. يقمنني وزير البلاط إلى القيصر في أثناء الاستراحة وأمام عيني كل شيء يقفز .

لا أقدر إدراك أي شيء وأخشى أن أفقد التوازن. وينبغي القول إن ألكسندر الثاني كان يتكلم بدون وضوح بصورة مرعبة. بدأ الفصل وأنا أقف خلفه بينما هو ينظر إلى الخلف تجاهي ويتكلم مثل الديك الرومي: «بُلا - بُلا - بُلا - بُلا لا أفهم شيئاً. مرة ثانية: «بُلا - بُلا - بُلا - بُلا !» لايمكنني استيعاب شيء فيما إذا كان يسألني عن شيء ما، يدعوني أو مجرد كلام. أنا اكتفي بانحناءة الرأس باحترام. ولم أعد أذكر كيف وقفت حتى مغادرته المسرح. في الليلة ذاتها أعلمني الوزير أن عظمته كان راضياً جداً عني وعن المسرحية ويعبّر لي عن حسن الالتفات. وهكذا أيها الشاب اقبل مني هذا السيف التاريخي واحمله بشرف مثل دون كيشوت!

خوفاً من أن يقدم الطلبة على طباعة المناشير كان محظوراً عليهم حسب النظام الجديد نشر المحاضرات.

كان الأساتذة يقرأون محاضراتهم العادية دون التمسك إطلاقاً بالبرامج المظفرة المقترحة ولم تمض نصف السنة إلا وظهر سوء التفاهم. كان من

المستحيل القيام ببروفات خلال أسبوع أو أسبوعين لمثل هذا العدد من الطلبة، وإن تقديم الامتحانات الفصلية كان يعني شطب شهر كامل من الوقت المفيد على القيام بأعمال لا لزوم لها. حدث تشوش واختلاط في الأمر. ونحن الطلبة، أنفسنا، لم نفهم ما هو المطلوب منا وما هو غير مطلوب. كنا نقدم المذكرات قبل الامتحانات من الناحية الشكلية. وأخيراً عندما اجتزنا كل مراحل الجامعة مثل عربة تطلق صريراً عنيفاً في الأخاديد والوعور وما إن حصلنا على الشهادة الجامعية حتى أتى دور امتحان لجنة الدولة فحصلنا على أكثر النتائج حزناً وبكاءً. طلبوا منا في لجنة الدولة تلك المعارف المشار إليها في البرامج الوزارية والتي لم يعطوها لنا في الجامعة. وبهذه الصورة كما لو كنا اجتزنا دورة دراسية جامعية كاملة، إحداهما محاضرات أساتذتنا وأخرى الكتب الدراسية لأشخاص دخلاء غرباء على البرامج الوزارية. وبالنتيجة نال الدبلوم فقط ٤٩ شخصاً من بين ٣٤٦/ الذين تقدموا إلى الامتحان.

على الأرجح لم يكن عبثاً تعيين ن. ف. مورافيوف النائب العام للغرفة القضائية الموسكوفية رئيساً للجنة وهو نفسه الذي وقف مدعياً في محاكمة الأول من آذار. بيد أنه منذ الأيام الأولى وقف إلى جانب الممتحنين وهنا بيت القصيد إذ بعث بحضورنا إلى الوزير ديليانوف برقيات يطلب أحياناً امتيازات وتسهيلات ، وأحياناً شيئاً آخر. ولبت الوزارة الطلب على غير ما هو متوقع. وفي الامتحانات الأخيرة لم يكن هناك رئيس ولا أعضاء لجنة. أقدم الأساتذة على فحص الطلبة بصورة انفرادية وحسب البرنامج. وفي امتحان القانون الكنسي، هذه المادة الصعبة والموسعة بما يكفي والنظام الداخلي ينص على المتطلبات الشهرية فتوجهنا إلى البروفسور آ. س. بافلوف برجاء أن لا يقسو علينا كثيراً في الامتحان.

- فأجاب العجوز: ماذا هناك وأية قسوة! الأوامر أن تتجحوا جميعكم!

وصار يسجل للجميع علامة النجاح «وسط» للجميع دون أن يمتحن أحداً.

عندما انتسبت إلى الجامعة كان قد مضى عام واحد على تخرج شقيقي أنطون الذي أصبح طبيباً. كنا نعيش، وقتذاك في ياكيمانك حيث اللوحة

الصغيرة المعلقة على الباب مكتوب عليها «الدكتور أنطون تشيخوف» كان لا يزال متردداً: هل يتمسك بالأدب وحده أم يتحول إلى طبيب حقيقي. كان ثمة شعور بالملل والضجر عندما يعيش بعيداً عن المسارح، وبشكل عام عن وسط المدينة. ومن أجل التواصل مع الناس حدد طبيبنا يوم الثلاثاء من كل أسبوع لهذه الغاية. لم يكن يملك المال الوفير وقتذاك والضيافة الرئيسية لأجل الضيوف هي طبق بارد من السمك أو اللحم وكانت والدتنا خبيرة في هذه الأمور.

في موسكو، في ركن بولشاينيكيتا وزقاق بروسوف وتاماً مقابل الكونسرفتور (المعهد الموسيقي العالي) توجد غرفة مفروشة في الطابق الأول من بناء عتيق ويطلق عليه اسم «الزريبة» كان يقطن هنا القسم الأكثر فقراً من البشر - من تلاميذ المعهد وطلبتة. يعيشون مع بعضهم بعضاً في جو ودي ومتماسك لدرجة أن أي ضيف يزورهم يشرع الجميع في ضيافته سواء أكان يعرفه القاطنون الآخرون أم لا وخادم الممشى أيضاً وهو ممثل حقيقي للبوهمية إذ بأربعين كوبيكاً يجمعها قاطنو الدار يأخذ هذا البوهمي المبلغ ويحتال بشراء مخزن كامل للمواد الغذائية، في هذه الحال كان يتلثم بصورة مميزة وإنه لمن الممتع والصعب في آن، التحدث إليه.

ماذا اشتريت يا بيوتر؟

آ آ... الفسيخ المدخن (الرنكة) وآ آ آ ..... خيا.... رتان.... خيارتان ونصف زجاجة فود فود فودكا.

استقر في هذه الغرف شقيقنا الفنان نيقولاي وسرعان ما تعاشر عن قرب مع القاطنين هناك. وفي اليوم الأول المخصص للمعارف الجدد سحب زملاءه الجدد من «الغرف المهجورة» إنهم ب. م. آزانتشيفسكي (موسيقي وقائد أوركسترا لاحقاً) وف. س. توتيونيك (باص أي صاحب صوت عميق وجهير في البولشوي أوبرا لاحقاً) و م. ر. سيما شكو (عازف على الشيلو في دار الأوبرا ذاتها) وعازف البيانو ن. ف. دولغوف والعازف العزيز والحبیب على الناي الأجنبي (الفلوت) آ.ي. ايفانينكو. وهكذا تحدد على الفور في السهرات عند الشقيق أنطون في ياكيمونك خط موسيقي لحفلة كونسيرتو.

مرت السنون - «بعثرت هذه النفحة العاصفة المتمردة الأحلام السابقة»: كل من حضر هذه الأمسيات صار صاحب أسرة ونظم مصيره ووجد كل واحد طريقه واختفى من الأفق. وحده فقط عازف الفلوت آ.ي. ايفانينكو الذي ما إن ارتبط بأسرتنا حتى ظل كذلك إلى لحظة انتقال الشقيق أنطون إلى يالطا. يبدو لي أن بعض سمات ايبوخودوف من «بستان الكرز» منقولة عن آ.ي. ايفانينكو بالذات.

في آذار عام ١٨٨٨ عندما لم نعد نعيش في ياكيمانك بل في سادوفايا كودرينسكابا بدأ في أسرتنا النقاش حول مسألة إلى أين نسافر لقضاء عطلة الصيف؟ كان الربيع مبكراً وبعد الأعمال المجهدة رغبتنا بالسفر إلى عشب المراعي، إلى الطبيعة. ولم تكن هناك رغبة بالتوجه، ثانية، إلى بابكينو لأن الشقيق أنطون كان بحاجة إلى أماكن جديدة وموضوعات جديدة ثم صار يتظاهر بالسعال وغالباً ما صار يروج لسفر إلى الجنوب، إلى الجبال المقدسة في منطقة خاركوف وعن الدور الصيفية في كارانتين بالقرب من تاغانروغ. في هذا الوقت ظهر آ.ي. ايفانينكو كي يقدم المساعدة. هو نفسه أوكراني من مواليد مدينة سومي في منطقة خاركوف وعندما عرف ميول أنطون بافلوفيتش التقطه بكفيه الاثنين من وجنتيه وهز رأسه وأخذ يمدح، بولع شديد وطنه ونصحنا بقضاء الصيف هناك. وقد أشار، في هذا الصدد المالكين المحليين - عائلة لينتقاريف<sup>(٤٧)</sup> التي كانت تقطن بالقرب من سومي على منعطف لوكا. كتب أنطون تشيخوف إلى هناك رسالة فيها سؤال وسرعان ما حصل على رد مرض وهكذا تقرر مسألة السفر إلى أوكرانيا ولكن ليس بصورة نهائية، لأن الشقيق أنطون لم يقرر بعد استئجار منزل صيفي ودون مشاهدة أي لا يريد السفر بعيداً مع الأسرة كلها دون الحصول على معلومات أكثر دقة عن المنزل الصيفي وعن المالكين - عائلة لينتقاريف على حد سواء.

كنت في ذلك الوقت طالباً في السنة الثالثة. وبفضل كسبي مبلغ /٨٢/ روبلاً من نسخ المحاضرات وطباعة قصص الأطفال قررت التنزه إلى

الجنوب، إلى تاغانروغ والقرم ولكن بقدر ما تسعفني الجيب والعودة مباشرة إلى الشمال.

لم أستحسن قرار السفر إلى المصيف في أوكرانيا لأنني اعتدت على بابكينو وتواصلت مع قاطنيها بكل لطف ورقة. وعندما غادرت موسكو في ١٧ نيسان توجه الشقيق أنطون إليّ برجاء أن يعرج من كورسك إلى كييف، وبعد الوصول إلى فوروجيا أن يعرج ثانية على سومي وزيارة لينتقاريف ورؤية المصيف في لوكا وأن أكتب له عن كل هذا بالتفصيل. هذه السفارة لم تتدرج في خططي إلا أنني، مع ذلك، سافرت إلى هناك.

بعد بابكينو المرتبة المهندمة تركت لوكا في نفسي انطباعاً كثيباً فظيماً. المزرعة كانت مهملة ومهجورة. وفي وسط الفناء بدا أن البركة لا تجف أبداً. وتستلقي الخنازير وتسبح البطات بكل متعة. والحديقة أشبه بغابة موحشه وغير نظيفة، ناهيك أنه كانت توجد فيها المدافن. عائلة لينتقاريف رأتني في لباس الطالبة ونظرت إليّ كما تنظر إلى عدو للتقدم. بكلمة، تعرفي الأول بمنطقة لوكا لم يكن في صالحها إذ كتبت إلى شقيقي أنطون وأنا في الطريق ناصحاً إياه بأن لا يستعجل السفر صيفاً إلى سومي. حللت صيفاً في تاغانروغ ثم سافرت إلى القرم بينما استأجر أنطون تشيخوف منزلاً صيفياً عند لينتقاريف في لوكا وفي أوائل أيار انتقل إلى هناك مع الوالدة والشقيقة.

وبعد العودة من الجنوب إلى لوكا وجدت عند شقيقي أنطون الشاعر ألكسي نيقولايفيتش بليشيف (\*)

حل العجوز علينا صيفاً قادماً من بطرسبورغ وبسبب سنواته المديدة إذ أصبح عجوزاً كلياً يمكن اعتبار السفارة مأثرة حقيقية. وقد نظر جميع قاطني لوكا إليه كأنه أيقونة عجيبة. عائلة لينتقاريف مكونة من الأم العجوز وخمسة أولاد راشدين: ابنتان كانتا طبيبتين والثالثة طالبة. كان الابن عازفاً جيداً على

---

(\*) (١٨٢٥ - ١٨٩٣) شاعر روسي من المدرسة النيكراسوفية. وبسبب مشاركته في حلقة

بتراشيفسكي قضى سنوات ١٨٤٩ - ١٨٥٩ في المنفى - المترجم).

البيانو والآخر مطروداً من الجامعة لأسباب سياسية. جميعهم كانوا طيبين ودودين وبشوشين يلبّون الآخرين بلطف وأنا بإمكانني القول إنهم ليسوا سعداء تماماً. وكان قدوم الشقيق أنطون ومعه شلة من المشاهير على أنواعهم من أمثال بليشيف الذي اعتادوا على الانحناء أمامه حتى في أيام الحياة الطلابية في بطرسبورغ قد ظهر، على ما يبدو، على ذوقهم ومزاجهم. وعندما قدم إليه في الدار الكبيرة ألكسي بليشيف أجلسوه على أريكة عتيقة منذ زمن الأجداد وأحاطوا به من كل الجوانب وأصغوا إلى قصصه بأنفاس مكتومة. وبالفعل، كان هناك ما يستحق الإصغاء. فهذا العجوز الذي كان يمتلك روحاً شفافة وقلباً طفولياً بسيطاً ونقياً حافظ على حبّ الشبيبة التي وهو يلهبها ويثيرها يشعر بالاشتعال هو نفسه. كانت عيناه تلتهبان ووجهه يميل إلى الاحمرار ويداه ترتفعان إلى أعلى بالإشارات. وعندما أنشد قصيدته المعروفة (إلى الأم، أيها الأصدقاء! بلا خوف ولاشك، إلى المأثرة الجسورة) بدأ حتى الشكاك المدمن في شكه والمنتشائم الإحساس بالإيمان أنه بدا في السموات يظهر (فجر التكفير المقدس).

تركت قصة بليشيف انطباعاً عظيماً لدى المستمعين عن علاقته بقضية بتراشيفسكي. ففي عام ١٨٤٩ تم اعتقاله وسجنه في قلعة بتروبافلوفسك وصدر الحكم عليه بالإعدام شنقاً. نقلوه إلى مركبة العار والشنار، إلى ساحة سيميونوف للعرض حيث وضعوه على منصة الإعدام وألبسوه الكفن وأخذ الجلاذ يثبت الأنشودة على رقبتة عندما همس مسؤول الإعدام الضابط في أذنه: (أنت تم الصفح عنك). وبالفعل، أعلن المراسل الوثاب أن نيقولاوي الأول في رحمته (التي لا حدود لها) قد تكرم بإبدال الإعدام بالنفي إلى تركستان والتجريد من الرتبة إلى عسكري عادي. قضى بليشيف سبع سنوات كاملة في المنفى وحارب بالقرب من أكمينشبت وأخيراً نال العفو من ألكسندر الثاني وعاد إلى ربوع بطرسبورغ القديمة. على الرغم من الآلام القاسية الباقية كان بليشيف نشيطاً دوماً وفتياً يافعاً. وفخوراً دوماً ورافعاً رأيته دوماً وكان يجذب الشبيبة إليه. طوال حياته كان يحتاج إلى سد الرمق. كان يكتب



الأشعار وينفذ الالتزامات نيابة عن المحررين كما كان يمارس الترجمة سراً. وحتى عندما كان في زيارتنا نظم الشعر إذ تم تخصيص غرفة خاصة له. كانت الآنسات تزينها له بالورود. ففي الصباح الباكر كان يجلس وراء الطاولة ويبدأ التأليف وهو يقرأ كل سطر بصوت مسموع. وبدأ في مرة أخرى أنه دعا للمساعدة أحياناً ما وأن أحياناً ما بالفعل لبي النداء وهذا الأمر أثار إعجابه الشديد نفسه.

كان يحب حباً جماً كل ما هو دقيقني ونشوي، ووالدتنا يغبينيا ياكوفليفنا كانت تحاول إطعامه بوفرة من أنواع الفطائر المحشوة وما شابهها من المأكولات وغالباً ما كان بعد هذا الطعام يتمدد على ظهره ويئن من الألم. أسرع أنطون تشيخوف إليه بكيس ماء دافئ وحذره من الولوج الزائد بالطعام إلا أن العجز كان ينسى ذلك في كل جلسة لاحقة. هذا الفقير دوماً والمحتاج أبداً فجأة ودون توقع أصبح ثرياً إذ قبل سنة ونصف السنة تقريباً من وفاته حصل على ميراث يقدر بمليون وسافر إلى باريس حيث رأوه يلبس على رأسه قبعة عالية وبهندام على غاية من التأنق إلا أن القدر ضحك عليه بوطأة شديدة ومد له أنيابه إذ ظهر الوريث الحقيقي وانتزعوا كل الأموال من بليشيف وعاد، من جديد، شبه فقير معدم. وسرعان ما لقي حتفه في أيلول ١٨٩٣ في باريس إلا أنهم حملوا جثمانه إلى موسكو وواروه الثرى في دير نوفوديفيتشيه غير بعيد عن ذاك المكان الذي دفن فيه، فيما بعد، أنطون تشيخوف.

توطدت صلات رائعة مع عائلة لينتقاريف. وكما هي الحال في بابكينو سادت، هنا الموسيقى وأحاديث عن الأدب لاسيما عندما كان م.ر.سيماشكو يزور لوكا الذي ورد ذكره أعلاه. كنا نصطاد السمك والسرطان النهري ونسوح في القوارب إلى المطحنة والجانب الآخر من النهر إلى غابة البتولا كي نطهو العصيدة. وكتب الشقيق أنطون كثيراً إلا أن الحياة في أوكرانيا، ولسبب ما لم تمنحه كالسنوات السابقة في بابكينو: لقد أثارت اهتمامه



أفلاطونياً. في الحقيقة، أثرته المعلمة ليديافودوروفنا هنا بتلك العبارات مثل ممشى الزيفون من الحور الهرمي و(رحل الأمير الشركسي في شراب توت العليق) في فيليتون مكشوف(\*)

ولكن يبدو أن الأمور توقفت عند هذا الحد. وفي لوكا كتب تشيخوف حول مواضيع جاهزة وواردة من الشمال أما الحياة المحيطة به فقد راقبها من الناحية الأثنوغرافية.

لم يكد بليشيف يغادر حتى وصل إلى لوكا الكاتب كازيمير ستانيسلافوفيتش بارانتسيفيتش(\*) (\*) .

كان بارانتسيفيتش إنساناً متواضعاً ، أُلصق إلا أنه لم يصل مرحلة الشيخوخة. كدح طوال حياته حتى انصباب العرق على الوجه وظل فقيراً محتاجاً أبداً. بدأ عوزه المادي حسبما سمعت من ناظر الضيعة الذي كان يتاجر بالقرميد ثم بدأ الكتابة وحقق تقدماً سريعاً ولفت إليه انتباه النقد الذي وضعه ضمن الثالوث (تشيخوف وبارانتسيفيتش وكورولينكو) إلا أن الفقر وكبر الأسرة وضرورة الخدمة في جمعية خطوط الخيل الحديدية في بطرسبورغ، إن كل هذا قد صرفه عن الأدب وأخذ تدريجياً يستغني عنه. كان هذا الفقير مضطراً إلى الاستيقاظ كل يوم في الساعة الرابعة صباحاً بحيث يكون في المكتب في الساعة الخامسة وإعطاء البطاقات لجميع الجبابة. فيما بعد اصدر مجلة للأطفال تحمل، على ما يبدو، اسم «الفجر الأحمر» إلا أن المجلة اتسمت بمظهر خارجي شاحب ولم تلق النجاح. لم يسافر من بطرسبورغ أبعد من پاغالوف واوزيركو. تجاسر بارانتسيفيتش فجأة وأخذ نفساً عميقاً وانطلق مندفعاً إلينا في أوكرانيا. يمكن بسهولة تصور كيف شعر

---

(\*) (الفيليتون) مقالة صحفية حول موضوع ملتهب. يستهزئ ويدين، بصورة لاذعة، ظواهر الواقع. وهو أيضاً مقالة هجائية أو صفحة للتسلية - المترجم)).

(\*) (\*) (١٨٥١ - ١٩٢٧، كاتب روسي ، صحفي ، مؤلف قصص طويلة وقصيرة ومسرحيات صدرت مؤلفاته في تسعة مجلدات في سانت - بطرسبورغ أعولم ١٩٠٨ - ١٩١١ دون أن تكتمل - المترجم).

وهو في ضيافتنا. كان محدثاً وديعاً ولطيفاً، وحساساً رقيق العواطف إلى حد ما إلا أنه كان مستقيماً غير عادي وعاد إلى عمله في مكتب الخطوط الحديدية. نسي عندنا وتحت ضغط الظروف، بنطلونه وظللنا نتذكر هذه الحادثة لفترة طويلة وارتأينا أن نسيان شيء ما في مكان ما فهذا يعني العودة مرة ثانية. انتظرنا عودته إلى لوكا ولكن عبثاً.

بعد بارانتسيفيتش سافر إلى لوكا كل من سوفورين والفنان بافل سقابودين. بدأت صداقة الشقيق أنطون مع هاتين الشخصيتين منذ إخراج مسرحيته «ايفانوف» على المسرح الاسكندري في بطرسبورغ ورغم أنه كان يعرف ألكسي سوفورين قبل ذلك أي في أثناء تعاونه مع «الأزمة الحديثة» فإن قدوم العجوز إلى لوكا وطد أواصر الصداقة أكثر فأكثر وقد تلاقيا. ودون أن يلتقي مع نظرات «الأزمة الحديثة» قوم أنطون تشيخوف تقوياً ربيعاً سوفورين نفسه فارزاً إياه عن الجريدة وقدر عالياً صداقته. وخلال عدة سنوات كتب رسائل وفيه معبراً فيها عن آراء مكنونة وخوالج وانفعالات نفسية تبرهن على العلاقات القريبة الوطيدة القائمة بين الكاتب الاجتماعي العجوز والكاتب الشاب.

وعلى بعد كيلومتر ونصف من المزرعة التي عشنا فيها كانت هناك طاحونة كبيرة بست عشرة عجلة. في بقعة شاعرية محاطة بغابة من شجر البلوط حيث كان يأتي إلى هذا المكان تشيخوف وسوفورين لصيد السمك. كانوا يستريحون عند عجلات الطاحونة ساعات كاملة ويصطادون السمك ويتحدثون عن الأدب وموضوعات اجتماعية. الاثنان من الشعب والاثنان من أحفاد نظام الرق الإقطاعي والاثنان موهوبان بالفطرة ويتميزان بثقافة نادرة لذا كانت روح التعاطف بينهما قوية. وأدت هذه الصداقة إلى التراسل الذي استمر، فيما بعد، سنوات طويلة ولم ينته إلا عند محاكمة دريفوس عندما وقعت «الأزمة الحديثة» بحدة وبلا ضمير إلى جانب المدعين عليه.

ظل العجوز يحب تشيخوف حتى الممات إلا أن الجفاء من جانب الكاتب الشاب الذي بدأ حتى عندما كان خارج البلاد في أثناء محاكمة

دريڤوس قد استمر في روسيا أيضاً. وقد أخذ تشيخوف يقلل المراسلة مع سوفورين تدريجياً. وكان الزمن الذي فرق بينهما والمسافة لعبت دوراً، وأخيراً إن هذا التراسل الذي تضمن أفكاراً رائعة وعجيبة ومحاكمات للأمور جديدة وأصلية والتي حددت سمات تشيخوف كمفكر، انقطعت نهائياً. فالأدب والمحاكمة والإدارة والحكم والحياة الاجتماعية وكل ما شغل بال أنطون تشيخوف بعمق قد أثار فيه الاهتمام الحيوي ووجد انعكاساً له في مراسلاته مع سوفورين.

نجح سوفورين الجندي البسيط الذي قاتل في معركة بورودينو، نجح في امتحان نيل لقب معلم في الأبرشية، واشتغل في التربية في مدارس قضائي بوبروف وفارونج. بيد أن التولع بالأدب قد أجبره على كتابة الشعر أحياناً والتفاهات النثرية أحياناً أخرى، ونشرها في مختلف مجلات العاصمة، حتى استقر به المقام، أخيراً في بداية ستينات القرن التاسع عشر محرراً دائماً في «الحديث الروسي» التي كانت تصدرها الكونتيسة سالياس ولم ينتقل إلى موسكو. وكان يحب حباً جماً تذكر تلك الفترة، وغالباً ما كان يحدثني عنها. ومن عاداته عندما يروي هذه الأمور السير جيئةً وذهاباً في أرجاء الغرفة وأذكر كيف أنني تعبت وأنا أتابعه إلا أنني كنت أصغي إليه بارتياح كبير. كان يروي بصورة مجازية وبفكاهة حاذقة مضيفاً إلى حديثه المقارنات والمقابلات العجيبة وغالباً ما كان يستطرد لأن هذا وذاك يلهمانه أفكاراً جديدة وجديدة. كان يروي لي كيف أنه بعد أن وصل إلى موسكو تعرض لحالة من الفاقة المريعة. ولم تتحقق الأمانى في العاصمة، واضطر إلى مغادرة موسكو نفسها والسفر لمسافة تبعد سبعة كيلومترات عنها إلى قرية مازيلوفو، وفي كل يوم ولأجل الحفاظ على سلامة الحذاء كنت أروح وأجيء إلى هيئة التحرير في المدينة سيراً على الأقدام. وعندما حملت عقيلته ولم يكن في حوزته أي كوبيك لأجل القابلة ووقت الولادة يقترب، وصل إلى حالة القنوط، ودون الحصول على نقود أتى إلى الدكان في بولفار سريتين. سأتابع الكتابة نقلاً عن

كلام شقيقي أنطون. عندما جلس سوفورين في الدكان دخل شاب يحمل  
محفظة كبيرة تحت إبطه وجلس بجانبه.

تحدث الاثنان أحدهما إلى الآخر. وقد تأثر الشاب بوضعه فدرس يده في  
الجيب وسحب منها رزمة عليها أختام وقال:

أرسلت لي الوالدة خمسة عشر روبلاً. هذا ما حصلت عليه في البريد.  
فإذا أردت خذ هذا المبلغ.

كان هذا لقية بالنسبة إلى سوفورين وكى لا يبقى مديناً فقد وجه سؤالاً  
إلى الشاب: من هو وما هو اسمه؟ تبين أنه فيكتور بورينين الذي كان لا يزال  
وقتذاك تلميذاً في مدرسة الرسم والنحت والعمارة وصار، لاحقاً، كاتب  
مقالات ساخرة للاذعة وناقداً في «الأزمنة الحديثة» لمسؤولها. يفغيني  
كورش(\*) و فالنتين كورش(\*\*).

كتب سوفورين بالاسم المستعار (آ. بابروفسكي) و(الغريب). وهنا كانت  
قمة عطاء سوفورين كصحفي فهو، كما يقال، لم يكن يضرب على الحجاب  
بل مباشرة في العين لذا حكموا عليه بالسجن نصف سنة كاملة. كان يفضح  
الأقوياء المتسلطين بمهارة بحيث كان من الصعب ملاحقته. وكانت جريدة  
«الجدول البطربرورية» حكومية وبسبب مقالات سوفورين اللاذعة تم  
سحبها من فالنتين كورش ونقلها إلى مستأجر جديد (لقاء رشوة) وإبعاد  
(الغريب) عنها. انتقل وقتذاك إلى «جدول البورصة» وتابع هناك مقالاته  
اللاذعة أيام الأحاد. واستمرت الحال كذلك حتى عام ١٨٧٨ عندما اشتعلت

---

(\*) (١٨١١ - ١٨٩٧ صحفي وناقد ومترجم شقيق الصحفي ومؤرخ الأدب فالنتين

كورش. حرر في جريدة «الجدول الموسكوفية» ١٨٤٣ - ١٨٤٨ - المترجم)

(\*\*) شقيق السابق ١٨٢٨ - ١٨٨٢ فهو ليبرالي روسي وكاتب اجتماعي. أشرف أعوام

١٨٥٦ - ١٨٦٢ على «الجدول الموسكوفية» وفي أعوام ١٨٦٣-١٨٧٤ على

«الجدول البطربرورية» - المترجم).

فجأة في شبه جزيرة البلقان ثورة الدوقية التي ورطت، فيما بعد، روسيا في الحرب الروسية التركية. اشترى ألكسي سوفورين لقاء مبلغ زهيد حقوق إصدار جريدة «الأزمة الحديثة» وألقى كل المهام على عاتق الزوجة أما هو نفسه فقد توجه مراسلاً إلى الحرب. تسلل إلى هيئة أركان الأمير الصربي ميلان وعقد هناك الصلات وصار يحصل من رأس النبع على أدق تفاصيل المعارك ويرسلها لأجل النشر في جريدته «الأزمة الحديثة» وكانت الزوجة ترسلها مباشرة في رزم إلى الحرب وهناك يتم توزيعها بالمفرق بين الضباط الروس خلال نصف ساعة على الأكثر. ومنها فقط كانوا يعرفون تفاصيل تلك المعارك التي يشاركون فيها وغالباً حتى تلك المعلومات فيما إذا ظلوا منتصرين أو كانوا مهزومين. كان هذا هو ضمان نجاح الجريدة. ولم تمض خمس - ست سنوات إلا وتحدد أن العسكريين و الموظفين الكبار قد صاروا المشتركين الرئيسيين في الجريدة وبفضل هذا صارت الجريدة تكتسب تدريجياً طابعاً متميزاً.

على فكرة، بدأ سوفورين يطعن في السن وصار أبنائه من قرينته الأولى كباراً فامتلكوا الجريدة بالكامل. وأما ألكسي سوفورين فقد أزيح عنها إلا أنه ظل ينشر (رسائل صغيرة) ملتهبة يمكن من خلالها معرفة (الغريب) وكرّس نفسه كلياً لدراسة زمن الفتن والاضطراب، وللأدب النثري الرفيع وتاريخ الأدب والدراماتورجيا. في مثل هذه الفترة تعرف إليه أنطون تشيخوف، وسوفورين عاشق الكتب أسس داراً لنشر الكتب وجعل السعر منخفضاً جداً (مثلاً، مؤلفات بوشكين في عشرة مجلدات - روبل و ٤٠ كوبيكاً). في ذاك الوقت أخذت تظهر في الجريدة التي تحمل اسمه روح الكراهية تجاه الأقليات القومية. وليست مفهومة إطلاقاً القسوة تجاه فنلندا وبولونيا ومناطق البلطيق فضلاً عن اليهود مما أربك حتى البشر اللامبالين وتم التعبير عن هذه الكراهية بحدة في عام ١٨٩٨ عندما بدأت في باريس محاكمة دريفوس الشهيرة والتي شغلت بال جميع العقول الأوروبية والأمريكية.

وعن طريق سوفورين تعرفت إلى المبدل المحترم أناتولي كوني(\*)  
وأما فيودور كوني(\*\*) وما إن التقى ألكسي سوفورين بي في إحدى المكتبات  
في شارع النيفا في بطرسبورغ حتى تذكر فجأة شيئاً فسحب من جيبه جانبية  
رسالة وتوجه إلي بـرجاء:

ميشا يا عزيزي! اذهب الآن إلى كوني وأعطه هذه الرسالة!

كنت قد اطلعت على مؤلفات والد أناتولي كوني منذ فترة بعيدة من  
خلال المسرحيات الفكاهية الناقدة التي كانت تضحكني في المسرح. وقد  
اعتدت منذ فترة طويلة على احترام أناتولي كوني لنشاطه الحقوقي القضائي  
ومؤلفاته العلمية والأدبية إلا أنني لم أتعرف به بعد شخصياً. وجدت كوني في  
مكتبه وحيداً. قدمت نفسي وسلمته الأمانة المرسله من قبل سوفورين. وشقيقي  
أنطون وقتذاك نال جائزة بوشكين من أكاديمية العلوم وشارك في المنح  
أناتولي كوني ونحن تحدثنا عن هذه النقطة. اعتزمت المغادرة إلا أن كوني  
منعني بقوة. انتقل الحديث من جائزة بوشكين إلى بوشكين نفسه وما أدهشني  
أن كوني كان يعرف كل شيء عن بوشكين غيباً وروى كل هذا بمتعة وإلهام  
مع رفع اليد إلى أعلى في بعض الأحيان. ومن جديد تحدثنا عن الشقيق  
أنطون. تكلم كوني عنه برجفة في الصوت وعيناه مغطتان بالنداء وظهر  
على وجهه المحلوق بلحية قصيرة مثلاً هي عند الإنكليزي المرتعد والمهتز،  
تعبير لطيف ودمث وأبوي خالص.

وصرخ كوني : ياله من موهبة. إنه موهبة هامة ورائعة!

وفيما بعد عندما أخذت أصول وأجول جدياً في الميدان الأدبي قدم  
كوني تقريراً كاملاً في أكاديمية العلوم عن كتابي «مقالات وقصص» الذي  
حاز على الرضا المكرم. وهذا كان بالنسبة إلي خطوة غير متوقعة على الإطلاق.

---

(\*) (١٨٤٤ - ١٩٢٧، حقوقي روسي وشخصية اجتماعية وكاتب ذكريات وعضو شرف في

أكاديمية العلوم في بطرسبورغ في عام ١٩٠٠ وهو ابن فيودور وكوني - المترجم).

(\*\*) (من مواليد ١٨٠٩ وتوفي في عام ١٨٧٩، مسرحي روسي وصحفي كتب كوميدات

وفوديات وقصص - المترجم)

زارنا الممثل بافل سفابودين في المنزل الصيفي في لوكا غير مرة وبعد إخراج مسرحية أنطون تشيخوف «إيفانوف» في بطرسبورغ ومسرحية سوفورين «تاتيانا ريبينا» في عام ١٨٨٩ التي شارك فيها سفابودين توطدت أواصر الصداقة بين هذا الفنان والشقيق أنطون. وبافل سفابودين أو كما كانوا يسمونه على سبيل المزح بالفرنسية «بول - ماتياس» والشقيق أنطون كانا هزليين فذنين يُضحكان جميع سكان لوكا بنزواتهما الفكاهة ويذهبان إلى صيد السمك للتسلية والضحك حيث كان سفابودين يرتدي السترة الرسمية (الفراك) ويلبس الطاقية العالية على رأسه والنكات من فمه معين لا ينضب. ينبغي فقط تصور إنسان على شاطئ نهر في قرية حيث قصب الأدغال وبياقة بيضاء، في سترة رسمية وقبعة عالية وبقفازين أبيضين مع هيئة جدية وهو يصطاد السمك بالصنارة. وإلى جانبه الفلاحون المارون في قوارب مجوفة. وعندما توقف سفابودين في مدينة ريفية نائية في الفندق قدم نفسه بأنه كونت وأما الشقيق أنطون - فخادمه. وأدى سفابودين، لأنه فنان، دوره بصورة مدهشة.

قدم إلينا، فيما بعد، إلى مليخوفو قبيل الرحيل عن هذه الدنيا تقريباً وترك أجمل الذكريات. كان يحبنا جميعاً ويشعر بنفسه وهو في زيارتنا أنه في وسط الأهل بحيث لم يخل من الإفصاح عن شيء. وفي السنوات الأخيرة من حياته صار على غاية من الرقة والدمائة والضجر في آن، وعندما كان يحل عندنا ضيفاً بدا لنا أنه ليس لديه أقرباء عدنا. وكان يحضر معه ابنه ميشا الذي يشبهه ووقتها كان يوحي بأنه سيكون موهوباً مثل أبيه لكن قدر هذا الصبي محزن للغاية. عندما كان طالباً شوهد منتحراً بإطلاق النار على نفسه على درج بناء غريب عنه تماماً وكما قالوا أمام باب امرأته الحبيبة. وتوفي سفابودين نفسه في خريف عام ١٨٩٢ بسكتة قلبية على خشبة مسرح ميخائيلوف في بطرسبورغ وهو في لحظة التمثيل وبالماكياج في أثناء عرض كوميديا أستروفسكي «المزاحون».

حسب رأي أنطون تشيخوف بادر سوفورين إلى نشر روايات يفغيني سيو («اليهودي الأبدي» واسكندر دوماس «الكونت مونت كريستو» و«الفرسان



الثلاثة»). وأصر تشيخوف على أن تصدر هذه الروايات لاسيما روايات اسكندر دوماس مختصرة كي يتم حذف ما هو غير ضروري منها وما يرهق القارئ لا أكثر ولا صلة له إطلاقاً بتطور الأحداث ويرفع سعر الكتاب لا أكثر. وافق سوفورين إلا أنه عبر عن الشك بأنه من المستبعد إيجاد شخص بإمكانه إنجاز مثل هذه الحذوفات فتصدى أنطون تشيخوف نفسه لمثل هذه المهمة إذ تم إرسال الكتب الصادرة في خمسينات وستينات القرن التاسع عشر إلى ميلخوفو وشرع أنطون تشيخوف في الشطب العنيف دون أية رحمة تجاه النص حاذفاً صفحات مطبوعة كاملة. حدث هذا في الوقت الذي كان فيه سفابودين في ضيافته. ركن بول - ميتاس العزيز في الزاوية جالساً على الأريكة التركية وأخذ أنطون يخط كاريكاتيراً له: «تشيخوف يجلس مع الكونت مونت - كريستو» ويده قلم الرصاص الذي يشطب فيه من هذا الكتاب صفحات كاملة، ومن وراء ظهره اسكندر دوماس ودموع مريرة تتسكب من العينين مباشرة على الكتاب. وقد احتفظ أنطون تشيخوف بهذا الكاريكاتير بعناية ضمن أوراقه ولكن لا أعلم أين هو الآن. وعلى فكرة، في واحدة من سفرات سفابودين إلى ميلخوفو أنجز أنطون تشيخوف قصته الكبيرة التي رأت النور لاحقاً بعنوان «قصة إنسان مجهول». طال أمد التفكير في اتخاذ قرار بإرسالها إلى الصحافة ولم يقدم على هذه الخطوة إلا بعد أن قرأها بكاملها بصوت مسموع أمام بافل سفابودين. وأذكر أن هذه القراءة حدثت في الحديقة نهاراً، علماً أن لدى سفابودين كان الوجه يتخذ مظهراً جدياً. أدرج ملاحظاته. في البداية كانت القصة معنونة كما يلي: «قصة مريض» إلا أن سفابودين نصح الشقيق أنطون بتبديل العنوان إلى العنوان الوارد أعلاه. أثارت هذه القراءة، وقتذاك، دهشتي الشديدة لأنني كنت أعرف أن أنطون تشيخوف لم يقرأ إطلاقاً هو نفسه أعماله وكان يستنكر هؤلاء المؤلفين الذي يفعلون ذلك.

نزل عند عائلة لينتقاريف في لوكا مع سفابودين أحد المعارف وهو البروفسور الشاب في جامعة خاركوف، فلاديمير تيموفيف. كان عاد لتوه من مهمة خارج البلاد وصور الأساتذة الألمان هناك بصورة ممتازة. كان مرحاً



ومحباً للحياة. وقد استغربت عائلة لينتقاريف كيف صار أنطون تشيخوف يحب احتساء المشروبات على الطريقة الطلابية معه. وعائلة لينتقاريف كانت تخشى في دارها الفودكا كما لو كانت النار. وأنا واثق بأنه لو كان فلاديمير تيموفيف يكثر من السفرات إلى لوكا ويضيف فيها لمدة أطول لتوطدت علاقات الصداقة مع أنطون تشيخوف.

ذات مرة ذهبنا سيراً على الأقدام إلى بَسِيول للسباحة. كان معنا سفابودين. وعندما خلع تيموفيف حذاءه رأينا بشيء من الاستغراب أن أحد الكعبين لونه أصفر ضارب إلى السواد. هل مسحه باليود أم هذه هي حاله فهذا مالا أعرفه. إلا أن أنطون تشيخوف ما إن لا حظ ذلك حتى سأل البروفسور بجد:

يافلاديمير تيموفيف! عندما تتخون هل تحافظون على كعبكم بعيداً عن  
السجارة؟

لقد فرطنا من شدة الضحك وطالت الضحكة خاصة عند سفابودين.

عرضت مسرحية تشيخوف «إيفانوف» التي ذكرتها أعلاه في بطرسبورغ في الصيغة المنقحة. ففي صيغتها الأولى تم إخراجها، للمرة الأولى، في مسرح كورش في موسكو ١٩ تشرين الثاني ١٨٨٧. كانت قد كتبت بمحض المصادفة وعلى عجل دون تأمل. وعند لقاء تشيخوف مع قائمتين كورش في مسرحية «في الردهة» أخذته الحال في الحديث عن المسرحيات بشكل عام. وقتذاك، هنا أخرجوا كوميديا خفيفة ومسرحية فكاهية ناقدة (فودفيل). ولم تكن المسرحيات دارجة في حينها. وكورش كان يعرف أن تشيخوف كان هزلياً لذا اقترح عليه أن يكتب مسرحية. وقد تبين أن الشروط كانت مثمرة وشرع الشقيق أنطون في التنفيذ. وقد شرع في كتابة فصل وراء فصل في مكتبه المظلم في داركورنييف في شارع كودرينسكايا - سادوفايا، وعلى الفور كان يسلمها إلى كورش لأجل الرقابة ولأجل البروفات في آن معاً. ولكن رغم التنفيذ العجول حظيت «إيفانوف» على الفور، بالاهتمام الشامل. والتأم شمل الجمهور الموسكوفي الظريف والمتأدب لمشاهدتها إذ كان

المسرح مكتظاً ولا أي مكان شاغر. وقد توقع البعض رؤية مسرحية هزلية ساخرة (فارُس) في ايفانوف، بأسلوب قصص تشيخوف حينذاك والمتضمنة في «الشطايا» وآخرون توقعوا شيئاً ما جديداً، أكثر جدية - ولم يخطئوا الظن. كان النجاح مبرقشاً: البعض هسهس وصفّر وآخرون، هم الأكثرية، صفقوا بضجيج عال ودعوا إلى ظهور المؤلف بيد أنهم، وبشكل عام، لم يفهموا «ايفانوف». وبعد فترة طويلة، شرحت الجرائد شخصية البطل الرئيسي وطبعه ومزاجه. ولكن بغض النظر عن كل شيء بدأوا يتحدثون عن المسرحية. هذا وقد لفتت حادثة المعنى والمنهج ودراماتيكية طرائق المؤلف الانتباه الشامل إلى الكاتب المسرحي. ومن هذه اللحظة يبدأ نشاطه الدرامي الرسمي. كتب أنطون تشيخوف إلى شقيقه ألكسندر: لا يمكنك أن تتصور ماذا حدث بعد العرض الأول لمسرحية ايفانوف. الشيطان وحده يعرف ماذا خرج من مثل هذه السخافة العديمة الجدوى مثل أغنيتي هذه. صار الناس يضجّون ويهجون ويموجون ويصفّرون ويصفقون. وكادوا أن يتشاجروا في البوفيه. وفي الرواق أراد الطلبة أن يقذفوا أحد الحضور خارجاً إلا أن رجال البوليس ساقوا اثنين منهم. وكان الهياج عاماً. وكادت الأخت أن يغمى عليها. ود يوكوفسكي المصاب بالسكتة القلبية هرب إلى الخارج وأما كيسيليوف فقد مسك رأسه بيديه دون أي سبب وصرخ عالياً وبكل صدق: «ماذا سأفعل الآن؟». كان الممثلون متوترين بعصبية.....وفي اليوم التالي بعد المسرحية ظهرت في «النشرة الموسكوفية» مقالة نقدية لكاتبها بيوتر كيتشيف الذي يصف مسرحيتي بأنها «وقحة ماجنة وتافهة ولا أخلاقية» (٢٤ تشرين الثاني ١٨٨٧).

حضرت هذه المسرحية وأذكر ما حدث آنذاك في مسرح كورش. كان شيئاً أقرب إلى الاستحالة إذ قفز الجمهور من أمكنته وأخذ البعض يصفق وآخرون يصفرون وغيرهم يدقون بالأرجل. وقد أزيحت الكراسي والكراسي ذات المساند في الصالة من أماكنها واختلطت الصفوف وصار من المستحيل على المشاهد أن يجد مكانه. وارتبك الجمهور الجالس في الطابق العلوي ولم يعرف ما إذا كان عليه أن يجلس أو يغادر. وأما ما حدث في الدهاليز فهذا يستحيل تصوره إذ جرت هناك مجزرة كاملة بين الذين يصفرون والذين

يصفقون. لذا ليس من المستغرب أن يكتب الشقيق أنطون من بطرسبورغ فقط بعد أسبوعين من هذا العرض: «إذا سحب كورس مسرحيتي من برنامج المسرح فهذا سيكون أفضل. لماذا جلب الخزي والعار للذات؟ فليذهبوا إلى الجحيم». وفي اليوم التالي بعد المسرحية الموصوفة استقبل الشقيق أنطون في شقته المسرحي الشهير ألكسندروف - كريلوف<sup>(\*)</sup> الذي لم تفارق مسرحياته ريبورتوار «مسرح المالي الموسكوفي». مجد فيميستوكول لم تمنح ميليتاد فرصة للنوم<sup>(\*\*)</sup>. ومن فطنته وبصيرته الأولى بأن هذه المسرحية ستحظى بالنجاح اللاحق اقترح كريلوف على الشقيق أنطون عرض خدماته: سيعمل هذه المسرحية ويبدل فيها شيئاً ما ويضيف شيئاً ما من أجل أن يصبح كريلوف مشاركاً في التأليف مع تقسيم الأتعاب منصفة. هذا الأمر ضايق تشيخوف دون أن يظهر ذلك. وكان الاقتراح منفراً بالنسبة إليه إلا أنه رفضه بكل لباقة وتأدب.

عندما كتب الشقيق أنطون مسرحيته الفكاهية الناقدة المعروفة «الدب» التي عرضت في جميع أنحاء روسيا عرض كريلوف، في الآن ذاته، مسرحيته الفكاهية الناقدة «الدب خطب» عروساً لنفسه وليس الأمر مصادفة. فقد حدثنا الشقيق أنطون، فيما بعد ضاحكاً أنه عند وصوله قادماً من بطرسبورغ قام كريلوف بزيارة إلى دار أحد المسرحيين الشباب هناك ولكن باقتراح معاكس: أن ينتظر هذا الكاتب المسرحي مسرحية كريلوف. وعندما اشتغل هذا عليها بمافيه الكفاية دفع كريلوف له عشر روبلات فقط لقاء جهده. وأصيب الكاتب المسرحي الشاب بشيء من الهستيريا بسبب هذه الأذية واضطرب قائلاً:

---

(\*) فيكتور ألكسندروفيتش كريلوف «الاسم المستعار ألكسندروف» ١٨٣٨ - ١٩٠٦، مسرحي روسي، ألف بالروسية وترجم عدداً من المسرحيات إلى الروسية وله عدد كبير من المقالات المسرحية النقدية والذكريات - المترجم

(\*\*) (فيميستوكول ٥٢٥ - ٤٦٠ ق.م قائد عسكري أثيني، قائد التكتل الديمقراطي في فترة الحروب الإغريقية - الفارسية ٤٩٢ - ٤٩٣ ق.م)

سألني بهذا المبلغ في وجهه!

وقال الجالس هناك ف.آ.تيخونوف وهو أيضاً كاتب مسرحي:

هذه النقود دنيئة. ينبغي الشرب بها كلها.

مع «إيفانوف» عرضت في مسرح كورس مسرحية إيفان شغلوف الضاحكة «في جبال القفقاس». ظهر، حينذاك، في البيع كتاب هذا المؤلف «العقدة الجوردية». لقد أعجبنا أنا وشقيقي أنطون بالكتاب والمسرحية إعجاباً شديداً. ففيهما شيء ما طازج وفتي واندفاع هزلي كما لو كان من نافورة ماء. ما أثار الدهشة عندما تبين أن الكابتن المتقاعد الذي قام بالحملة التركية وشارك في معارك عديدة هو نفسه إيفان شغلوف - إيفان ليونتيفيتش ليونتييف. وسرعان ما تعرف به أنطون تشيخوف، وتوافقا فيما بينهما هو وجان حسبما لقبه تشيخوف، وغالباً ما صار يزورنا. كان إنساناً أنثوياً فوق العادة، عطوفاً، رؤوماً يضحك بصوت عالٍ ورقيقاً تماماً مثل فتاة هستيرية. كانت موهبته في الأدب النثري الرفيع فذة وفائقة الروعة إلا أنه بعد نجاح «في جبال القفقاس» وثق بموهبته المسرحية ومال إلى المسرح ولكن لم يقدم أية ثمرة. وكان قدومه إلى دارنا في موسكو مرغوباً به دوماً. ففي كل مرة كان لطيفاً وبشوشاً بحيث كان يستحيل أن لا تشعر بالنعاطف معه. وكان شغلوف ذا نزعة عاطفية يرسل إلى والدتنا البطاقات مع الورود والمكتوبة بخط «تراجيدي» بحيث كان من الصعوبة تحليلها ولم يهمل أصغر مناسبة كي يهنئها بالعيد وبيوم الملائكة أو عيد الميلاد. وقد زجره أنطون تشيخوف، بسبب عشقه للمسرح إلا أن جان شغلوف ظل حازماً في موقفه لا يلين، ورغم كل نعمة طباعه فقد ظل عديم الشفقة لا يرحم. وهكذا فإن مسرحه أودى به. ومسرحياته اللاحقة لم تلق النجاح فسقط في حالة من الانقباض وانكسار القلب وفارق الحياة في ريعان العمر. وهو نفسه، جان شغلوف، الذي منح أنطون تشيخوف لقب «باتيومكين» لقاء نجاحاته غير العادية في الأدب. وقد حركت نعمة جان ورقته وهشاشته أنطون تشيخوف. وكان يكتب

أحياناً إليه: «أشد على كفك الشبيه بأقدام الحسون. وبالفعل كان ثمة في شغلوف ما يشبه الطير».

كانت تعرض حينذاك في «مسرح المالي» في موسكو المسرحية «الرائعة» لمؤلفها ب.م. نيفجين<sup>(\*)</sup> بعنوان «الشباب الثاني» التي أحدثت نجاحاً داوياً وضجواً. ومن حيث الجوهر تم حبك هذه المسرحية على طراز الميلودرامات القديمة إلا أنه لعب الأدوار فيها في آن واحد: فيدوتوف وليشكوفسكايا ويوجين وريباكوف. وكان الجمهور مأخوذاً بما يراه، ودوت في الصالة أصوات النحيب الهستيري، لا سيما عندما أقدم يوجين الذي أدى دور الابن الشاب على إطلاق النار على عشيقة أبيه، ويظهر على خشبة المسرح في الأصفاد كي يودع أمه الفنانة فيدوتوفا. وقد حصدت المسرحية عائدات كبيرة.

وفي أحد عروض «الشباب الثاني» التقى أنطون تشيخوف في ردهة مسرح «المالي» مع نيفجين. وقد تحدثا سوية عن «إيفانوف» وعن «الشباب الثاني».

وسأل الكاتب المسرحي العجوز أنطون تشيخوف الشاب:

ماذا ستكتب أيضاً؟

وسأل تشيخوف بدوره:

وأنتم ماذا ستكتبون؟

أجاب بيوتر نيفجين بفخر:

هل يمكن كتابة أي شيء بعد «الشباب الثاني»؟

التقيت مع نيفجين غير مرة. ثم انتقل، فيما بعد إلى الأدب النثري وغالباً ما كان يجلب لي رواياته. ويقول:

فقط أقرؤوها. إنها رواية مثيرة للاهتمام! رواية رائعة!

---

(\*) (بيوتر ميخائيلوفيتش نيفجين ١٨٤١-١٩١٩، كاتب روسي له عدة كوميديات

ومسرحيات وروايات وقصص طويلة وقصيرة - المترجم)

يمكن أن نغرق في السعادة!

بودي أن أتوقف قليلاً عند ف.آ. كورش (صاحب مسرح كورش ١٨٨٢-١٩٣٢ والذي تأسس من قبل المسرحي ف.آ. كورش وهو مشهور بفرقة المسرحية - المترجم).

كانت هناك في موسكو تعيش رئيسة الجوقة السيدة برينكو التي كان أنطون تشيخوف يقول النكات عليها بأن كنيته من الفعل الألماني «brennen» ومعناه «احترق أوفشل». وبعد تدشين النصب التذكاري لبوشكين في موسكو هناك أيضاً في شارع تفير بني الأخوان مالكيل بناءً كبيراً فيه مسرح. وقد أنشد الناس مع افتتاح المسرح المقطع الشعري التالي:

في شارع تفير، ملك من هذا البناء الكبير؟

وفي شارع نيجلين ملك من هذا البناء الكبير والطويل؟

كان هذا أول مسرح خاص في موسكو بعد توقف احتكار المسارح الامبراطورية. وسمي هذا المسرح رسمياً: «المسرح الواقع قرب نصب بوشكين التذكاري» وقد استأجرته مدام برينكو. دعت خيرة فناني الأقاليم والأرياف مثل ايفانوف كوزيلوف وبيساريف وأندريه بورلاك وأخرجت مسرحيات متنوعة من الريبيرتوار بدءاً من «شعلة المستنقعات» لأندروبوف وانتهاءً بـ «الغابة» و«هاملت» و«روما المهزومة». ولكن رغم المحاولات الحثيثة المبذولة لإخراج هذه المسرحيات فإن مدام برينكو قد فشلت. وكانت الأكثر توفيقاً في مسرحها قضايا المحامي ف.آ. كورش الذي استأجر منها المشجب. وكما قال وقتذاك كان الربح من نصيبه دوماً. وإذا كانت مدام برينكو مضطرة إلى توزيع أوراق لدخول المسرح مجاناً للتظاهر لا أكثر فإن كورش كان ينتزع من كل ورقة من هذه الأوراق ٢٠/ كوبيكاً لقاء المشجب. وعندما أوقفت مدام برينكو عملها نهائياً وبعد أن تشكل بعدها اتحاد الفنانين الذي انتقل فيما بعد إلى مسرح ليانوزوف في زقاق الجرائد وهناك وضع، أيضاً، مشجباً. وأخيراً انتقل كل شيء إليه. وبما أن الإنفاق المسائي كان

يكلف، دوماً، قرابة ثلث العائدات وكان المشجب في ظل المحصول عليه بالكامل يقدم تماماً مثل هذا المبلغ فإن الإدارة، ومن أجل تلافي الخسارة، أخذت توزع أوراق دخول المسرح المجانية على كل المؤسسات التعليمية. وبالطبع كان كل طالب يغمره الفرحة بالذهاب مجاناً إلى المسرح والجلوس في الصالة إلا أنه كان ملزماً بدفع /٣٠/ كوبيكاً لحفظ الألبسة. وبهذه الصورة كان المشجب يعوض الإنفاق المسائي وإن جميع المشاهدين الذين دفعوا قد تحولت نقودهم، مهما كانت قليلة، إلى ربح صافٍ.

قرر كورش الذي يعشق المسرح وهو نفسه مؤلف ومترجم مسرحيات «الخطابة» و«الكفاح من أجل الوجود» و«مدام سان - جان»، قرر بناء مسرح خاص به في موسكو. لا أذكر من الذي ساعده في هذا الأمر إلا أن مسرحه في موسكو، زقاق بوغوسلوف قد تم تشييده بسرعة إذ كان العمل، على قدم وساق، ليلاً ونهاراً، بوجود المصاييح الكهربائية - عجلوا الافتتاح ليس بعد ١٦ آب. وعندما تم الافتتاح كانت تقوح منه الرطوبة و في بعض الأماكن كانت الجدران ترشح. حدث هذا في عام ١٨٨٢. الفرقة الفنية منتقاة: غرادوف - سوكولوف، سالونين، سفيتلوف، والشهير فلاديمير دافيدوف وغللاميشسر سكايا وريبشيسنسكايا ومارتينوفا وكوشيفا وكراسوفسكايا - شكلوا جميعهم فرقة نادرة في الكوميديا الخفيفة وخلدوا أسماءهم في تاريخ المسرح بصورة عامة. لأجل الديكور تمت دعوة الفنان الذي ذكرته سابقاً آ.س. يانوف الذي سحر الجمهور بتأثيراته الديكورية. ولأجل مؤلف تورغينيف «أمسيات تورينتينو» اجتاز نابولي طويلاً وعرضاً وعلى ضوء الشموع في الزوارق والبواخر. وغنى المغني ك.س. شيلوفسكي رومانس: «Si tu m'aimais» وطار عقل الجمهور من التأثير.

كان مسرح كورش مشهوراً جداً لدى جمهور موسكو. ففي تقرير عن نشاطه خلال عقد من الزمن الذي تغلب كثيراً عندنا في مليخوفو أذكر أننا قرأنا بشيء من التعجب أن أكثر من مليون ونصف مليون مشاهد حضروا في

هذا المسرح خلال الفترة المذكورة وتم إخراج أكثر من خمسمئة مسرحية حينذاك. لقد اطلع الجمهور الروسي على مؤلفات ساردو<sup>(\*)</sup> وبالبيرون وآ.دوديه<sup>(\*\*)</sup> وغيرهم من كتاب هذا المسرح بالذات. بيد أن مآثرة ف.آ.كورش الرئيسية تكمن في إدراج المسرحيات الصباحية في متناول الجميع وهي مستقاة من الريبيرتوار الكلاسيكي والتي صارت جموع الشباب تحضرها وصارت مسارح ريفية عديدة في روسيا تقلدها.

---

(\*) (فيكتورين ساردو ١٨٣١ - ١٩٠٨، كاتب مسرحي افرنسي له مسرحيات فكاهية ضاحكة ناقذة وأخرى تاريخية منها «الوطن» في عام ١٨٦٩ - المترجم)

(\*) (ألفونس دوديه ١٨٤٠ - ١٨٩٧ كاتب افرنسي. له ثلاثية «مغامرات غير عادية لتارتارين من تاراسكوت» حيث أبدع أنموذجاً هزلياً للبرجوازي المتبجح الصغير وغيرها - المترجم)





الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

عام ١٨٨٩. من جديد في لوكا - وفاة الشقيق نيقولاي - أنطون يتجول في أوديسا ويالطا - لقاء مع عائلة شافروف - دراسة اللغات الأجنبية - صداقة أنطون تشيخوف مع يه. م. شافروفا - كيف تم إخراج «عفريت الغابة» - قضية مصرف ريكوف للادخار - أول نفث للدم لدى الشقيق - «ليكا الرائعة» - زيارات إلى دار كورنييف في سادوفيا - كودرينسكايا. - آ. ب. لينسكي (\*) - م. ن. يرمولوفا (\*\*) - فلاديمير دافيدوف يقرأ عندنا «سلطة الظلام» - «عندياته» في «كالخاس» - نيقولاي ليكين (\*\*\*) - حفلة على شرف الرئيس الإفرنسي لوبيه - ليسكوف وتشيخوف - شيبكين - كوبرنيك - تجاوب آ. ي. تشوبروف - ب. ن. أستروفسكي - مشهد من علاقة ألكسندر أستروفسكي مع الشقيق - الوزير - زيارة كورولينكو.

أعود ثانية إلى لوكا، قضت عائلة تشيخوف هناك الصيف التالي لعام ١٨٨٩ ولكن ليس بهذا المرح مثلما كانت الحال في السنة الفائتة مع أن

---

(\*) (ألكسندر لينسكي ١٨٤٧ - ١٩٠٨ ممثل ومخرج وأستاذ تمثيل روسي. ساهم في

تطوير المدرسة الواقعية على خشبة المسرح. - المترجم)

(\*\*) (ماريا ١٨٥٣ - ١٩٢٨، ممثلة روسية. أدت أدواراً كثيرة منها «فتاة أورليان»

لشيلر و «موهوبون ومعجبون» لألكسندر أستروفسكي وغيرها -- المترجم)

(\*\*\*) (١٨٤١ - ١٩٠٦، كاتب روسي هزلي، له «الشظايا» وروايات وقصص عديدة

يرسم فيها عادات وأخلاقيات فئة التجار - المترجم)

التعارف اغتنى بشخصيات جديدة إذ صار يحضر إلى عائلة لينتفارييف ويستضيف لديها لفترة طويلة الاقتصادي الشهير فاسيلي فارونتسيف(\*) والشخصية المعروفة في

القانون العادي آ.يا. يقيمينكو(\*\*)

انتكبت عائلة تشيخوف في هذا الصيف ب وفاة الفنان نيقولا ي. ورحيله باغت الشقيق أنطون عندما توجه على الخيل إلى سارو تشينسي، اقليم بولتاف وغيرها من الأماكن الغوغولية على الطريق بغية رؤية المزرعة المباعة التي أراد شراءها للسكن الدائم. وصلوا إلى عند عائلة سماغين ليلاً وهم مبللون ويشعرون بالبرد<sup>(٤٨)</sup>.

خلدوا للنوم في فراش بارد وغطوا في النوم تحت ضجيج المطر البارد. وفي الصباح كان الطقس ثائراً... وصل إلينا قادماً من ميرغورود رجل حامل برقية مبللة: «رحل نيقولا ي» يمكنكم تصور مزاجي. اضطررنا إلى العودة على الخيول إلى المحطة ومن ثم بالخط الحديدي والانتظار ثماني ساعات في المحطات ... عائلتنا لم تكن بعد تعرف شيئاً عن الوفاة وشوهد التابوت عندنا للمرة الأولى (من رسالة أنطون تشيخوف).

كانت عملية الدفن بسيطة للغاية. وبسرعة بعد الدفن غادر الشقيق أنطون لوكا للتجوال وقد أخذ يعتزم السفر خارج البلاد إلا أنه لم يغادر البلد، ولسبب ما استقر في الاوديسا حيث كانت في ذلك الوقت الفرقة الفنية الجواله

---

(\*) (١٨٤٧ - ١٩١٨) اقتصادي وعالم اجتماع وكاتب روسي. وهو من أيديولوجيي الناردنيك الليبراليين - أي الشعبوي في ثمانينات - تسعينات القرن التاسع عشر وناهض الماركسيين الروس وقد تعرضت نظراته للنقد من قبل لينين و بليخانوف - المترجم)

(\*\*) ( ألكسندرا يقيمينكو ١٨٤٨ - ١٩١٨ مؤرخة وأثنوغرافية روسية وأوكرانية، زوجة بيوتر سافيتش يقيمينكو. أول امرأة روسية تختص في التاريخ الروسي القديم - ١٩١٠ جامعة خاركوف. بروفيسورة أعوام ١٩٠٧ - ١٩١٧ لها ثلاثية في تاريخ الشمال الروسي وأوكرانيا. لفتت دراساتها اهتمام ماركس وانجلز ولينين - المترجم)

لمسرح «المالي». وهنا تعرف إلى الفنانة الشابة القادمة من الباليه إلى الدراما يانوقا التي أعجب بها إلا أنها صارت من نصيب لينسكي في موسكو فانتقل تشيخوف إلى يالطا.

شيء من اللامبالاة يهيمن على الكاتب فلا يشعر بالميل ولا بالاهتمام بأحد ويمر شهران ويعود أنطون إلى حالته وهو مفعم بالثقة بالنفس وبرسالته. وظل قاطناً في دار كورنييف في كودرينسكايا - سادوفايا وشرع في العمل الأدبي بصورة محمومة وأخذ يخط بريشته أشياء مثل «قصة مملّة» ومسرحية «عفريت الغابة» التي أخرجها في مسرح أبراموفا في ٢٧ كانون الأول ١٨٨٩. إضافة إلى هذا هناك عمل مجهد ودقيق في جميع المواد لأجل السفر إلى ساخالين. وسأتناول هذه النقطة أدناه.

كما ذكرت أن أنطون تشيخوف توجه في صيف ١٨٨٩ من اوديسا إلى يالطا دون رغبة ولا نية ولا خطط ملموسة رغم أنه أمضى هناك وقتاً لا بأس به. وفي إحدى نزّهاته في أحد شوارع هذه المدينة مرّ بجانب منزل صيفي وفجأة انفرجت خوخة وخرجت منها فتيات أنيقات للغاية وإحداهما كما لو قالت بينها وبين نفسها بحيث أن أخاها سمع الكلام:

ها هو الكاتب تشيخوف.

بهيئتهنّ (فتيات العاصمة) لفتن انتباه أنطون تشيخوف إليهن. بعد هذا قابلهن في حديقة المدينة. وفي نهاية المطاف جرى التعارف كن ثلاث أخوات في عائلة شافروف وهي من ملاكي الأراضي في خاركوف ويعشن في بطرسبورغ بصورة دائمة، وقد قدمن في الصيف إلى القرم. ولكن تعرّف تشيخوف بعائلة شافروف لم يتوقف عند هذا الحد. بعد العودة إلى موسكو يتلقى أنطون تشيخوف ذات مساء ملحوظة سارة عن طريق الخادمة. إنها من والدة الفتيات مدام شافروف نفسها التي ذكرت فيها أن العائلة كلها انتقلت من بطرسبورغ إلى موسكو للإقامة الدائمة، ورجته أن يجدد التعارف الذي بدأ بسعادة غامرة في يالطا.

كان أنطون تشيخوف قد بدأ لتوه يتعافى من الأنفلونزا وقرر خرق نظامه ومد الرسالة إليّ قائلاً:

ميشا! هل تود التعرف إلى تلك الفتيات الظريفات؟

أنا لم أعر بالطبع على أي اعتراض وفي المساء ذاته أرسلني أنطون تشيخوف إلى عائلة شافروف محملاً إليّ رسالة منه يعتذر فيها بأنه لم يستطع الحضور شخصياً لأسباب مرضية وكلفني بهذه المهمة. غادرت وعند الوصول استقبلوني بكل بشاشة وحفاوة. ومنذ لحظة التعارف الأول شعرت بالتعاطف الهائل تجاه هذه الأسرة.

كانت آنسات عائلة شافروف يقرآن كثيراً وهنّ على اطلاع على مؤلفات عديدة لكتاب روس وأجانب حديثة جداً، علماً أنهن يقرآن الكتب الأجنبية بلغاتها الأصلية. كنت، حينذاك مطلعاً على الأدب الأجنبي فقط من خلال الترجمات السيئة وطبعات رخيصة. وقد شعرت بالخجل أمامهن عندما تحدثن في هذا الموضوع. وأجبرني هذا الوضع على الشروع في دراسة اللغات وعندما امتلكت ناصية اللغات الإنكليزية والإفرنسية والإيطالية أصبحت مترجماً.

يكفي التذكر أنه منذ ذاك الوقت، وفيما عدا الكثرة الكثيرة من المقالات الصغيرة المتنوعة في الجرائد والمجلات والأعمال المسرحية، ترجمت عن اللغات الأجنبية ٤٣/ مجلداً كبيراً من المطبوعات الدقيقة.

صارت الأخت الكبرى يلينا ميخائيلوفنا كاتبة ومن أجل تمرير بعض أعمالها إلى الصحافة كان أنطون تشيخوف يسعى كل جهده في بعض الأحيان. كان يستحسن موهبتها وينصحها بتطويرها والعمل بقدر الإمكان ولكن لأنها امرأة بالإضافة إلى أنها لم تكن بحاجة إلى ضرورات العيش فهي لم تصف أهمية خاصة على موهبتها. كانت توقع أعمالها تحت اسم (شاستونوف) وأجرت مراسلات مع أنطون تشيخوف. وقد دخلت الرسائل التي وصلتها في مجموعة باقلوفا حيث كانت يلينا ميخائيلوفنا تتمنى إخفاء

كنيتها تحت الحروف الأولى للاسم (يه.م.ش). توطدت بين أنطون تشيخوف و(يه.م.ش) صداقة متينة. وحاول تشيخوف دفع قصصها إلى الصحافة وغالباً ما كان يحقق الغاية إلا أنه كان دوماً يزجرها بسبب إهمالها لموهبتها وندرة كتاباتها. كان يغادر ميلخوفو إلى موسكو لقضاء بعض الأعمال. كان أحياناً يتراسل معها مسبقاً مفصلاً عن رغبته بتناول طعام الفطور في (مطعم موسكو الكبير) أو في (الأرميتاج) وكانت تسميه chér maitre (\*). وهذا ماكان يوقعه في الرسائل التي كان يبعثها إليها. كانت تغني بروعة وكان في شخصها ما يكفي كي يوطد العلاقة معها لفترة طويلة و لا تزال سيرة حياتها محفوظة في مكتبه في دار تشيخوف في يالطا.

صارت الأخت الثانية، أولغا ميخائيلوفنا، لاحقاً فنانة شهيرة بعد أن قطعت الصلة مع الوسط الذي كانت تعيش فيه ونجحت في أدوار الأعمال الكلاسيكية. اسمها على خشبة المسرح (ارسكاي) بعد أن عرفت أنها مثلت على الخشبة - وهذا كان بالنسبة إلينا مفاجأة كلياً - ففي حديثه معي استصوب أنطون تشيخوف هذا الوضع وسماها - الذكية. عندما كان أنطون تشيخوف يعيش في ميلخوفو واحتاج لجمع الأموال الخاصة ببناء المدارس سرعان ما قدمت الأختان خدماتهما إذ غادرتا موسكو إلى سيربوخوف وعرضتا هناك مسرحية للهواة بعد أن أحضرتا جمهوراً محلياً أصيب بالذهول من فخامة اللباس ولمعان الماس والأداء الموهوب.

في عام ١٨٨٩ يتعامل تشيخوف ، مرة ثانية، مع المسرح. والممثل ن.ن.سولوفيتسوف(\*\*). وقام بالدعاية لمسرحيات تشيخوف ذات المحتوى التقدمي - المترجم الذي عمل في المسرحية الفكاهية الناقدة (الدب) والتي خطي فيها بنجاح هائل قد ترك كورش وافتتح سوية مع الممثلة أبراموفا مسرحاً خاصاً في ساحة المسارح في موسكو. بيد أن الأمور لم تسر على ما

---

(\*) المعلم العزيز .

(\*\*) (نيقولاى سولوفيتسوف ١٨٥٧ - ١٩٠٢ ممثل ومخرج ورئيس جوقة روسي. المترجم.

يرام. لم تكن هناك مسرحيات كفاحية. وظل عيد الميلاد وعيد الصوم الكبير<sup>(٤٩)</sup> حيث كان من الممكن بناء الأمانى الجديدة. ولكن من أجل تحقيق شيء ما كانت الحاجة ماسة لمسرحية ذات وزن وهي غير متوفرة عند سولوفتسوف. عند ذاك توجه إلى تشيخوف:

ادعمني يا أنطون بافلوفيتش! أغثني! أعطني مسرحية!.

قبل حلول عيد الميلاد بعشرة - اثني عشر يوماً عرض سولوفتسوف ألف روبل. كانت الشروط مغرية. فشرع الشقيق أنطون في كتابة «عفريت الغابة». كان كل يوم ينجز فصلاً وأنا كنت أعيد الكتابة في نسختين. أتى سولوفتسوف وتفحص النسخ واختار ما يريده وأرسله إلى بطرسبورغ لأجل الرقابة. كان العمل يجري على قدم وساق. فالشقيق أنطون كان يكتب وسولوفتسوف كان جالساً بجانبه يسوي ويضبط وأنا كنت أعيد النسخ. وبهذه الصورة صارت المسرحية جاهزة في الوقت المحدد لها. وقد عرضت غير مرة بالتتالي وقبض المؤلف ألف روبل بالكامل. ومع ذلك فشل سولوفتسوف وظل الشقيق أنطون غير راض عن مسرحيته. لقد تمت كتابة «عفريت الغابة» على عجل وتم إخراجها عند سولوفتسوف بصورة مفزعة، نعم كان من المستحيل أن يرضى عنها. وقد أخذت<sup>(٥٠)</sup> على عاتقها دور الفتاة الساذجة الأولى اليافعة. وعشيقها الأول روشين - اينساروف الذي أخذ يفصح عن حبه لها، ولم يستطع عناقها وسماها الرائعة. هالة حريق الغابة كانت بشكل قد أثارت تلك الضحكات الخبيثة وعند ذاك سحب الشقيق أنطون «عفريت الغابة» من برنامج المسرحيات واحتفظ بها لفترة طويلة في درج المكتب دون أن يسمح بعرضها في أي مكان. وفقط بعد عدة سنوات أعاد كتابتها بشكل لم يعد أحد يعرف الأصل إذ أسبغ عليها بناء آخر وعنواناً آخر. وظهر «الخال قانيا» وفي «عفريت الغابة» كان أنطون تشيخوف معجباً للغاية بالممثل زوبوف، وبالفعل كان هذا الممثل في مسرح أبراموفا رائعاً آنئذ.

انتابت أنطون تشيخوف في هذا الوقت نوبة سعال لاسيما في الليالي. وأعدّ هذا السعال بصورة غير ملحوظة وبإصرار، التربة لمرضه الجدي، إلا أنه لم يرغب في لفت الأنظار إليه والخضوع لعلاج جدي. وحدث أول نفث للدم في عام ١٨٨٤ في مبنى القضاء بموسكو عندما أعدّ لأجل «الجريدة البترسبورغية» مذكرات بصدد محاكمة ريكوف الشهيرة، وجوهر القضية هو التالي: كان ثمة تاجر اسمه ريكوف في المدينة الريفية الصغيرة ستوبين، محافظة ريزان، افتتح مصرفاً وبفضل إعلانه الكبير صار يسحب رؤوس الأموال من روسيا بأسرها. وأملاً بالحصول على نسب مئوية عالية على الأرصدة المودعة التي وعد بها ريكوف بدأ القساوسة والشماسون وصغار موظفي الريف يرسلون مدخراتهم. وصار المصرف يلعب بالملايين. وانتخبوا ريكوف إلى زعامة المدينة وأخذ يزين سكوبين وحولها من مدينة صغيرة فقيرة تافهة إلى مدينة مرموقة وجميعهم صدقوه. وسارت إدارة المصرف في ركابه وكل شيء سار على أحسن وجه مادام الأمراء الكبار والمحافظون لم يستنفدوا من صندوقه بالدين دون استعادة. في الحقيقة حاز ريكوف على الميداليات والجوائز إلا أن كل هذا لم يعوض احتياجات الصندوق. النتيجة - إفلاس المصرف ووقف ريكوف وإدارته ومحاسبه في قفص الاتهام. وتم تدبير التحقيق بحيث يظهر ريكوف هو المبتز الرئيسي لأموال الآخرين بحيث كان يأكل الأخضر واليابس ويحتسي الشمبانيا. وما إن حاول فتح فمه في المحكمة كي يشير إلى من أفلسه بالذات حتى أقدم النائب العام فوراً على حرمانه من الكلام وأخرجوه من قاعة المحكمة إلى غرفة التحقيق ووضعوا حارساً عليه. اضطر الشقيق أنطون في هذه المحاكمة إلى الجلوس فترة أسبوعين كاملين ليلاً ونهاراً، والكتابة في البيت للجرائد في الآن ذاته. وفي هذه الفترة بالذات أصابته نوبة نفث الدم. ولكن مرضه في معناه وخطورته الحالية صار يتوضح بالنسبة إلى العائلة بعد انقضاء عدة سنوات في ميلخوفو عندما تم الاضطرار إلى نقل الكاتب إلى موسكو تقريباً بالقوة. واجتاز مرحلة الإنفلونزا الثقيلة بصعوبة في عام ١٨٨٨ ولكنه لم يفسح المجال للأطباء في موسكو كي يسمعوا ويضعوا التشخيص الدقيق.



كان الشقيق أنطون يسعل سعالاً ثقیلاً لا سيما عندما كنا نقطن في كودرنيسكايا- سادوفايا. مكثنا هناك في دار ضيقة غريبة البناء من طابقين<sup>(٥١)</sup>. يقع في الطابق السفلي مكتب الشقيق أنطون وغرفة نومه وغرفتان ودرج فاخر ومطبخ وغرفتان لأجل الخدم. وفي الطابق العلوي غرفة الضيوف وغرف البنات والأم وغرفة الطعام وغرفة أخرى بمصباح كبير. تكمن مهمتي في إشعال النور في غرفة نوم أنطون (مصباح صغير) لأنه كثيراً ما كان يستيقظ ولم يكن يحب الظلمة. كان يفصل فيما بيننا حاجز صغير وكثيراً ما كنا نتحدث عبره ولفترات طويلة حول موضوعات مختلفة عندما كنا نستيقظ في الليالي دون أن نعود إلى الرقاد. وهنا سمعت سعاله.

في هذا الوقت لم يستطع أنطون بافلوفيتش البقاء وحيداً.

كان شمل الشباب دوماً يلتئم. في الطابق العلوي كانوا يعزفون على البيانو ويغنون ويجرون أحاديث مسلية مضحكة، وفي الطابق السفلي كان أنطون يجلس خلف مكتبه ويكتب. غير أن هذه الأصوات العلوية كانت لا تعمل إلا على تشجيعه. فهو لم يستطع العيش دونها: فهو كان دوماً يشارك مشاركة حيوية في المزاح المرح العام.

لأول مرة تزور هذه الدار ل.س.ميزانوف أو كما سماها الشقيق أنطون «الوجه الرائع». كانت فتاة رائعة حقاً بمظهرها الخارجي ومضمونها الداخلي. وكان الجميع يحدق بها. لم يكن في هذه الفتاة أي ظل للغرور. وفيما عدا الجمال وهبتها الطبيعة الذكاء والطبع المرح. هي حادة الذكاء وقادرة على درء الضربات، والتحدث إليها ممتع وبيعث على السرور. وكانت بالنسبة إلينا عائلة تشيخوف كلها من الأهل مع أنها، أثارت اهتمام الشقيق أنطون كامراً أيضاً. فهي كانت الضيف المرغوب به أكثر من غيره إذ كان حضورها يجلب السرور للجميع. وأما شقيقتي ماريا تشيخوفا فقد رأت فيها ما يلي: «صديقة أشقائي وصديقتي أنا» وأحبها والدنا مثل ابنته.

كيف جرى التعارف؟ كانت ماريا تشيخوفا في ذاك الوقت معلمة في مدرسة ثانوية وذات مرة وهي عائدة إلى الدار قالت لأشقائها:

انتظروا، أحضرت إلى البيت فتاة ظريفة.

وبالفعل، سرعان ما أحضرت لنا «الوجه الجميل» ابنة الثامنة عشرة، مرتبكة وخجولة وعلى ما يبدو شعرت بشيء ما من الارتياح عندما أحاط بها الجميع من كل الجوانب. ومرّ كل شيء على أحسن ما يرام وقد مزحنا وأعجب الجميع بها، وكان من الغرابة بمكان أنها هي، أيضاً، كانت معلمة في الثانوية إلا أنها قد استلمت وظيفتها للتو. بدا أن التلميذات لم يستطعن الإصغاء إليها. ونحن اعتقدنا أن تعارفنا سينتهي عند هذا الحد، لكنها زارتنا للمرة الثانية وكنا جميعنا وقتذاك في الطابق العلوي وعندما سمعنا جرس الباب جمدنا في فسحة الدرج وصرنا ننظر بعيون مفتوحة للغاية إلى أسفل. شعرت بالإحراج، وغطت وجهها بالمعطف الفرو المعلق على المشجب من الخجل.

كانت الصديق المفضل وتولع زملاء أنطون تشيخوف بها حتى أن الفنان ليفيتان صارحها بحبه وأما الكاتب ي.ن.بوتابينكو فقد أثارت اهتمامه بجد<sup>(\*)</sup>. سأتكلم عليها لاحقاً، أيضاً لأنها صار لها وجودها الحقيقي في عائلتنا. يمكن لداركورنييف في كودرنيسكايا سادوفايا أن تفخر بأنه يؤمها عدد كبير من المشاهير.

لقد تحدثت سابقاً عن زيارات غريغوروفيتش وتشايكوفسكي. وأذكر كيف أنعم علينا بزيارته الممثل الفائق الروعة في مسرح «المالي» بموسكو ألكسندر لينسكي. فهو لم يكن مجرد ضيف في دارنا بل أمتعنا بإلقاءه الموهوب إذ قبل عرض مسرحية شكسبير «ريتشارد الثالث» قرأ أمامنا دوره كما كان يعتزم إلقاءه على الخشبة وكان مدهشاً بالفعل. فهو يذكرني بالممثلة الشهيرة ماريا يرمولوفا<sup>(\*\*)</sup> التي كانت تهيمن وقتذاك على أفئدة جميع

---

(\*) ( (إيجناتي بوتابينكو ١٨٥٦ - ١٩٢٩، كاتب روسي له مجموعات قصصية طويلة وقصيرة ومسرحيات وروايات - المترجم).

(\*\*\*) ( (١٨٥٣ - ١٩٢٨ ممثلة روسية شهيرة في الفن المسرحي الوطني.. اشتهرت بعدد من الأدوار المميزة - المترجم).

الموسكوفيين. فهي من ممثلات الصف الأول أي إنّ جدول الريبرتوار المسرحي السنوي كان بلا معنى دونها. أنا سعيد أنني رأيت ماريا يرمولوفا في بداية نشاطها المسرحي في المسرح الشعبي في سوليانك في عام ١٨٧٦ عندما كانت لا تزال ممثلة شابة، وقبل رحيلها بفترة قصيرة التقيت بها في دارها في بولفار تفير. رميت نفسي على يدها وأرخت العجوز رأسها نحوي على الكتف ودمعت العينان.

كان من المستحيل تقليد ماريا يرمولوفا وألكسندر لينسكي وألكسندر يوجين - سومباتوف<sup>(\*)</sup>. في مسرحية فيكتور هيجو «أرناني». خلبت المسرحية حينذاك موسكو وتحذثوا عنها في كل مكان وناقشوا على كل المستويات. وبما أن المسرحية كانت تتضمن حسب رأي الرقابة شيئاً ما غير مقبول بالنسبة إلى المسارح الروسية فقد تم السماح بعرضها ولكن ليس تحت اسم «أرناني» كما كان ينبغي بل «هرناني» ودون الإشارة إلى أن المسرحية هي لفكتور هيجو بالذات: عسى ولعل الجمهور لن يخمن ولن يذهب إلى المسرح كي لا يفسد ذاته بالأراء الملائمة للنظام. بيد أن المسرح كان، على الدوام، مكتظاً بالمشاهدين وشكل الحصول على بطاقة دخول مأثرة كاملة.

زارنا في كودرينسكايا - سادوفايا الفنان فلاديمير دافيدوف أيضاً. إنه نجم مسرحي كورش وألكسندر. وهو إنسان خارق. ورغم بدانته فهو نشيط وخفيف الحركة. كان، مثلاً، يصور راقصة الباليه وكيف ترقص أكثر الرقصات معنى ومنهجاً، بل إنه لا يدور في خلدك أن الراقص أمامك ليس ابداً راقص باليه بل إنسان بدين. وفقط وقتذاك خطت ريشة ليف تلتسوي «سلطة الظلام» التي رأت النور. وقد مثل دافيدوف هذا العمل عندنا في غرفة الضيوف بكل الأصوات علماً أن شخصية أنيوتكا قد أبدعها بشكل لا نظير له. كان إنساناً متتوراً وعندما عمل عند كورش كان يؤدي الدور الرئيسي في «ايفانوف» التشيخوفية، وبفضله رأت «كالخاس» (أغنية التم)

---

(\*) (ألكسندر يوجين ١٨٥٧ - ١٩٢٧ ممثل وكاتب مسرحي وشخصية مسرحية روسية أبدع شخصيات رومانتيكية بطولية في مسرحيات شيلر وهيجو وغيرهما - المترجم).

النور وهي ايتيود لتشيخوف من فصل واحد. حضرت، حينذاك، العرض الأول. وكنت على إطلاع على هذا الايتيود بكل تفاصيله لأنني نسخته غير مرة. وما أكثر ما أدرج دافيدوف فيه من عندياته! وبما يخص ماثشالوف وشيبكين وممثلين آخرين كان من المستحيل معرفة الأصل. ولكن بشكل عام بدا العمل غير سيء بل بموهبة جليلة بحيث أن الشقيق أنطون لم يغضب ولم يعترض. وقد روى دافيدوف، بما هو عصي على التقليد، حالات وأحداث من الحياة التمثيلية الريفية علماً أنه هنا بالذات استرسل في تمثيل كل المشاهد بالوجوه وينبغي أن تتحلى بالبرود والفتور كي لا تشعر بعد قصصه بألم في غلاف الغشاء المخاطي من شدة الضحك.

زارنا للمرة الأولى هناك ناشر «الشظايا» ليكين(\*) . وهو قصير القامة، عريض المنكبين، أعرج وهو يمثل الإنسان الأصيل. كريم وفي الوقت ذاته كان يحب الحضور في ضيافة الآخرين أي ما يسمى بالاستقرار في المقعد وخلع السترة وقضاء ساعات وساعات وراء المائدة. كان يحب «التقطيع» وبعد العشاء حتى الشبع كان يرسل أحداً كي يجلب المرتديلا المدخنة والمنفرة ويلتزمها باستمتاع. كان ليكين عصامياً. فقد انتقل من وسط فلاحي ولاية ياروسلاف إلى بطرسبورغ كي يعمل بقالاً. غير أنه بفضل موهبته شق طريقه في الحياة وصار كاتباً يعيش في داره هي ملك له ونائب بلدية وواحداً من رؤساء جمعية القروض في المدينة وحسب كلامه كتب أكثر من /٢٠/ ألف قصة قصيرة ومشهد وحمل على الدوام لقب - أديب - باعتزاز وجدارة. وكانت داره في شارع دفوريانسك مفتوحة للجميع. كان يحب حباً جماً ضيافة الصديق كي يظهر له تعاطفه بينما كان دوماً يشير إلى أسعار ما يقدمه من ضيافة.

كلوا هذه الباليك (الجزء المملح من العمود الفقري للسماك الأحمر. سعره روبلان و ٧٥ كوبيكاً. اشربوا هذا النبيذ الأحمر القوي (المارسالا) إذ

---

(\*) (نيقولاي ألكسندر ليكين ١٨٤١ - ١٩٠٦ كاتب روسي هزلي. أصدر «الشظايا». له

روايات وقصص طويلة وقصيرة يصور فيها عادات فئة التجار - المترجم)

دفعت روبلين و ٨٠ كوبيكاً لقاء الزجاجاة. وهذه السمكات الصغيرة (من نوع الرنكة لم تكلفني ٤٥ كوبيكاً بل ٦٠/ كوبيكاً من الصفيح.

فهو بلا أطفال يعيش فقط مع قرينته براسكوفيا نيكيفوروفنا. اشترى لنفسه مزرعة الكونت ستروغانوف على النيقا وفيها قصر كامل. وعندما زاره الشقيق أنطون وليكين في مزرعته أخذ يجول بهما في الغرف ويريهما قصره فأصاب أنطون تشيخوف العجب وسأله:

لماذا هذا الهراء كله وأنت شخص وحيد.

أجاب ليكين:

في السابق كان المالكون - كونتات وأما الآن فأنا ليكين الجلف اللف.

التقيته آخر مرة في بطرسبورغ بعد رحيل الشقيق أنطون تشيخوف في حفلة الصحافة على شرف الصحافة الإفريقية التي تم ترتيبها في أثناء قدوم الأسطول الإفريقي إلى بطرسبورغ وعلى منته رئيس الجمهورية لوبيه. ضرب ليكين بقبضة يده على صدره وانهمرت الدموع من عينيه وقال:

أنا خلقت تشيخوف!

أقيمت الحفلة الرائعة هذه في مطعم «الدب» في بولشايا كانيوشينا. ودعي إليها أكثر من ألف شخص ومن ضمنهم ممثلو الصحافة الإفريقية القادمون مع رئيسهم لوبيه وهم يتبخترون ويتخطرون. وسبب الزيارة عقد تحالف إفريقي - روسي وإظهار علامات التعاطف. كان من بينهم رئيس تحرير «الفيغارو» غاستون كالميت. وفي صباح اليوم ذاته تم منح الجميع أوسمة روسية وضعوها على ألبستهم. كان ثمة حرج من رؤية إنسان في سترة رسمية وعليها وسام ستانيسلاف من الدرجة الثالثة ومثل هذا الوسام يخلج موظفونا الكبار الذين يحترمون أنفسهم من حملة. وعلى فكرة منح الإفريسيين مثل هذه الأوسمة ثار التساؤل: لماذا هذا التباخل؟ وهكذا، مثلاً غاستون كالميت نفسه نال فقط - أنا - على الكتف، وعلى ما يبدو كان راضياً كلياً.

تم تقديم حفلة موسيقية وعشاء للضيوف. وقد أراد منظمو حفل العشاء ذر الرماد في العيون وإظهار كرم الضيافة الروسي. كشييسينكايا رقصت، وفيالتسيفا غنت وهي تلمع بالألماس وهاج وماج الكورس العجري.كانت المائدة غنية بأنواع من الكافيار وسمك الحفش (الذي ييستخرج منه الكافيار) والباليك وشوربة الشوندر وغيرها. تم اختيار سوفورين رئيساً فتوجه إلى الضيوف بالتحية بالفرنسية ومن ثم كانت الأنخاب: نخب روسيا ونخب فرنسا ونخب أخوة القلم ونخب الدولة العظيمة السابعة (أي نخب الصحافة ) الخ. ونهض أحد ممثلي الصحافة الروسية وطرق بعصاه على المائدة وعندما خيم الهدوء، وعلى الأرجح في ذروة «العصر الجديد» رفع النخب التالي:

أرفع نخب ألكسي سوفورين ومدام آنجو .

فقال سوفورين الذي لم يدرك: نخب من؟

صحح الكاتب كلامه:نخب ألكسي سوفورين ومدام آدان!

بدأت الاوركسترا تعزف السلام الموسيقى دون أن يفهم ما الأمر. وقد شعر الروس بالحيرة والارتباك المضني بينما صار الإفرنسيون يصفقون بهيجان واحتدام دون أن يعرفوا كلمة واحدة بالروسية.ولم يتبدد التوتر الثقيل إلا بفضل العجر الذين بعد هذه الحادثة صاروا يزعقون ويصرخون ويدقون بالأرجل بحيث غطوا بضجيجهم على كل الأصوات الروسية والإفرنسية.

لا أذكر من هو بالذات الذي أحضر إلينا الكاتب<sup>(٥٢)</sup> ليسكوف<sup>(\*)</sup>

كان قد أصبح أشيب الشعر مع ظهور علامات الشيخوخة والكبر وتعبير حزين من خيبة الأمل على الوجه.

---

(\*) ( نيقولا ي سيميونوفيتش ليسكوف ١٨٣١ - ١٨٩٥ كاتب روسي نشر في ستينات -

بداية سبعينات القرن التاسع عشر قصصاً قصيرة من الحياة اليومية الشعبية والروايات وهو معلم كبير في اللغة وأسلوب كتابة الرسائل - المترجم).

جلب معه هدية إلى الشقيق أنطون كتابه «البرغوث الفولاذي» مع الإمضاء. غير أننا نعرف ليسكوف منذ زمن بعيد كاتباً من خلال روايته: «الكاتدرائيون» و«الملاك المنقوش» اللتين حازتا إعجابنا. ورأينا في «صغائر الحياة التراتبية الدينية» عملاً هزلياً. وأما «لا مكان» و«على السكاكين» فقد خيبنا الأمل إذ إن هاتين الروايتين سلّحتا القراء في حينه ضد المؤلف وأساءتا إلى سمعته والمسكين ليسكوف قد تم إدراجه عن قصد، في عداد الرجعيين الألداء. وهو على أبواب الشيخوخة اعترف بأخطائه وندم بصدق على ما كتبه.

وعندما زار الشقيق أنطون امتلأت العينان بالدموع وقال بتأثر:

أنت كاتب شاب بينما أنا مسن. أكتب عملاً واحداً ظريفاً وشريفاً وطيباً كي لا تضطرّ في سن الشيخوخة إلى إبداء الندم مثلي.

في هذا الوقت صار يدعو إلى عدم مجابهة الشر وكان نباتياً. وترك ليسكوف لدينا انطباعاً مؤثراً بتعامله الودود والرقيق.

كانت هيئة تحرير مجلة «الفنان» تقع تماماً مقابل دارنا في كودرينسكايا - سادوفايا. وصاحبها ف.آ.كومانين. طويل القامة، ضخم ينفت في أثناء الحديث لدرجة أن الشقيق أنطون سماه «النفاث». كانت مجلة «الفنان» تنشر مسرحيات الشقيق مثل «الدب» و«الخطبة» وغيرهما كما نشرت أنا مسرحيتين فكاهيتين ناقدتين<sup>(٥٣)</sup>. وفي ذلك الوقت كانت «الفنان» مجلة جيدة وشيقة وشاركت فيها خيرة العقول. وعلى فكرة، أول عمل مسرحي بعنوان «لوحة صيفية» لتاتيانا لقوقتا شيبكينا كوبرنيك قد نشرته هذه المجلة<sup>(\*)</sup> لا أعلم بدقة ما إذا حصل سابقاً تعارف بينها وبين أشقائي إلا أنني شخصياً تعرفت بها وقتذاك وأحضرها إلينا ف.آ.كومانين. كانت فتاة صغيرة وحيوية وظريفة

---

(\*) (تاتيانا لقوقتا ١٨٧٤ - ١٩٥٢ كاتبة روسية سوفيتية و مترجمة لها مسرحيات وقصص

طويلة وقصيرة وأشعار. ترجمت إيه.روستان ووليم شكسبير وموليير ووضعت كتاب

الذكريات ((المسرح في حياتي)) في عام ١٩٤٨ - المترجم)

ونذكية. في ذاك الوقت عجلت في تعلم اللغات بل حتى حصلت من ليكاميزينوفا على لقب (النحو الإنكليزي) لأنني كنت دوماً أظهر وسط الضيوف والكتاب المدرسي في يدي. وسرعان ما أذهلني في تاتيانالقوقنا هذه المعرفة الجدية للغات، صارت تزورنا كما حضرت إلى دارنا في ميلخوفو وكانت تتحرش بوالدتي على سبيل المزاح بينما أخذت والدتي الأمر على محمل الجد:

ماما! زوجيني ابنك ميخائيل!

كانت الماما تكتيكية ولم تتدخل في قدري ولم تعرف بماذا تجيب.

وفي أثناء غيابي ذات مرة بعثت لي تاتيانالقوقنا هذه القصيدة الرباعية:

متى سيهدأ ألم القلوب،

أنت، في النهاية، ستطير إلينا،

يا ميشا وإلى كل ميشا

فإنه أفضل ميشا من كل الميشات؟

وبقدر ما كانت تنشر في الصحافة كانت موهبتها تتطور وتتنامي حتى صارت، في الختام، مترجمة موليير وروستان بل أكثر من هذا، برزت ككاتبة في النثر الأصيل، ويمكنني القول بثقة إنني في جولاتي في جميع أنحاء روسيا والتعرف إلى كل زواياها كنت ألتقي الشباب المعجب بأعمالها الذي كان يحفظ شعرها عن ظهر قلب. وأذكر تلك الحماسة التي غمرت الجمهور عندما استقبل ترجمتها لمسرحية «الأميرة غريس» التي تم إخراجها وعرضها في العواصم وعلى خشبات أفضل المسارح الريفية. وقد أقيمت في العروض مونولوجات كاملة كما تم تأليف رومانسات من كلماتها. وتعود إلى ريشتها أيضاً عدة مسرحيات أصيلة حققت نجاحاً كبيراً على خشبات مسارح العواصم (وأنا متأكد أنها حققت النجاح ذاته في الأقاليم والمناطق). وفي كل مرة كان الجمهور يصفق ويدعوها للظهور.



فيما بعد اقترنت بالمحامي المعروف ن.ب.بولينوف وكنت أشعر بالفرح والسعادة عندما أزورهما في دارهما العامرة. وهناك تعرفت بكتاب كثيرين وعلماء وأشخاص على صلة بالفن من الذين تزين أسماؤهم المعاجم الموسوعية.

في إحدى زياراتها إلى ميلخوفو عمّدت تاتيانا الفوفنا ابنة جيراننا عائلة شاخوف سوية مع أنطون تشيخوف، ومنذ ذاك الحين حمل شقيقي أنطون لقب (اشبينها)<sup>(٥٤)</sup>.

وعن طريق تاتيانا الفوفنا تعرفت على الفنانة ل.ب.يافورسكايا. لم أكن إطلاقاً من المعجبين بموهبتها وعلى الخصوص لم يعجبني صوتها الأبح والمرتع وأنا متأكد أن حلقها كان يؤلمها دوماً إلا أنها كانت امرأة ذكية تقدمية أخرجت مسرحيات على شرف أحد المشتركين وكما كانوا يعبرون حينذاك (بروح عزيزة) وكان الشباب يحبها، وذوقها الأدبي واضح. في كل الأحوال حظيت بنجاح كبير عند كورش في موسكو وعند سوفورين في بطرسبورغ حيث حملها الجمهور من شدة الإعجاب. وعلى فكرة وبفضلها ولكن ليس دون أي ذنب من جهتها أغفلت في الحياة حادثة لم تتكرر لاحقاً أبداً.

ثمة فترة في حياة أنطون تشيخوف عندما قرّبه العمل في «الفكر الروسي» من عضوي هيئة التحرير م.آسابلين وف.آغولتسيف (فيكتور ألكسندر غولتسيف ١٨٥٠ - ١٩٠٦ كاتب اجتماعي روسي وشخصية اجتماعية ومشارك في حركة مجالس البلديات. وهو من العاملين الرئيسيين في جريدة «الجدول الروسية» ومجلة «بشير أوروبا»، وانضم إليهم ابنتاتي بوتا بينكو وفي رابطة (ليكا الرائعة) وشقيقتي وتاتيانا كوبيريك وغيرهم حيث نظموا عدة أمسيات عند تيستوف وفي (الأرميتاج). شاركت مرتين في هذه الأمسيات وكانت ساعات لطيفة وعزيزة ويستحيل نسيانها.

كان تشيخوف وبوتا بينكو قادرين على الفكاهة والنكتة بما يفوق العادة، وأما فيكتور غولتسيف فكان ما إن يمثل قليلاً حتى يرفع الأنخاب ويلقى الخطابات وفي كل مرة يبدأ بالعبارة النمطية التالية:

اسمحوا لي هذا الليبرالي الروسي الأصلع.... الخ

هذه الرفقة كانت دوماً تميل نحو تشيخوف وتذهب إلى حيث كان يقترح. وقتذاك تم تعيين الأدميرال أفيلان وزيراً للبحرية وهؤلاء الندماء المسامرون كانوا يلقبون تشيخوف باسم أفيلان وكانوا هم أسطوله.

في أوقات الفراغ كان (الأسطول) يجتمع في (اللوثر) عند ل.ب. يافورسكايا أو في (مريد) عند تاتيانا لقوفا شيبكينا - كوبرنيك بحيث تكررت العبارة التي نطقها في حينه لويس الرابع عشر:

لا وجود لليبرينه بعد الآن.

كنت موجوداً في اقليم قصي بعيداً عن أية خطوط حديدية عندما تلقيت، ذات مرة رسالة من الشقيق أنطون في شهر كانون الثاني، وأعلمني أنه في (يوم عيد تاتيانا) في ١٢ كانون الثاني وبمناسبة عيد الجامعة يعتزم أكثرية الأساتذة الجامعيين المشهورين والفنانين وممثلي الصحافة الالتقاء في مكان ما في إحدى الشقق وإلقاء الكلمات دون عوائق، والاحتفال بشكل عام بهذا اليوم، كما نشتهي.

ونصحني الشقيق أنطون بعدم تفويت هذه الفرصة النادرة واستثمارها لأنها لا تحصل في كل مرة والقدوم إلى موسكو والمشاركة في هذه الأمسية. وبالطبع سررت بهذا العرض بل انتظرت به فارغ الصبر. ولكن هذه الرسالة استلمتها فقط في ١١ كانون الثاني وكان من الصعب، ولبعد المسافة، أن ألحق لحضور السهرة من بدايتها. بيد أنني لم أشعر بالكآبة، تهيأت وانطلقت ورغم الصقيع القاسي اجتزت أكثر من مائة كيلومتر في الزحافة إلى أقرب محطة خط حديدي ومن ثم سافرت في القاطرة ووصلت إلى موسكو في ١٢ كانون الثاني مساءً في ذروة الحفلة. حدث هذا في شقة الأستاذ المربي د.ي. تيخومиров في شارع تغير في بناية بوروخوفشيكوف وعندما دخلت كانت الضجة والفرح والمرح، والنور الساطع يملأ المكان. ووراء المائدة الضخمة العامرة تتحلق خيرة الانتيليجينسيا الموسكوفية وقتذاك. ألقى البروفسور ك. كلمة وما لحق بالجلوس إلى المائدة حتى هرول نحوي

م.م.سابلين وفيكتر غولتسيف وأخذا يسألاني بأن أسافر إلى (اللوثر) وأحضر بأقصى سرعة تاتيانا كوبيرنيك ويافورسكايا. جميع الحضور ساندوهما في اقتراحهما.

سأل سابلين: يا لطيفتك، أسرع بقدر ما تستطيع! قل لهما إننا جميعنا بانتظارهما!.

ليس من اللائق رفض الطلب وأنا دون رغبة نهضت عن المائدة وغادرت إلى (اللوثر) وأنا منهمك من تعب الطريق.

قالوا إن تاتيانا لقوقنا الآن في مسرح كورش. وأنا في العربة ذاتها اتجهت إلى مسرح كورش. وجدت تاتيانا لقوقنا في الطابق العلوي ونقلت لها الدعوة إلى السهرة. توجهت هي بدورها، على الفور، إلى الخشبة نحو يافورسكايا التي كانت تؤدي حينها دوراً في (غادة الكاميليا) وأنا بقيت في (المقصورة) وحيداً. ومن ثم عادت وذكرت أن يافورسكايا ترجو الانتظار لأن المسرحية، بمناسبة (يوم تاتيانا) ينبغي أن تنتهي باكراً جداً ولم يبق لها بعد (سوى الموت) بعدها هي جاهزة. جلست في (اللوج) والقلب حزين: فصلين كاملين عوضاً عن أن أكون في السهرة وأستمع إلى الأساتذة الليبراليين. وعندما (ماتت) يافورسكايا أخيراً تبين أنها كانت ترتجف بعصبية بسبب أدائها بحيث كان عليها أن تركز إلى الهدوء وتعود إلى طبيعتها. أصبح المسرح خالياً وأطفأوا الأنوار وأنا لا أزال في (المقصورة). وأخيراً استعادت يافورسكايا هدوءها وذهبنا ثلاثتنا إلى الهواء الطلق و ذكرت هي أنه ينبغي عليها أن تذهب إلى (اللوثر) ثانية كي تمسح الماكياج وتبدل ملابسها.

توجهنا إلى (اللوثر) وكانت عقارب الساعة تدق الثانية عشرة ليلاً.

وعندما وصلنا، أخيراً، إلى دار بوروخوفشيكوف - منزل تيخومиров كانت السهرة شارفت على الانتهاء وتفرق الجمهور وكان الخدم يجمعون بقايا المائدة.

بهذه الصورة انتهت السهرة الموعودة في ١٢ كانون الثاني لعام ١٨٩٤.

وفي الصباح التالي قابلت الشقيق أنطون عنده في عرض  
(بولشايا موسكوفسكايا). نظر إلي متأسفاً وهز راسه وقال:

آه! أنت!...

ولا شيء غير ذلك.

وبالفعل: آه مني أنا!

في ذلك الوقت كان عندنا واحد آخر من المعارف. إنه ذاك الإنسان  
الذي لا نظير له البروفسور في الاقتصاد السياسي آ.ي. تشوبروف(\*) وكان  
الشباب يحبه حباً جماً وتولعت به مستمعات الصفوف النسائية العليا -  
ومن ضمنهم شقيقتي ماريا بافلوفنا. كان إنساناً فذاً ومستقيماً ويتميز  
بمستوى علمي رفيع وعميق وموهبة خطابية هائلة. عندما زرتة لفت نظري  
الوضع المنزلي المتواضع بل حتى التعيس الذي كان يعيش فيه. وعلى فكرة،  
لأنه بروفسور كان يكسب كسباً لا بأس به، يقولون عنه أنه كان يقوم بأعمال  
البر والإحسان.

السمة المميزة التي يتسم بها هي أنه لم يرفض مد يد العون إلى أي  
شخص. وهكذا عندما مرض أحد الرفاق بمرض السل الرئوي ورفض  
المستشفى إبقائه ودعت والده من الجنوب النائي كي يأخذه مثل مريض  
لأرجاء منه ويوصله إلى الدار لم يكن لدى هذا الوالد أي كوبيك على الإطلاق  
ليس فقط لأجل نقل هذا الابن المحتضر بل لأجل الطعام في مطعم رخيص  
لللغاية. وعلى فكرة كان ثمن بطاقتين في قطار من الدرجة الثالثة قرابة ٤٠ /  
كوبيكا، وكيف يحصل على النقود؟

حزمت أمري وتجرات بالذهاب إلى ألكسندر تشوبروف وقلت: ألكسندر  
إيفانوفيتش العزيز، ساعدنا أيها البروفسور!.

---

(\*) (ألكسندر تشوبروف ١٨٤٢ - ١٩٠٨، اقتصادي إحصائي روسي وكاتب اجتماعي  
وشخصية اجتماعية برجوازية ليبرالية - المترجم).

سوى النظارتين على العينين ودفع جسده في الكرسي ذي المسندين إلى الوراء وأخذ نفساً عميقاً ثم أجاب:

ماذا أستطيع أن أفعل لأجلكم أيها العزيز؟ عندي الآن نقود ولكن الكمية أحجل الإفصاح عنها. تعالوا لنشحن الذهن! فكر ملياً ثم واصل الكلام: لنجازف؟ سأكتب الآن رسالة إلى المليونير آساف بارانوف وأنتم احملوها له في بولفار نوفينسكي ودون أن تقولوا شيئاً ضعوها له في الباب. ولا شيء أكثر.

توجهت إلى بولفار نوفينسكي ودستت الرسالة من خلال الباب إلى بارانوف ثم عدت إلى البيت بلا أمل. وفي السماء تلقيت من بارانوف ظرفاً فيه الملحوظة التالية: (إلى كوة صندوق محطة كورسك في موسكو). امنحوا للسيد تشيخوف لأجل المريضين (كوبيه) بطاقة من الدرجة الأولى موسكو - تاغانروغ).

كان شقيق الكاتب المسرحي الشهير ألكسندر أستروفسكي بيوتر نيقولايفيتش يقطن في (نوفينسكي بولفار). عندما كتب تشيخوف مسرحيته «السهب» أعلمه ألكسي بليشيف من بطرسبورغ أن لديه في موسكو صديق هو بالذات بيوتر أستروفسكي الذي يتمتع بموهبة نقدية رائعة إلا أنه جبان لدرجة أنه يخشى ولوج عالم الصحافة. وكتب ألكسي بليشيف أن هذا الشخص طيب ومتعلم مثقف إلى حد الإدهاش. وبالفعل سرعان ما حضر إلينا رجل مسنٌ أشقر اللون مرسل من قبل بيوتر أستروفسكي. أجلسه أنطون تشيخوف وعلى الفور بدأ حديث شيق للغاية بينهما حول الأدب. وأنا جلست أصغي إليهما. وعندما ذهب بيوتر أستروفسكي تاركاً خلفه دخان السيجار السيء، قال لي الشقيق أنطون:

ناقد رائع! ما أكثر الحضارات ومؤلفات الفن العظيمة التي اندثرت لا لسبب سوى أنه لم يكن هناك نقاد جيدون في حينه.

بعد فترة من الوقت أنهى أنطون تشيخوف "السهب" دعاني إليه وقدمها لي قائلاً:

يا ميشا! خذها إلى أستروفسكي ودعه يقرأها!

أخذت المخطوطة إلى بيروترأستروفسكي في نوفينسكي بولفار وغمرتني الفرحة بالتعرف إليه على أخت وأم كاتبنا المسرحي العظيم. استقبلوني بكل عذوبة ودلال وأفنعتني بيوترأستروفسكي أن أتعلم اللغات، وأخته ناديما أستروفسكايا سألتني عن المجالات الطفلية التي أتعاون معها. وقد تبين أنها هي أيضاً كانت في بداية الطريق في كتابة قصص الأطفال.

يبدو أنه في اليوم الثالث بعد إرسال تشيخوف مخطوطة «السهب» المكتملة إلى أستروفسكي، أحضر هو نفسه إلى تشيخوف «السهب» ومعها رسالة سمكة. لم يدخل الدار بل قرع الجرس وسلمها من خلال الباب، إذ ربما يستحي من شدة التواضع. وقدم الظرف نقداً مسهباً «السهب» بحيث شعر المؤلف بالإعجاب بالروح الجدية العملية فيه.

في حديثي عن عائلة أستروفسكي لا أود إغفال الشقيق ميخائيل أستروفسكي وزير أملاك الدولة وهو جاف وأناني للغاية وموظف كبير يعمل في بطرسبورغ. وقد أحب أنطون تشيخوف التحدث عنه وهي القصة التالية:

كان يحدث أن يقضي الكاتب المسرحي ألكسندر أستروفسكي بعد عرض مسرحية من مسرحياته في المسرح الاسكندري الوقت في الشرب والمرح مع الممثلين طوال الليل، وعندما يحل الصباح يعود إلى الدار ثم يتذكر فجأة أن لديه أخاً في بطرسبورغ يشغل منصب وزير وينبغي بسبب صلة الرحم هذه زيارته فيأمر الحوذي بالذهاب مباشرة إلى الوزارة. والوزير ميخائيل أستروفسكي وراء مكتبه في الوزارة ويدخل الكاتب المسرحي الذي نادم طوال الليل. ودون أن يزيح عينه عن الأوراق يشير الوزير له إلى الكرسي ذي المسند ويواصل التوقيع.

يبدأ الكاتب المسرحي كلامه: نعم يا شقيقي ميشا، نتادمنّا بشكل لا يصدق! وضع غوربونوف مونولوجاً بحيث يأكل الأصابع وقد روى أشياء أضحكتنا لدرجة أن بطوننا تؤلمنا من شدة الضحك. ثم ذهبنا إلى عند الغجر... وبعد هذا توجهت المجموعة كلها إلى القرية الجديدة. ولكي لا نشعر بالغثيان شربنا في أحد الدكاكين قليلاً من حساء الخيار المخمل...

يلقي الوزير بنفسه بحدة على ظهر مسند الكرسي ويرمي بالريشة ويقاطع الشقيق بجفاء.

لا أرى شيئاً ظريفاً في كل هذا يا ألكسندر!

ينهض الكاتب المسرحي ويجيب بعتاب:

وماذا برأيك هل هذه الأوراق أفضل؟

ويفترق الأخوان.

لن أنسى التالي من اللقاءات في دار كورنييف: ذات مرة كانت أسرتنا كلها تجلس فوق (بعد انتهاء الغداء) عندما سمعنا فجأة جرس الباب في الأسفل. كانت الأخت تنتظر أحداً ما فخرجت من تحت الطاولة ونزلت إلى تحت. أنا سبقتها وبما أن القادم لم يفتح له أحد الباب فأنا فتحت بنفسني الباب الكبير واستقبلت الضيف. إنه شخص غير طويل القامة بلحية عريضة وكثيفة. قال: أنا كورولينكو(\*)...

يا إلهي! كورولينكو! يا لها من مفاجأة!

نحن نعرف أعماله منذ فترة طويلة واستمتعنا، بها وأما (حلم ماكار) فكنت أنا أعرفها عن ظهر قلب.

---

(\*) (فلاديمير كورولينكو ١٨٥٣ - ١٩٢١ كاتب روسي. تم اعتقاله في عام ١٨٧٩ بتهمة الاتصال بشخصيات ثورية. ونفي إلى ياقوتيا أعوام ١٨٨١ - ١٨٨٤. من قصصه ((حلم ماكار)) عام ١٨٨٣ و((الموسيقى الأعمى)) عام ١٨٨٦ و((بلا لسان)) عام ١٨٩٥ وغيرها من القصص المشبعة بالأفكار الديمقراطية - المترجم).

في هذه الأثناء بدأ شقيقي أنطون يهبط على الدرج.

جرى التعارف ودخلنا ثلاثتنا إلى المكتب.

يتألف أحياناً أشخاص غرباء عن بعضهم بعضاً وحتى من أول كلمة. وهذا ما حدث في هذه المرة إذ سحرنا كورولينكو ببساطته وصدقه وتواضعه وذهنه. وتحدثنا ببساطة وصراحة وأنا أصغيت بنهم كيف كان يروي لنا عن النفي إلى سيبيريا حيث لم يكن مكار وحده الذي لم يلاحق عجوله بل حتى إن الغراب لم يشرع في الطيران. وبعد سنين طويلة من النفي حصل أخيراً، على حق العودة إلى روسيا وما إن وصل إلى تيومين حتى جلس في قطار الخط الحديدي فكانت سعادته بالقاطرة لا توصف بحيث صار ينحب بصوت عال بحضور الجميع.

وتابع الحديث:

أجلس وأبكي ويظن الركاب أن ما أقوم به هو بسبب الحزن بينما أنا على العكس، أبكي من السعادة.

جلس عندنا حتى المساء. دعاه أنطون تشيخوف إلى الأعلى وهناك نحن أيضاً تابعنا الإصغاء.

كان يسافر لزيارة الشقيق أنطون في يالطا أيضاً بعد فصل مكسيم غوركي من عداد الأكاديميين، وناقش الاثنان مسألة كيف يمكن تدبير الأمور كعلامة احتجاج وذلك في الانسحاب من الأكاديمية نفسها. يبدو أنهما التقيا لاحقاً في نيجني نوفوغورود وبطرسبورغ. وأنا أتأسف لأن القدر لم يمنحني فرصة الالتقاء بهذا الإنسان الرائع.

بيد أن الذكريات عن التعارف الأول لن تمحى من ذاكرتي أبداً.





الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

كيف تمت سفرة أنطون تشيخوف إلى ساخالين - العودة - في تولا  
- في المحطة - الراهب البوريّاتي والمنغوسي - تشيخوف في أوروبا -  
في البيت الريفي بالقرب من أليكسين - الحياة في بوغيموف - العمل على  
كتابة «المبارزة» - نقاشات أنطون تشيخوف مع فاغنر حول موضوع الاحتياط.

قرر أنطون تشيخوف في نيسان عام ١٨٩٠ السفر إلى جزيرة ساخالين.  
تم التفكير بهذه السفرة بمحض المصادفة. وقد اعتزم الذهاب إلى الشرق  
الأقصى فجأة وبصورة غير متوقعة بحيث أنه في البداية كان من الصعب  
استيعاب ما إذا كان يتحدث عن هذا الأمر جدياً أو على سبيل المزاح.

في عام ١٨٨٩ أنهيت سنوات الدراسة في الجامعة وبدأت الاستعداد  
للامتحان الحكومي الذي افتتح في خريف هذا العام لذا اضطررت إلى استعادة  
المحاضرات حول القانون الجنائي وعلم السجون. وقد استرعت هذه المواد  
اهتمام شقيقي فقرأها كلها. بدأت خطوات التحضير للسفر. ولم يكن راغباً  
بالسفر إلى ساخالين دون اطلاع مسبق فشرع يجمع المواد، وساعدته أخته مع  
صديقاتها في تحضير الاستكتاب في مكتبة روميانتسيف. وقد حصل من  
هناك على مجلدات نادرة عن ساخالين. كانت الاستعدادات على قدم وساق إلا  
أن ما أثار قلقه هو أنهم، بصفته كاتباً، لن يسمحوا له بمشاهدة الأشغال الشاقة  
أو أنهم لن يرضوا له أن يشاهد كل شيء بل فقط ما هو جائز أن يراه.

توجه أنطون تشيخوف إلى بطرسبورغ في كانون الثاني ١٨٩٠ كي ينتزع إذنًا عاماً بزيارة كل مكان. وأثار قلقه من جهة أخرى أنه يمكنهم إضفاء طابع رسمي على سفرته. وإن التوجه إلى رئيس إدارة السجون حينذاك ن.م.غالكين فراسكي<sup>(٥٥)</sup> لم يعط أية ثمرة وسافر أخيراً إلى الشرق الأقصى دون أية توصية بل باستمارة مراسل في الجيب.

قضينا شهر نيسان في ياروسلافل. والتقت العائلة كلها مع المعارف في المحطة علماً أن كوفشينيوف علّق على كتفه زجاجة كونيّاك في غطاء خاص وبأمر صارم هو أن يقرعها على شارع المحيط العظيم (نفذ تشيخوف الأمر بدقة).

كان الوقت ربيعاً في نهايته. وكان على تشيخوف الوصول إلى قازان عبر نهر الفولغا ومن ثم نهر كاما بعدها إلى بيرم ومن هناك بالخط الحديدي حتى تيومين، ثم مواصلة الطريق عبر سيبيريا كلها في عربة بأربع عجلات أو عبر الأنهار. لم يكن الخط الحديدي السيبيري العظيم مشيداً آنذاك ووصل الشقيق أنطون إلى ساخالين في ١١ تموز بعد صعوبات وحرمانات لا تصدق وعاش فيها أكثر من ثلاثة أشهر حيث عبرها من الشمال إلى الجنوب<sup>(٥٦)</sup> وكان أول شخص غير رسمي يجري إحصاء شاملاً للسكان ويتحدث مع كل واحد من العشرة آلاف محكوم بالأشغال الشاقة ودرس طبيعة الأشغال الشاقة، بكل دقائقها وتفاصيلها. كما اجتاز أكثر من أربعة آلاف كيلومتراً على العجلات خلال شهرين كاملين وفي ظل أقسى الظروف.

مع أن قرار الشقيق أنطون كان غير متوقع ومفاجئاً للغاية بالسفر إلى ساخالين إلا أنه كان ثابتاً وحازماً وقائماً على قناعة عميقة بأنه عليه الوصول إلى هناك مهما كانت المعوقات. وكان واثقاً بأن هذه السفرة ستمنحه زاداً ثميناً في العلوم والأدب إلا أنه أخذ بالحسبان أن ثمة يومان - ثلاثة من مجموع السفرة سيتذكرها طول الحياة بفرح أو ترح. ولكن، على ما يبدو أن أدرك، وكما كتب إلى الكسي سوفورين أن (ساخالين هي مكان الآلام التي لا تطاق والذي يمكن أن يتحمّله فقط الحر والمجبر...

آسف لأتني لست عاطفياً وإلا لقلت إننا ينبغي الذهاب إلى مثل هذه  
الأمكنة مثل ساخالين لأجل السجود والعبادة مثلما يسافر الترك إلى مكة...  
ويتبين من الكتب التي قرأتها وأقروها أننا أهلكنا في السجون ملايين الناس،  
أهلكناهم سدىً ودون محاكمة للأمور وبصورة همجية. لقد سقنا البشر في  
البرد والأصفاد عشرات الآلاف من الفراسخ. نقلنا إليهم مرض السيفلس  
وأفسدناهم وفسخناهم وجعلنا المجرمين يتكاثرون وألقوا المسؤولية على  
حراس السجون. والآن تعرف أوروبا المثقفة كلها أن المذنبين ليسوا الحراس  
بل نحن جميعنا... (٩ آذار عام ١٨٩٠).

عندما توجه أنطون تشيخوف نحو هذا الطريق النائي البعيد لم يكن لا  
هو ولا نحن عمليين. مثلاً، اشتريت له لأجل الطريق حقيبة سفر ضخمة  
وممتازة بينما كان ينبغي حمل شنطة ليّنة ومسطحة كي يصبح بالإمكان التمدد  
عليها في عربة الدواليب الأربعة. وكان ينبغي حمل كمية من الشاي والسكر  
والمعلبات إذ كان يستحيل اقتناء كل هذا في سيبيريا وكان يجب حمل جزمات  
طويلة من اللباد إضافية أو جزمات جلدية خاصة. غير أننا لم نفعل كل هذا.  
ناهيك أن رحالتنا كان بانتظاره البرد القارس ليلاً ونهاراً والأنهار الفائضة  
عن الحدود المعقولة والجهاد جهاد المستميت ضد العقبات وانعدام الطعام في  
الطريق عدا (حساء فرخ البط) ومن ثم الطين العميق والغبار والدخان الخانق  
من حرائق الغابات الهائلة. المرض الرئوي لم يستفحل عند الشقيق أنطون  
بعد. وواصل طريقه بحيوية ونشاط لأنه اعتاد على نمط الحياة البسيط  
والرضا بكل شيء مهما كان ضئيلاً دون التذمر من أي شيء.

في أثناء غيابه رماني القدر في مدينة ألكسين في محافظة تولا والواقعة  
على الشاطئ الأعلى من أوكا. كانت حينذاك مدينة صغيرة تعيسة بسكانها  
السبعمئة إلا أنها تتميز بمناخ رائع وضواحيها فتانة ساحرة. والمنظر من ذاك  
المكان الذي تقع فيه الكاتدرائية إلى أسفل أي حيث يجري نهر أوكا والجسر  
الممتد عبره الخاص بالخط الحديدي والقرية الواقعة على الضفة والشيء  
الرئيسي هو الطريق الطويل الذي تنبت فيه شجيرات البتولا ومشاهدة مرور

القطار. هذا المنظر غير قابل للوصف لروعته. وعلى الطرف الآخر من المحطة شخص يدعى كوفريكين بنى ثلاثة بيوت صيفية ريفية. ومن خلال أحد هذه البيوت ينكشف جسر الخط الحديدي وضفة أوكا في المقابل. ووقتذاك لم أكن أتصور أن هذا البيت الصيفي سيلعب دوراً في حياتنا.

عاد أنطون تشيخوف إلى موسكو في السابع من كانون الأول في الخامسة مساءً بالقطار السريع حيث بعث ببرقية من أوديسا كي أستقبله في موسكو سوياً مع الأهل. وقد انتظرناه حتى العاشرة لكنه وصل قبل الوقت الذي حدده بثلاثة أيام واضطررنا إلى الاستعجال سوياً مع الوالدة التي كانت تضيف عندي في ألكسين قررنا الذهاب إلى تولا كي نستقبله لأن وصولنا إلى موسكو قبله، لم يكن باستطاعتنا في جميع الأحوال، اللحاق لاستقباله. وعندما اقتربنا من تولا كان القطار السريع الذي يسافر فيه أنطون قد وصل قادماً من الجنوب. وتناول الشقيق طعام الغداء في المحطة برفقة ضابط الصف البحري غلينكا العائد من الشرق الأدنى إلى بطرسبورغ، وشخص غريب المظهر بوجه عريض مسطح وعينين ضيقتين منحرفتين هو قسيس جزيرة ساخالين الذي وصل سوياً مع تشيخوف وغلينكا إلى روسيا في لباس مدني ذي حياكة ساخالينية سخيفة. وجلب أنطون معه من الهند حيواناً أهلكاً اسمه المانغوس<sup>(٥٧)</sup> والأصل<sup>(٥٨)</sup>. في أثناء الغداء صار المانغوس ينظر إلى الصحون واقفاً على قائمته. وهذا القسيس الساخاليني بوجهه المسطح مثل لوح الكتابة والأجرد نهائياً ومعه هذا المانغوس قد بدا عجيباً غريباً فاحتشد جمع كبير بأفواه فاغرة ودوت التساؤلات:

هل هذا هندي أحمر؟ هل هذه قروود؟

بعد اللقاء المؤثر مع الكاتب جلسنا أنا والوالدة معه في قاطرة واحدة وانطلقنا جميعاً إلى موسكو. وقد تبين أن الشقيق أنطون، جلب معه بالإضافة إلى المانغوس في القفص مانغوسة أنثى. إنها كائن متوحش وشرير للغاية وسرعان ما تحولت إلى قطة نخلية لأن الهندوسي الذي باعها في سيلان خدعه وباعه إياها على أنها ذكر.

وصلنا إلى موسكو قبل الغروب ولم يلحق قطارنا الاقتراب من المحطة حتى اندفعت إلى القاطرة سيدة تصرخ: (أين ابني؟ أين ابني؟) وارتمت حتى تحضن غلينكا. إنها والدته الكونتيسة إيكسكول القادمة من بطرسبورغ كي تلتقيه.

ركبنا من المحطة إلى الدار في مالايا ديميتروفكا في دار فيرغان: الشقيق أنطون مع الأم في المقدمة، وأنا مع (الهندي الأحمر) وراءهما. مكث البورياتي المبجل عندنا. ولحظة الوصول فكوا الحبل عن المانغوس كي يرتاح من الطريق وفتحوا القفص للقطعة النخلية وقد اندفعت من داخل القفص وأخفت نفسها تحت خزانة الكتب ونادراً ما كانت تخرج من مخبئها إلا ليلاً كي تأكل. ومنذ الدقائق الأولى شعر المانغوس في موسكو كما لو كان في داره. وقد رأى نفسه على الفور أنه السيد ولم تكن هناك أدنى إمكانية لسحب حب الفضول منه. كان ينهض على قائمته الخلفتين ويدس وجهه الحاد في كل مكان بحزم في كل نقرة وكل ثقب. فكل شيء كان يثير اهتمامه إذ كان يكشط الطين عن القوالب الخشبية ويقفز على الركبة ويدس الأنف في أكواب الشاي ويقلب صفحات الكتب ويسلح في المحبرة. وارتفع مرتين أو ثلاث على قائمته الخلفتين كي ينظر في المصباح المشتعل في الأعلى. وعندما كان يمكث وحيداً في الغرفة كان يشعر بالملل وعندما يعودون إليه يفرح فرحاً صادقاً مثل الكلب. ولكن التعايش معه مع الأسف في شقة ضيقة ناهيك عن الشتاء، وخاصة مع القطعة النخلية التي كان يهجم عليها بقسوة، قد خلق وضعاً غير مريح إطلاقاً. ففي رحلاته وراء الذباب والعنكبوت، وبشكل عام انطلاقاً من حب الفضول المنقطع النظير، خرب أشياء كثيرة ومزق الألبسة وورق الجدران والأحذية بأنواعها، وبشكل عام وضع أنطون تشيخوف في وضع حرج أحياناً أمام معارفه الذين يزورونه بحيث أننا وبفارغ الصبر، انتظرنا الصيف حيث يمكن السفر إلى المنزل الصيفي ومنح المانغوس الحرية في حضن الطبيعة، وعندما كان يحل علينا ضيف ويترك في المدخل على النافذة القبعة أو القفازات كان يمكن وبصراحة وجرأة، توقع أن يجد المانغوس طريقة للنفاذ إلى هناك وقلب القفازات على قفاها وتمزيقها والتصرف بشكل غير لائق مع القبعة العالية.

وأما ما يخص القطة النخلية فهي لم تعد التعايش مع الإنسان. فهي تختبئ وتتفرد عن الآخرين طوال الوقت، وعندما كان يأتي إلى الدار ماسحو الأرضية كي يشتغلوا تقفز فجأة ودون توقع، من تحت الخزانة وتمسك بالماسح برجله الحافية فما يكون منه إلا أن يرمي الفرشاة والشمع ويمسك رجله ويزعق صارخاً بأعلى صوته:

لينك تموتين أيتها الملعونة!

كانت الشقة في مالايا ديميتروفكا ضيقة للغاية وعندما سافرت إلى هناك اضطرت مرة أخرى، المبيت على الأرض رغم أنفي. ويحدث، عن غير قصد، أن يتحرك الرجل في الحلم تحت البطانية وفجأة يحسُّ بأسنان حادة. إنها القطة النخلية التي انسلت من تحت الخزانة وسلحت إلى تحت البطانية كي تتدفأ وعضت بألم بحيث نفر الدم من الجسد.

جلب الشقيق أنطون معه من ساخالين كتلاً من الجبصين صنعها أحد النحاتين المحكومين بالأشغال الشاقة تصور مشاهد من حياة ساخالين اليومية:

العقاب الجسدي وتصفيد المذنب بعربة يد بعجلة واحدة وما إلى ذلك. ومع الأسف هذه الكتل تم صنعها من مادة سيئة وسرعان ما تفتت. وبالطبع روى أنطون تشيخوف عن انطباعاته وبخاصة لي، في الليالي لأننا وبسبب ضيق الشقة كنا ننام سوية في غرفة واحدة. وعلى فكرة، تركت ثلاثة مواضيع انطباعاً قوياً لديّ. عندما عاد إلى الوطن عبر الهند في باخرة (بطرسبورغ) أصابه في بحر الصين التايفون علماً أن الباخرة مخرت عباب البحر بلا حمولة وزاوية الجنوح ٤٥ درجة. حضر قائد (بطرسبورغ) القبطان غوتان إلى الشقيق أنطون ونصحه بأن يكون المسدس جاهزاً في جيبه كي يلحق بالانبحار عندما تذهب الباخرة نحو القاع. وإن هذا المسدس محفوظ الآن كقطعة للعرض في متحف تشيخوف في يالطا. والحادثة الثانية هو اللقاء مع الباخرة الفرنسية الجانحة. وكان على (بطرسبورغ) لأجل الضرورة، أن تتوقف وتقدم يد العون. ألقوا بالمرسة السلكية وربطوها بالباخرة المعطوبة وعندما بدأوا السحب انقطعت المرساة إلى قسمين، ومن جديد ربطوها وثبتوها

وتم إنقاذ الباخرة الفرنسية. وعلى طول الطريق حيث كان الفرنسيون السائرون خلف (بترسبورغ) وأدوا النشيد الروسي ومن ثم افترقت الباخرتان إحداهما عن الأخرى إذ أخذت كل واحدة مسارها الخاص بها. يا لخيبة الأمل عندما تذكروا في (بترسبورغ) أنهم، لشدة فرحهم، نسوا سحب ألف روبل من الفرنسيين لقاء المرسى السلكية المقطوعة (جميع وسائل الإنقاذ توضع على حساب المنقذ، وهكذا وحسب البروتوكولات الموقعة بصدد إنقاذ السفينة الفرنسية اضطر شقيقي أنطون أيضاً إلى دفع ما هو مطلوب منه، والحادثة الثالثة هي السباحة في المحيط الهندي. ومن مؤخرة الباخرة تم إلقاء الحبل. وألقى أنطون تشيخوف نفسه في الماء على طول الباخرة وكان عليه أن يلتقط الحبل. وعندما صار في الماء رأى بألم العين المرشدين البحريين وسمكة القرش تقترب منه. ولقاء كل هذه المشكلات تم تكريمه فيما بعد في جزيرة سيلان، في هذه الجنة الأرضية. فهنا تحت المنطقة الاستوائية تماماً وفي غابة نخيل وفي وضع خيالي شاعري وسحري أفصحت هندية رائعة عن حبها له.

بعد هذه الرحلة الهائلة بدت الحياة في موسكو بالنسبة إلى أنطون تشيخوف غير ممتعة، لذا بعد عدة أيام سافر إلى بترسبورغ كي يلتقي مع سوفورين ومن ثم سافر الاثنان خارج البلاد. وقبل هذا التاريخ لم يكن أنطون قد زار أوروبا الغربية أبداً.

زار أنطون تشيخوف ثيينا إلا أن (البندقية ذات العين الزرقاء) فاقت كل توقعاته. لقد سببت له عودة إلى الفرح الطفولي. ففنونها ومبانيها والعموم في الجندول وساحة القديس ماركوس والأمسيات الرائعة، كل هذا أجبره، هذا الذي أمضى فترة في الفردوس الأرضي في سيلان، أن يدرك أنه لم ير في حياته ما يماثل البندقية. (أود البقاء هنا إلى الأبد) هذا ما كتبه إلى شقيقه ايقان. ومن نيس توجه إلى مونت - كارلو حيث خسر في لعبة الروليت /٩٠٠/ فرنكاً. ولكن هذه الخسارة أدت خدمتها إذ بفضلها حصل على انطباع جديد، على الأرجح مماثل لما حدث معه في المحيط الهندي عندما رمى بنفسه تلك الرمية من الباخرة في الماء: كان هذا استحمامه.



كتب لي بخصوص الخسارة: (أنا شخصياً راضٍ عن نفسي). زار نابولي حيث صعد إلى فوهة بركان فيزوف، وفي باريس تذوق كل ما هو عجائبي وغرائبي، وفي بياريتس (مدينة إفرنسية - المترجم) عاد أنطون تشيخوف أدراجه إلى موسكو.

في ذاك الوقت أخذ شهر أيار يتسلل خفية حيث صار من الضروري التفكير بالمنزل الصيفي لأنه يستحيل قضاء الصيف كله في موسكو.

كلفوني بالبحث عن منزل صيفي ريفي بالقرب من ألكسين - بأي شكل من الأشكال. وكانت استقصاءاتي عن دار في مزرعة ما غير مثمرة والوقت لا ينتظر لذا استأجرت أحد المنازل الصيفية التعيسة عند جسر الخط الحديدي على ضفة اوكا التي كتبت عنها سابقاً.

في الثالث من أيار فقط في اليوم الثالث من العودة من الرحلة كان أنطون تشيخوف يقيم في ألكسين. وبالطبع لم يعجبه منزلي الصيفي لأنه كان دون سور ولا سياج بل ومنفرداً عند طرف الغابة وبشكل عام غير مريح ولا ينبض بأي فرح ومرح ناهيك أنه ومن اليوم الأول هبّت رياح شديدة لدرجة لم تعد لدينا رغبة بالخروج إلى الهواء الطلق. وما إن حط كل واحد منا الرحال بالقرب من ألكسين حتى دعونا (ليكا الرائعة) ووصلت إلى هنا على ظهر الباخرة عبر سيربوخوف سوية مع ليفيتان. وبصراحة لم يكن ثمة مكان مناسب لهما. بدأ الضحك ولذعات أنطون تشيخوف التي لا تتضب وتأوهات ليفيتان الولهانة الذي كان يحب الدلال والتكلف أمام السيدات. وبشكل عام صار الوضع عند ضفة اوكا أكثر مرحاً وحبوراً.

وصل سوية مع ليكا وليفيتان على ظهر الباخرة حتى ألكسين شاب بمعطف طويل وحذاء كبير، تبين أنه أحد الملاكين المحليين واسمه يه.د.بيليم - كولوسوفسكي. حدث التعارف وما إن عرف من ليكا أنها ذاهبة لزيارة عائلة تشيخوف التي استقرت في المنزل الصيفي عند جسر الخط الحديدي حتى تلقى بيليم - كولوسوفسكي الخبر بأنه دعوة لأنه لم يمض يومان إلا وأرسل إلينا عربتين كي نلبي دعوته إليه. هذا كان جديداً علينا وذهبنا، كانت

السفرة ممتعة وغامضة لأننا نحن عائلة تشيخوف لم نر هذا المدعو بيليم كولوسوفسكي بأم العين. وما إن اجتزنا ١٠-١٢ كيلومتراً حتى رأينا أنفسنا في مزرعة بوغيموفو الرائعة والارستقراطية وفيها بناء حجري ضخم وممرات مزروعة بأشجار الزيزفون ونهر مريح لطيف وبرك مائية وطاحونة مائية وما إلى ذلك.

الغرف في البناء كبيرة لدرجة أن الصدى يردد الكلمات. وفي غرفة الضيوف ترتفع الأعمدة، وفي الصالة - كورال لأجل الموسيقيين. وانتهى الأمر بأن أنطون تشيخوف ما إن وجد نفسه في بوغيموفو حتى شعر بالافتتان لدرجة أنه قرر الانتقال إلى هناك.

بعد مضي أسبوع واحد كتب إلى ليكا التي كانت عادت إلى موسكو: (ليكا الذهبية الصدفية وذات الشعر المغزول الناعم... نحن نترك هذا المنزل الصيفي وننقل مقرنا إلى الطابق العلوي من بناء بيليم كولوسوفسكي نفسه الذي أشربك الحليب ونسي أن يضيفك من الثمار) وفي اليوم التالي بعد هذه الرسالة بعث إلى ألكسي سوفورين السطور التالية: (افرح وامرح يا ألكسي الآن، لقد تعرفت إلى ملاك اسمه كولوسوفسكي واستأجرت في مزرعته الشاعرية المهمة الطابق العلوي من بناء حجري كبير. يا لها من روعة. لو تعلمون! الغرف ضخمة كما في مجالس النبلاء والأشراف. الحديقة بديعة ذات ممرات لم أر مثيلاً لها والنهر والبركة والكنيسة لشيوخنا وكل وسائل الراحة) وبعد ثلاثة أيام كتب له: (انتقلت إلى منزل صيفي آخر، ياللفساحة والرحابة! وعندما رتبنا المفروشات والموبيليا شعرنا بالإنهاك بسبب مشينا غير المعتاد في أرجاء الغرف الكبيرة. حديقة رائعة وبركة ونهر صغير مع طاحونة، كل هذا مكون من كثرة من التفاصيل الفتانة).

تعرفنا في بوغيموفو بعدد من المصطافين منهم فلاديمير فاغنر البروفسور المعروف لاحقاً في علم الحيوان، الذي عاش هناك مع الزوجة والعمة وعائلة الفنان المعروف الأكاديمي آ.آ. كيسيليوف المكونة من أولاد يافعين لطيفين كانوا يعرضون على أنطون تشيخوف قصصه وهي ممسوحة.

وبهذه الصورة لم يكن هناك نقص في الرفقة المثقفة وأخذت الحياة مجراها دون ملل.

شغل الشقيق أنطون في بوغيموفو غرفة الضيوف السابقة وهي ضخمة بأعمدة وأريكة ذات حجوم لا يمكن تصورها بحيث يمكن إجلال اثني عشر شخصاً عليها. كان ينام على هذه الأريكة. وعندما تنقض العاصفة الرعدية تومض جميع النوافذ الضخمة بسبب البروق الساطعة بحيث يصير كل شيء مربعاً.

ففي كل يوم كان أنطون تشيخوف يستيقظ في الرابعة صباحاً وأنا كنت استيقظ معه في وقت باكر. وبعد أن يحتسي كوباً من القهوة يجلس أنطون تشيخوف للعمل ولكن كان لا يكتب أبداً جالساً وراء الطاولة بل على رف النافذة وهو يلقي نظره إلى الحديقة والأفق المرئي وراءها. كتب قصته الطويلة «المبارزة» ورتب المواد الساخلية بحيث شكلت، بالفعل عملاً من الأشغال الشاقة.

كان ينهمك في العمل دون كلل ولا ملل ولا استراحة حتى الحادية عشرة صباحاً، بعدها يتمشى في الغابة بحثاً عن الفطر ويصطاد السمك أو يوزعه في السلة. وفي الساعة الواحدة ظهراً كنا نتناول طعام الغداء وكنت أنا المسؤول عن إعداد مقبلات ساخنة ولذيذة، وهذا ما كانت تطلبه والدتي مني أن أنجزه. وقد أتقنت كل أنواع المأكولات حتى درجة الكمال بحيث أصبحت لاحقاً طباًخاً مقبولاً وحاذقاً مبدعاً. والشقيق أنطون نفسه اعتاد في بوغيموفو على إيداعي لدرجة أنه في كل مرة يأتي فيها إلى مائدة الغداء كان يتوجه إلي بالسؤال التالي:

يا ميخائيل! أليس عندك شيء ما من المقبلات والمشهيات؟

في الثالثة بعد الظهر من كل يوم كان أنطون تشيخوف يشرع في العمل حتى المساء دون انقطاعات. وفي المساء كانت تبدأ المناظرات مع الزولوجي فلاديمير فاغنر حول حق القوي والانتقاء الطبيعي الخ والتي ضُمَّت، لاحقاً، في أساس فلسفة فون كورين في «المبارزة». من الطريف أن أنطون تشيخوف في أثناء وجوده في ساخالين وفي أثناء مثل هذه الأحاديث كان

يتمسك برأي مفاده أن قوة الروح في الإنسان يمكنها دوماً أن تنتصر على النواقص الناتجة عن الوراثة. وكان قاغزر يؤكد ما يلي: بما أن الانحطاط والانحلال باد للعيان فإن العودة، بالطبع، غير موجودة لأن الطبيعة لا تمزح. بينما اعترض تشيخوف: مهما كان الانحطاط عظيماً فإنه يمكن دوماً الانتصار عليه بالإرادة والتربية.

على فكرة، تم نقل المانغوس والقطة النخلية إلى بوغوميموفو أيضاً. ففي تموز منحنا المانغوس عرضاً. كنا نجلس وعددنا كبير في الحديقة، في أحد ممرات الزيزفون وفجأة انسلت حية بطول متر. ارتعب أطفال الفنان كيسيليوف وقفزوا من أمكنتهم ناهيك أن الكبار، أيضاً، شعروا بالنفور صرخ الشقيق أنطون: أحضروا المانغوس إلى هنا بسرعة. وأنا ركضت لأجل ذلك وأطلقت العنان له في الأرض. كاد يتجمد في مكانه ثم تحول فجأة إلى كرة دائرة والحية من جهتها شمت وأحست بوجود عدو لم تر مثيلاً له فتحولت أيضاً إلى كرة ورفعت رأسها إلى الأعلى ثم حدث مشهد صامت من التنويم المغناطيسي. بعد ذلك تنبه المانغوس فجأة وانقض على الحية والتقطها بأسنانه من رأسها وقلعها وسحبها إلى العشب.

هنا في بوغوميموفو قام أنطون تشيخوف بزيارة إلى سوفورين وقدمت من سومي - ن.م. ليننتقاريوفاً إلا أن ضيفنا الرئيسي (ليكا الرائعة) لم تستطع المجيء وهذا أزعجنا كثيراً.

كانت ثمة تسلية أخرى في بوغيموفو وهي الروليت التي نظمها أنطون تشيخوف والرهان ليس أكثر من كوبيك واحد. ومدخول الروليت يتحول إلى تنظيم النزعات. هذا ما كتبه إلى سوفورين. وأنا المشرف على القمار (٢٧) أيار، الساعة الرابعة صباحاً).

وأخيراً صارت الحياة مع المانغوس غير محتملة. و هرب واحد منهما واختفى عن أنظارنا لفترة طويلة، حتى إنهم بدأوا ينسونه عندما وجدوه بعيداً حوالي السبعة كيلومترات في مقلع للحجارة، بديناً هو نفسه رمى نفسه في يد الإنسان الذي وجدته. بعد العودة من بوغيموفو إلى موسكو تحملنا بشكل ما

الانتظار حتى الشتاء، بعدها كتب أنطون تشيخوف رسالة إلى حديقة الحيوان  
يرجو قبول هذين الحيوانين الموجودين لديه كهدية منه إلى الحديقة. كان  
الصقيع قارساً وقدم شاب بنظارات ذهبية ومع المانغوس رفيقة الدرب القطّة  
النخلية. وقد أضفيا على الحديقة جمالاً. وزارتهما الأخت ماريا غير مرة.



الهيئة العامة  
السورية للكتاب

شراء ميلخوفو - يوميات الأب عن الحياة في ميلخوفو - شهر  
عسل ملكية أرض عائلة تشيخوف - (الدوقية) التشيخوفية - أنطون  
تشيخوف طبيب ميلخوفو - مسألة المياه - شتاء عام ١٨٩٣ - بوتابينكو  
في ميلخوفو - أسرة شعب الوالاخ<sup>(\*)</sup> وتاريخ إنشاء (الراهب الأسود) -  
تدفق الضيوف - وصول م.و. مينشيكوف - رقابة سرية على أنطون  
تشيخوف - الخريطة البيانية للدكتور كوركين - إيفان غيرمانوفيتش فيتيه  
- أبنية جديدة - الجناح الذي تمت فيه كتابة «النورس».

فكر الشقيق أنطون منذ أن كان يعيش في سومي، بمحافظة خاركوف،  
أن يشتري مزرعة خاصة به. وقد سافر مرتين لهذه الغاية إلى محافظة  
بولتافا حيث كادت تتم عملية الشراء في ساروتشينسي بالقرب من ميرغورود  
الغوغولية، وبعد الصيف الذي انقضى في بوغيموفو تحولت الرغبة بالاستقرار  
الأبدي في مزرعة معينة إلى قرار ثابت.

في شتاء عام ١٨٩٢ تحقق هذا القرار عملياً إذ صار تشيخوف ملاكاً.  
وما إن قرأنا في الجريدة إعلاناً عن بيع مزرعة كائنة بالقرب من محطة  
لوپاسين على الخط الحديدي موسكو - كورسك حتى توجهت أنا والأخت  
لمشاهدتها. لا أحد إطلاقاً يشتري مزرعة في الشتاء عندما تكون مدفونة تحت  
الثلج ولا توجد أية إمكانية لمشاهدتها بالتفصيل. لكننا نحن الاثنين لم نكن

---

(\*) (شعب دخل قوام الأمة الرومانية في أواسط القرن التاسع عشر - المترجم).

نتحلى بالروح العملية وننظر إلى كل شيء مع سرعة تصديق ما يقال لنا،  
والشيء الرئيسي هو أن أنطون تشيخوف وجه إلينا إنذاراً نهائياً فيما إذا لم يتم  
شراء المزرعة الآن فهو سيغادر البلاد إلى الخارج لذا كان علينا،  
وللضرورة، الإسراع. كانت المزرعة تقع على بعد ١٢-١٣ كم عن المحطة  
إلا أننا لم نستطع معرفة الطريق المؤدي إليها وهل كان بالمستطاع عبوره في  
الوحد، لأننا رحلنا بالعربة فوق الثلج العميق في طريق مطروق ومستقيم.  
فضلاً عن هذا كان الحوذيون الذين يوصلون الشارين لمعاينة هذه المزرعة  
يعتبرون أنفسهم ملزمين بالثناء عليها.

وصلنا إلى المكان حيث كانت كل المباني مدهونة حديثاً والسطوح  
خضراء وحمراء، وعلى الخلفية العامة للثلج الأبيض تركت المزرعة انطباعاً  
إيجابياً ومثمراً. ولكن لم نستطع معرفة الحالة التي كانت عليها الغابة وفيما إذا  
كانت تراباً أم مكونة من الجذامير وحدها، نعم ينبغي الاعتراف أن هذا الأمر  
لم يثر اهتمامنا. لقد صدقنا ما قالوه لنا. كانت تلزمننا مزرعة لائقة إلى حد كي  
يصير بالإمكان السفر إليها على الفور، وهذه المزرعة، على ما يبدو، لم  
تستطع تلبية هذا المطلب. وقد رأينا من حولنا مبانٍ إلا أنه لم يكن في الحسبان  
السؤال ما إذا كانت هذه المباني تعود إلى المزرعة أم إلى غيرها. وقد ألقنا  
شيء واحد هو قرب القرية الكائنة هنا على الطرف الآخر من الشبك الذي  
كان يشكل أحد جوانب شارع هذه القرية. واسم هذه المزرعة «ميليخوفو»  
الواقع في قضاء سيربوخوف، محافظة موسكو.

رجعنا إلى الدار وروينا ما شاهدناه وكان القرار فوراً علينا شراء  
مزرعة ميليخوفو هذه. ورأى أنطون تشيخوف أن الشروط مقبولة. مزرعة  
كبيرة مساحتها ٢١٣ ديسياتينا<sup>(\*)</sup> مع الغابات والأبراج والمروج التي هي

---

(\*) (قياس روسي أساسي ما قبل النظام المتري للمساحة يعادل ٢٤٠٠ مربع من  
الساجين - متر و ١٣ سم أي ١,٠٩ هكتار مما يسمى الحكومي. وفي القرن الثامن  
عشر - بداية القرن التاسع عشر تم استخدام الديسياتينا الاقتصادي ويعادل ٣٢٠٠  
ساجين أي ١,٤٥ هكتار - المترجم)

نفسها سماها «الدوقية العظمى». وقد تم تسعيرها فقط بمبلغ /١٣/ ألف روبل، وكان في الجيب فقط /٥/ آلاف روبل والمبلغ المتبقي /٨/ آلاف روبل قد تم تقسيطها من قبل البائع بوثيقة رهن عقاري لعشر سنوات. ولكن قبل بدء الدفعة الأولى بعث المالك السابق برسالة يتوسل فيها دفع وثيقة الرهن العقاري قبل الوقت المحدد وهو يتنازل عن /٧٠٠/ روبل. وقتذاك رهنّت ميلخوفو في المصرف الزراعي الموسكوفي علماً أنه تم تسعيرها من قبله بـ ٢١ ألف و ٣٠٠ روبل أي ٦٠% من القيمة الفعلية. قبضت فقط ذاك المبلغ المطلوب لتصفية الرهن المدفوع للبائع وبهذه الصورة تخلص أنطون تشيخوف من الدين للبائع وصار يتعامل مع المصرف ويدفع له فقط /٣٠٠/ روبل في السنة. أية شقة كان يمكن استئجارها في موسكو لقاء /٣٠٠/ روبل في السنة؟.

دفع أنطون تشيخوف لقاء المزرعة نقوداً وهو مغمضاً عينيه كما يقال لأنه قبل الشراء لم يزر ميلخوفو ولا مرة واحدة. وذهب إليها فقط بعد اكتمال كل الشكليات. وقد تبين أن السياجات والشبك كثيرة لدرجة لا مجال للانتقالات ولم يكن وضع الغابات والمباني مريحاً فيها. وكل شيء كان تحت الثلج وبسبب غموض الحدود كان يستحيل معرفة ما يخصنا وما هو ملك للآخرين، لكن رغم كل هذا فإن الانطباع الأول كان لأنطون تشيخوف، على ما يبدو مرضياً. الثلج الأبيض واقتراب حلول الربيع ومفاجآت جديدة وجديدة وبفضل ذوبان الثلوج أعجبته. فجأة يتبين أنه كومة كبيرة من التبن والقش التي كانوا يظنونها للآخرين تعود له، وفجأة ظهر ممر كامل مزروع بأشجار الزيزفون لم يكن بالإمكان اكتشافه بسبب تراكم الثلوج. وبدأت الحياة العملية والإنشائية. فكل ما كان رديئاً في المزرعة ولم يعجبه أحداً قد تم، تحطيمه أو تغييره على الفور. وفي الغرفة الأكبر المملوءة بالزجاج رتبوا مكتباً لأنطون تشيخوف ثم غرفة الضيوف لأجل الأخت، وغرفة نوم الكاتب وغرفة الأب وغرفة الطعام وغرفة الأم.

كانت هناك غرفة أخرى (غرفة مرور) وفيها بورتريه بوشكين وحملت اسماً صاخباً - غرفة بوشكين وتم تخصيصها للضيوف الواصلين بمحض



المصادفة. ورغم كل نواقص المزرعة والطريق الرديء (١٣ كم تقريباً) كان يؤمها ضيوف كثر لدرجة أن لامكان لاحتوائهم وكان يتم الاضطرار إلى ترتيب الأمكنة مرة ثانية حتى في مخزن الحشائش المجففة.

وما إن ذاب الثلج حتى تم توزيع العمل في هذه المنشأة الاقتصادية: شرعت الأخت في العمل بالبستان والحديقة. وأنا تخصصت في الأعمال الحقلية، وأنطون تشيخوف نفسه في زرع الأشجار والعناية بها. وكان الأب من الصباح إلى المساء ينظف الممرات الصغيرة في الحديقة ويقيم ممرات جديدة، كما إنه كان ملزماً بكتابة اليوميات. وخلال السنوات الطويلة من «المكوث في ميليخوفو» أنجز اليوميات بالصورة الوجدانية يوماً بعد يوم دون إهمال أي تاريخ. وبعد رحيله تم تجميع اليوميات التي يضم كل منهما شيئاً من السذاجة الطفلية اللطيفة وذات الاهتمام العائلي الكبير. وهذه اليوميات موجودة الآن في متحف أنطون تشيخوف بموسكو<sup>(٥٩)</sup>. وهاكم بعضاً من فصولها حفظتها بالذاكرة كنبذة:

«الثاني من حزيران. وصلت كلارا ايفانوفنا<sup>(٦٠)</sup>.

الثالث من حزيران. كلارا ايفانوفنا غادرت.

الرابع من حزيران. ما أقسى جهد المزارع.

الخامس من حزيران. عود الصليب ازدهر.

السادس من حزيران. شجيرات الأعياد قطعت.

إلخ».

عمل الأخوان فرول وإيفان. ذهباً لإحضار الحوذيين. كل يوم تقريباً كنت أجد على الحصان الأصيل في جميع أرجاء المزرعة وأراقب ما إذا كان كل شيء يسير على ما يرام.

كان المالك الجديد مولعاً بكل شيء: غرس البصلات وقدم الغربان والزرارير وزرع البرسيم وأنشئ الوز التي تفقس الفراخ الزغباء. ومنذ

الصباح الباكر حتى إنه غالباً من الرابعة صباحاً كان أنطون تشيخوف يقف على قدميه. وبعد أن يحتسي القهوة كان يخرج إلى الحديقة ويتأمل طويلاً كل شجرة فاكهة وكل شجيرة ويجلس القرفصاء عند جذوعها كي يراقب شيئاً ما. بدت الأراضي أكبر مما ينبغي واضطربنا إلى القيام بأعمال حقلية دون إرادتنا غير أننا اشتغلنا بمجهود مشترك دون ناظر ولا مشرف وكانت هذه الأعمال تبعث على السرور وإن كان الوضع لا يمر دون بعض خيبات الأمل. وفي بعض الأحيان كانت تصل إلى أسماعنا عبارات فلاحية مليخوفو: ماذا أقول، السادة يبذلون كل الجهد!.....

وهل هم سادة حقيقيون أم غير حقيقيين؟

سافر أنطون تشيخوف إلى موسكو وأحضر معه صندوقاً كاملاً من الطبقات الشعبية للناسر صيتين<sup>(\*)</sup>. وقد أعطى هذه الكتب للناس. وفي كل مساء كان المتعلم فرول يجمع حوله أهل المنطقة ويقرأ بصوت مسموع. وكانت «ابنة القائد» لبوشكين و«أمالات - بك» لمارلينسكي<sup>(\*\*)</sup> قد غمرت

---

(\*) (ايقان صيتين ١٨٥١-١٩٣٤، ناشر متتور. بدأ نشاطه في النشر في موسكو في عام ١٨٧٦. ومنذ عام ١٨٨٤ بدأ يطبع كتب دار نشر «الوسط». أصدر كتباً تعليمية وكتباً علمية شعبية وإصدارات رخيصة وأعمال كلاسيكية الأدب الروسي والموسوعات والتقويم الشعبية وغيرها. في بداية عشرينات القرن العشرين صارت دار نشر صيتين من أكبر الدور في روسيا. وبعد ثورة أكتوبر صار صيتين مستشاراً لدور النشر الحكومية وأحيل على التقاعد في عام ١٩٢٨ - المترجم)

(\*) (\*) (عائلة بتسيوجوف من الديسمبريين. شاركت في انتفاضة ١٤ كانون الأول عام ١٨٢٥. الإخوة :

- ١- ألكسندر مارلينسكي ١٧٩٧-١٨٣٧ أصدر النقويم الأدبي «نجم القطب». حكم عليه في العشرينات بالأشغال الشاقة كتب أشعاراً رومانسية وقصصاً طويلة منها «أمالات - بك»
- ٢- ميخائيل ١٨٠٠-١٨٧١ حكم عليه بالأشغال الشاقة.
- ٣- نيقولا ١٧٩١-١٨٥٥ حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة.
- ٤- بيوتر ١٨٠٨-١٨٤٠ جرد من رتبة ضابط بحري إلى جندي عادي - المترجم).

الخدمتين ماشا وأنيوتا بالفرح والغبطة. وأما الطاهية العجوز ماريا دورميدونتوفا التي عاشت عندنا عمرها كله فقد سكبت أنهاراً من الدموع. كانت عائلتنا تستيقظ مع شروق الشمس وتتناول الغداء باكراً: في الساعة الثانية عشرة ظهراً. اشترى أنطون تشيخوف جرساً ورفعته في المزرعة على عمود عال. ومرة كل أربع وعشرين ساعة في تمام الساعة الثانية عشرة ظهراً كان على فرول أو أحد ما يقرع بدله اثنتي عشرة دقة بحيث أن المقاطعة كلها على مدى ستة - سبعة كيلومترات كانت تسمع هذا الجرس فتتوقف عن العمل وتجلس لتناول الغداء. وفي الساعة الثانية عشرة صباحاً بعد أن كتب أنطون تشيخوف بفيض ووفرة دخل إلى غرفة الطعام وألقى نظرة على الساعة صامتاً ولكن ذات مغزى. وهنا تقفز الأم من وراء آلة الخياطة وتقول:

آخ يا أنطون أنت تريد أن تأكل!

بدأ صوت الجرس في المطبخ الواقع في مبنى منفصل. هرولت أنيوتا أوماشا وبدأ تحضير الغداء. «بسرعة، بسرعة!» هذه المائدة عامرة. إنها لوحة الحياة المسالمة الرغيدة! إذ لا يوجد موضع فارغ على المائدة من كثرة المقبلات التي أعدتها يغفينا ياكوفليفنا اليد الماهرة. وهذه المائدة العامرة تم وصفها حتى في أحد قصائد تاتيانالقوقنا. والكراسي وراء المائدة مشغولة كلها إذ عدا أفراد الأسرة الخمسة الدائمين ثمة دوماً ضيوف وبعد الغداء يذهب تشيخوف إلى غرفة النوم كي يقفل الباب على نفسه ويفكر ملياً في موضوعات وحوادث في قصة ما إلا إذا قاطعه مورفي. ومن ثم من الساعة الثالثة نهراً حتى الساعة مساءً كان يعمل من جديد. ينبغي عدم نسيان أن هذا كان شهر العسل لامتلاك الأرض بالنسبة إلى العائلة التشيخوفية التي كان يجري في عروقها الدم الزراعي الفلاحي.

كانت أوقات العشاء هي الأكثر فرحاً ومرحاً في ميلخوفو.

كانت العائلة كلها بعد العشاء وتعب النهار تخذل إلى الراحة وتخوض في أحاديث لم يكن قادراً عليها إلا أنطون تشيخوف وبحضور (ليكا الرائعة)

أيضاً عندما كانت تزورنا. وبعد ذلك في العاشرة مساءً يحين موعد الخلود إلى الفراش والنوم. يطفئون النار وكل شيء في الدار هادئ ولا شيء مسموع سوى صوت غناء غير صاحب وقراءة رتيبة لبافل ايغوروفيتش الذي كان يحب الصلاة. تم إيراد هذا التوزيع المثالي الرغيد للوقت فقط على سبيل المثال لا أكثر لأن هذا التوزيع لم يتحقق دوماً بصورة مثالية. قبل كل شيء كان الجميع منهكاً من التعب إذ انهمك كل واحد في الزراعة بحمية لدرجة أنه عند المساء لم يكد الواحد من أفراد العائلة يستطيع مد رجله إلى الفراش إلا بشق النفس. فمثلاً، أنا كنت أخرج إلى الحقل كل يوم في الساعة الثالثة صباحاً أي قبل بزوغ الشمس وأفلح بنفسه. وفي إحدى المرات تعبنا لدرجة أننا غطينا في النوم بينما اشتعل حريق هائل بجانب المزرعة ولم ينتبه أحد في الدار كي يطفئوه ثم فجأة قرعوا الجرس. نهضنا وألقينا نظرة فرأينا الرماد مكان المزرعة المجاورة.

أين اختفت مزرعة كوفشينيكوف يا إخوان؟

نحن اكتفينا بالقاء نظرة.

منذ الأيام الأولى لاستقرارنا في ميلخوفو عرف كل من حولنا أن أنطون تشيخوف طبيب. كانوا يؤمنون المكان ويحضرون المرضى في العربات ويستدعون الطبيب الكاتب بنفسه إلى المرضى في أمكنة بعيدة. ومنذ الصباح الباكر كانت النسوة والأطفال ينتظرون أمام داره طلباً للمساعدة الطبية العلاجية. كان يخرج ويدق وينقر ويصغي ولم يسمح لأحد بالمغادرة دون دواء. كانت مساعدته الأخت ماريا تشيخوفا. والإنفاق على الأدوية كان جيداً إذ اضطر إلى تنظيم صيدلية عنده. وأنا كنت أعلق المساحيق وأصنع المستحلب وأصنع المراهم. وهم لم يستهينوا بي إذ كان المرضى يدسون في جيبتي قطعة الخمس كوبيكات وأحد المرضى وضع في يدي (وهو قندلفت) قطعة العشرين كوبيكاً والجميع كان يستغرب بصدق أنني لم آخذ شيئاً من كل هذا البقشيش وكانوا يوقظون أنطون تشيخوف في الليالي أيضاً. أذكر ذات مرة في منتصف الليل حملوا إلينا شخصاً أصيب بطنه بالمذراة في الطريق.

وقد تم إحضار الشخص إلى المكتب الذي كنت أنام فيه هذه المرة ومددوه على السجادة في الوسط وعالجه أنطون تشيخوف طويلاً متحسناً جروحه وواضعاً الضمادات.

كان الربيع الأول في ميلخوفو بارداً وقاطعاً وطويلاً. ومرت عيد الفصح في الثلج. ومن ثم بدأ موسم توحل الطرق إذ صارت الطرقات شيئاً فظيماً. وكان في المزرعة ثلاثة أفراس هزيلة أحدها فيها عيوب. إذ لم يغادر فناء الدار والثاني واهن وباللون ذاته إذ عوضاً عن أنثى الخيل وضعوا حصاناً خصباً. وبهذه الصورة، ودون أن أتمكن من انتظار المعرض الأول وشراء سبعة أحصنة اضطررت إلى السفر على فرس هزيلة واحدة لفترة طويلة والتي كانت يحمل اسم (أنا بتروفتا). لم تكن هناك أعشاب لعشرات الكيلومترات لذا اضطررنا إلى إطعام الفرس من التبن (القش) المفروم إلا أن (أنا بتروفتا) كانت تتحايل بالهرب إلى المحطة والعودة وتنقل أنطون تشيخوف إلى الممارسة العملية وتجرب الجذوع وتفلق.

الجوع يداهم الجميع.

ولكن لم يشعر أحد منا بالشجن والكآبة. ولم تمض ثلاثة أشهر إلا وكل شيء قد تغير في المزرعة إذ بدأت فؤوس النجارين تدق وظهر القطيع وتم إنجاز أعمال الحقل الربيعية دون تأخير وحسب القواعد العلمية المستقاة من الكتيبات. وفي البستان عند ماريا بافلوفنا ظهرت العجائب إذ نضج في الهواء الطلق الباذنجان والأرضي شوكي (الخرشوف) وأخذ أنطون تشيخوف يمرح ويفرح. فهو صار يحلم بأن المزرعة ستقدم له ألف روبل من الأرباح إلا أن الربيع والصيف القاحلين أوصلا المحصول إلى العدم ولكن هذا أيضاً لم يؤثر على أحد منا بكل عمق. ففي البستان ظل كل شيء كما في السابق جميلاً وأفرخت الوزات وظهرت عجلة جديدة من فصيلة «الهاووس».

بعث ليكين إلينا بجرولين مدهشين اسمهما (بروم) و(حنة). والجودار الذي جمعناه أعطى ثلاثة أضعاف بالكاد درسناه في الدراسة التي عندنا وقمنا بعملية التذرية، وعلى الفور أرسلنا كل الكمية إلى طاحونة دير دافيدوف.

ونظراً لزمّن المجاعة كلفني أنطون تشيخوف أن أبيع الطحين إلى فلاحي ميليخوفو وحساب كل بود ونصف - بوداً واحداً ( وحدة وزن تعادل ١٦,٣٨ كيلو غرام أو ٣٦ رطلاً مصرياً - المترجم) على شرط أن لا يعرف أحد في المزرعة عن الموضوع. ولكن، مع ذلك عرفوا بالأمر إذ على الأرجح زان أحد الفلاحين في الدار الكمية التي اشتراها لأنني أنا نفسي سمعت من أحاديث الرجال فيما بينهم أنهم سموني (السادج). كان بروم وحنه كلبين قصيري القوائم، هو أسود وهي شقراء علماً أن لدى حنه قائمتين قصيرتين إلى حدّ أنّ بطنها عندها يكاد ينجرّ على الأرض. وفي كل مساء كانت حنه تقترب من أنطون تشيخوف وتضع قائمتيها الأماميتين على ركبته وهي تنظر في عينيه بحنان ووفاء. وقد غيّر هذا تعابير وجهه وبصوت عجائزي مكسر قال:

يا حنة ماركوفا! أيتها المعذبة! ... سنشفيك في المستشفى! ... هناك سيصبح وضعك أسهل.

وبدا يحدث هذه الكلبة نصف ساعة لدرجة أن جميع الحضور كاد يموت من شدة الضحك.

ثم أتى دور بروم. وهو أيضاً وضع قائمتيه الأماميتين على ركبة أنطون تشيخوف وبدأ اللهوائية.

توجه تشيخوف إليه بصوت مفعم بالقلق والاضطراب:

بروم إيسايفيتش! كيف يمكن ذلك؟ ثمة وجع في بطن الأب الأرشمندريت إذ ذهب يسعى إلى شجيرة بينما اختبأ الأولاد وصبّوا الماء عليه من بخاخ مخفي.

بدأ بروم يتذمر بشراسة.

في أول خريف كانت المزرعة مقلوبة رأساً على عقب بحيث لا يعرفها أحد إذ تمت إزالة السياجات الزائدة وزرع الورود الرائعة وترتيب جنيّة زهور وبادر أنطون تشيخوف إلى حفر بركة كبيرة جديدة أمام البوابات. يا لها من متعة عندما كنا نراقب سير العمل! ويا لها من متعة وأنت تنظر كي ترى

أنطون تشيخوف يزرع حول البركة الأشجار ويرمي فيها أنواع الشبوط والفراخ التي أحضرها معه في علب من موسكو ثم تحولت هذه البركة، فيما بعد إلى محطة أسماك أو إلى حوض لتربية الأسماك والنباتات المائية. وقد حوت كل أنواع الأسماك دون استثناء. كنت في ميلخوفو، في المزرعة نفسها وتماماً مقابل الفراخ هناك بركة أخرى أصغر بكثير. وفي كل ربيع كانت تمتلئ بالماء من ذوبان الثلوج إلا أنها لم تتميز بنقاء خاص. وفي أول صيف زارنا في ميلخوفو كل من ب.آ. سيرغينيكو وإيجناتي بوتابينكو. وما إن عرف سيرغينيكو البركة التي بدأت تتغطى بالخضار حتى خلع ملابسه ورمى نفسه فيها وأخذ يسبح، ثم صرخ وهو في الماء:

بوتابينكو! لماذا لا تسبح؟ اخلع ما عليك بسرعة!

لماذا ينبغي علي السباحة في هذه البركة الوسخة؟

جرب!

لا أريد حتى التجريب. إنها مجرد قذارة لا غير!

ولكن لا وجود للقذارة في الكيمياء.

لا أريد حتى النظر.

اغمر أنطون تشيخوف بالرضا والسرور واسبح في بركته. اعمل له معروفاً، فهذا موقف غير لطيف من جانبك: أن تحلّ ضيفاً على مالك أرض جديد ولا تسبح في بالوعة النفايات<sup>(٦١)</sup>.

قبل هذا الوقت كان تم حفر بئر في ميلخوفو، وكان أنطون تشيخوف يرغب رغبة أكيدة أن تكون على النمط الروسي مع وجود غرنوق إلا أن المكان لم يكن مناسباً واضطررنا لجعل هذه البئر بعجلة كبيرة مثلما هي عند أكواخ الخطوط الحديدية التي نصادفها في الطريق عندما نسافر بالقطار.

حظيت البئر بالمجد وكان الماء فيها رائقاً. وقال أنطون تشيخوف مبتسماً:

الآن حَلَّتْ مسألة المياه بالنسبة إلى ميلخوفو. ولو أمكن الآن تجديد المزرعة حول البركة أو نقلها إلى مكان آخر. وهذا أفضل! أتصور سيكون كل شيء رائعاً على الأرض بعد مائتي - ثلاثمائة سنة.

وصار يشدّ بجدّة ذهنه مفكراً ببناء مزرعة صغيرة. كان نشاطه الإبداعي عفويّاً فهو يزرع الشجيرات الصغيرة وتعطي البذار الشوح والصنوبر وهو يعتني بها مثلما يعتني بالأطفال المولودين حديثاً، وفي أحلامه عن المستقبل كان يشبه ذلك العقيد فيرشينين وهو نفسه الذي أبدع شخصيته في (الشقيقات الثلاث).

كان شتاء عام ١٨٩٣ في ميلخوفو قارساً وكثيف الثلج الذي تساقط ليصل ارتفاعه إلى أرشينين تحت النوافذ (الأرشين مقياس طول روسي قديم يعادل ٧١ سم - المترجم) بحيث أن الأرانب اللاجئة إلى الحديقة كانت تقف على قائمتها الخلفية أمام نوافذ مكتب أنطون تشيخوف. والطرق (الممرات) الصغيرة الممهدة في الحديقة تشبه الخنادق. وقد عشنا حياة نساك الدير. كانت ماريا تشيخوفا تسافر إلى موسكو للخدمة لأنها كانت تعمل، معلمة في المدارس الثانوية آنذاك وظلننا أنا الشقيق أنطون والأب والأم مقيمين في البيت وامتدت ساعات اليوم طويلاً. نأوي إلى الفراش في وقت قبل الوقت المعروف في الصيف ويحدث أن يستيقظ أنطون تشيخوف في الساعة الأولى من الليل ويشغل، ومن ثم يأوي إلى النوم ثانية قرابة الفجر. وقد كتب كثيراً هذا الشتاء. لكن ما إن يزورنا الضيوف وتعود ماريا من موسكو حتى تتبدل الحياة فجأة. كانوا يغنون ويعزفون على البيانو ويضحكون ولم تكن هناك نهاية للظرافة والفكاهة والنكات والمرح.

وبذلت يفغينيا ياكوفلوفا كل جهد كي تكون المائدة عامرة كالسابق. وأنطون تشيخوف كان دوماً راضياً عندما كانت تزورهم في المزرعة (ليكا الرائعة) والكاتب بوتابينكو. كنا ننتظرهم بفارغ الصبر وننظر إلى عقارب الساعة ونعدّ الدقائق. وعندما نسمع أخيراً الأجراس الصغيرة المعلقة وصرير



الثلج تحت زحافات المركبة نهرول إلى الدهليز وقبل أن نعطي الضيوف فرصة خلع الألبسة الفوقية نستقبلهم بالعناق. وعند ذاك يرتفع الدخان بطول ذراع ثم نتمدد للنوم.

في تلك الأيام كان أنطون تشيخوف يكتب من حين إلى آخر ولسبب واحد هو أن هذا العمل كان حاجة وضرورة. وفي كل مرة وبعد مرور دقيقة كان يكتب خمسة - ستة أسطر ثم يصعد ويذهب إلى الضيوف. ويقول مبتسماً: كتبت بستين كوبيكاً.

وكان يحدث أنه في الوقت نفسه وفي الجهة المقابلة لمكتبه كان بوتابينكو يجلس كي يكتب عملاً مستعجلاً. وبينما خط يراع تشيخوف خمسة أو ستة أسطر كان بوتابينكو قد كتب نصف صفحة بل أكثر. ذات مرة سمعت المحادثة التالية:

**تشيخوف:** قل لي يا ايجناتي، من فضلك كيف تتحایل وتكتب بهذه السرعة؟ فأنا كتبت عشرة أسطر فقط بينما أنت ملأت نصف ورقة.

**بوتابينكو:** (دون أن يصرف عينيه عن الورقة) ثمة نساء لا تستطعن وضع طفل خلال يوم كامل وهناك نساء يلدن في ساعة واحدة.

وبشكل عام كان بوتابينكو يكتب كثيراً و بسرعة. وظهرت أعماله تقريباً في جميع المجالات السميكة وغير السميكة في ذاك الحين ولكن التزاماته وضرورة إرساله النفقات الشرعية إلى هنا وهناك جعلت المكافآت غير كافية. وكان دوماً بحاجة إلى قبض سلفة من لقاء الأعمال التي لم تنشر بعد أيضاً مقابل تلك التي لم تتكون في ذهنه بعد، وكان حاذقاً جداً في انتزاع السلفة إذ لم يستطع أحد غيره أن يقوم بذلك بتلك الحركة التمثيلية. وفي هذا السياق كان قادراً على استحصال مبلغ كبير بينما المحررون يقبضون الفتات.

ومزح بوتابينكو قائلاً: المكان الوحيد الذي يستحيل فيه قبض سلفة هو ميليخوفو، فهنا ليس بإمكانني انتزاع أي شيء.

قدم بوتابينكو خدمة كبيرة إلى أنطون تشيخوف. من المعروف أن أعمال أنطون تشيخوف «الغسق» و«العابسون» الخ كانت قد أصدرتها شركة ألكسي سوفورين وعندما احتاج تشيخوف إلى النقود وأراد إنهاء الحسابات معها أجابت محاسبة الشركة أن تشيخوف لا يحق له شيء لقاء طباعة كتبه بل على العكس هو المدين لقاء أعمال الطباعة. وهذا الأمر أقلق تشيخوف. وعندما كان ايجناتي بوتابينكو في ضيافة عائلة تشيخوف في ميلخوفو قرر حل المعضلة حال وصوله إلى بطرسبورغ. وبالفعل تبين أن أنطون تشيخوف ليس هو المدين للشركة بل على العكس ونتيجة الحسابات ترتب على الشركة أن تدفع إلى أنطون أكثر من ألفي روبل.

في ميلخوفو، وبسبب الإنهاك على الأرجح، كادت أعصاب أنطون تشيخوف أن تتلف. فهو لم يخلد تقريباً إلى النوم. فما إن كان يبدأ النسيان بالنوم حتى تتنابه حالة اختلاج وقلق. وفجأة كان يستيقظ وإذا بقوة ما غريبة عجيبة تلقيه على السرير وكأن شيئاً قد انغلق داخله «من جذره فيقفز من السرير ويظل لفترة طويلة لا يستطيع النوم. ولكن بغض النظر عن كل شيء فإن قدوم ليكاوبوتا بينكو رفعه عنه بقوة. كانت لدى تشيخوف اهتمامات أدبية مشتركة كثيرة تجمعهم مع بوتا بينكو ناهيك أن بوتا بينكو نفسه، على ما يبدو، عاش هنا أحلى أيامه. كان يغني ويعزف على الكمان وينكت وكان الجلوس معه مسلياً بالفعل.

وعندما كان يزورنا هو وليكا في ميلخوفو كانت ليكا تجلس وراء البيانو وتبدأ تغني أغنية حديثة كانت شائعة بعنوان «أسطورة الوالاخ» لمؤلفها براغ:

اوّه، ما هذه الأصوات التي أسمعها،

إنها تفتن وتأسر القلب

وعلى أجنحة الأثير نحونا إلى هنا

كما لو كانوا يخلقون قادمين من السماوات

ثمّة فتاة مريضة في هذه الأسطورة تسمع في الهذيان المحمول إليها من السماء أغنيات الملائكة وترجو الوالدة أن تسمح لها بالخروج إلى الشرفة كي تعرف من أين تصدح هذه الأصوات، غير أن الوالدة لا تسمعها ولا تفهمها وتعود الفتاة ثانية إلى النوم خائبة الأمل.

وعزف الدور الثاني في هذه الأسطورة بوتنا بينكو على الكمان. كان العزف رائعاً. في الدار يغنون أغنيات عاطفية، ومن خلال النوافذ المفتوحة تُسمع زقزقة العصافير كما تفوح رائحة الزهور المخدرة التي زرعتها شقيقتنا ماريا بافلوفنا بكثافة في الحديقة.

اكتشف أنطون تشيخوف في الأغنية العاطفية التي يغنونها شيئاً ما مبهماً وغامضاً ومفعماً بالنزعة الرومانسية الجميلة. أذكر هذه النقطة لأن بهذه الأغنية صلة كبيرة بولادة قصته «الراهب الأسود».

في أمسية من أمسيات الصيف الهادئة والصافية حيث كانت الشمس بدائرة حمراء ضخمة تقترب من الأفق ونحن نجلس عند البوابة المطلة على الحقل فإذا بواحد منا يثير المسألة التالية: لماذا عندما تغرب الشمس تكون أكثر احمراراً وبحجم أكبر بكثير مما هي نهاراً؟ بعد مجادلات مديدة قرروا أن الشمس في تلك اللحظات تقع دوماً تحت الأفق، ولكن بما أن الجو بالنسبة إليها هو أيضاً موشور زجاجي بالنسبة إلى الشعاع فإن الشمس في انكسارها عبر موشور الجو تصبح بالنسبة إلينا مرئية من تحت الأفق وهي تفقد بذلك لونها الطبيعي وتصبح بحجم أكبر بكثير مما هي عليه نهاراً عندما تكون واقعة فوق الأفق.

ثم بدأنا الحديث عن السراب وانكسار أشعة الشمس خلال الجو الخ. وبالنتيجة ظهر السؤال التالي: هل يمكن للسراب نفسه أن ينكسر في الجو ويقدم من ذاته سراياً آخر؟ من الواضح هذا ممكن. ويمكن لهذا السراب الثاني أن يقدم سراياً ثالثاً. والثالث - رابعاً الخ إلى ما لانهاية. وبالتالي من المحتمل أن تكون تلك السرابات وهي تجول الآن في الكون بحيث تنعكس فيها الأمكنة بل حتى البشر والحيوانات حتى قبل آلاف السنين. ألا تتأسس الأطياف على

هذا؟ بالطبع، كان هذا مجرد حديث يافعين محدد بهراء واضح إلا أن حل هذه المسائل كان بالنسبة إلينا جميعاً في ميلخوفو ممتعاً وهاماً للغاية.

كنت قد ذكرت أننا كنا نتناول الغداء في ميلخوفو في الساعة الثانية عشرة. وكانت هناك أيام تستغرق وقت القيلولة كله في النوم. بل أن حنه وبروم كانا يتوقفان عن الركض ويخلدان إلى هذه القيلولة. وبالعجب إذ كنت في كل ربيع وكل نهاية صيف أعاني حالات من الأرق. وقد قال أنطون تشيخوف إن هذا الأمر هو شيء وراثي من الأسلاف البعيدين وإن هذا يعني أن الأسلاف يتكلمون في داخلي بأنه ينبغي في كل ربيع الاستيقاظ قبل الفجر من أجل الفلاحة، وكل نهاية صيف من أجل الحبوب. لذا ينبغي النوم ليلاً ملء الأحقان وأنا بقدر استطاعتي كنت أجهد نفسي كي لا أنام في النهار رغم رغبتني الجامحة.

أجلس بعد الغداء عند الدار على الأريكة الصغيرة وفجأة يهرول الشقيق أنطون ويبدأ الذهاب والإياب بما يدعو للغرابة وهو يمسح جبينه وعينه. ونحن كلنا اعتدنا على «اختلاجاته» في النوم وأنا أدركت أن هذه النقطة قد «أفلقت» فقفز مسرعاً إلى الحديقة قبل أن يصحو جيداً.

سألته: ماذا أزعجك ثانية؟

فأجاب: كلا، رأيت الآن حلماً مرعباً إذ ظهر لي في الحلم راهب أسود.

كان انطباع الراهب السود قوياً لدرجة أن الشقيق أنطون ظل قلقاً لفترة طويلة كما بقي يتكلم عن الراهب كثيراً إلى أن كتب أخيراً، عنه قصته المعروفة. ما زلت لا أفهم حتى الآن وما يثير استغرابي شيء واحد: لماذا يقول أنطون تشيخوف نفسه في رسالته إلى سوفورين بتاريخ ٢٥ كانون الثاني عام ١٨٩٤ (أي بعد نصف عام من الحادثة الموصوفة) التالي: «لقد رأيت في حلمي الراهب المندفع عبر الحقل وما إن استيقظت صباحاً حتى رويت لأخي ميخائيل ما تراءى لي في الحلم». هذه الحادثة لم تحدث صباحاً بل في الثانية ظهراً بعد القيلولة. وعلى فكرة، كان الوقت صيفاً بينما الرسالة تمت كتابتها شتاءً لذا ليس من الغرابة النسيان أيضاً.

مرت الشهور. وكانت ميلخوفو تتبدل يوماً بعد يوم. ثمة لحظات عندما كانت لحظات الفرح والسرور تغمر أنطون تشيخوف وحده إلا أن الباسور لم يمنحه الهدوء والسكينة بل كان يعيقه عن العمل ويوصله إلى السوداوية والأفكار الكثيرة ويجعله سريع التهيج والغضب بسبب تفاهة ما ناهيك عن السعال الذي يضجره. وكان قلقه خاصة في أوقات الصباح. ومن غرفة الطعام تسمع الأم ويفينيا ياكوفوفنا هذا السعال وتظران بحسرة. وقالت الأم بشيء من الغم:

تملكه السعال طول الليل.

بيد أن أنطون تشيخوف لم يعر أدنى التفاتة لحقيقة أن حالته الصحية سيئة. فهو كان يخشى تكديرنا وربما هو نفسه لم يشعر بخطورة الوضع أو إنه حاول خداع الذات. في كل الأحوال كتب إلى سوفورين أنه سيشرب الكينا ويتناول أية أنواع من المساحيق إلا أنه لن يبيح لنفسه الإصغاء إلى أي طبيب. ذات مرة أنا نفسي رأيت بلغم الكاتب الملون بالدم. وعندما سألتها عن حالته شعر بالتكدر وارتعب من هفوته وسرعان ما غسل البلغم وقال:

إنها ترهات.... لا لزوم لقول شيء لماريا والأم.

إضافة إلى كل هذا شعر بألم مبرح في الصدغ الأيسر والذي بسببه حدث خطفان مضجر في العين (عتمة). ولكن كل هذه الأمراض تملكته من خلال الأزمات والنوبات. ستزول - ولن تزول. وأنطون تشيخوف يعود ثانية إلى مرحه وعمله - صارت أمراضه أثراً بعد عين. أدى وضع ميلخوفو على الطريق الكبير من لوباسنيا إلى كوشير إلى كثرة زيارات الضيوف إلى أنطون تشيخوف من مجالس الإدارة المحلية ومالكي الأراضي سواء كانوا من المعارف أم لا. وفي صيف عام ١٨٩٣ اكتظت ميلخوفو بالبشر بحيث لم يعد ثمة مكان لأحد. كانوا ينامون على الأرائك و عدة أشخاص في الغرفة الواحدة حتى إنهم كانوا يبيتون على أكوام الحشائش والأعشاب المجففة. فالكتاب والفتيان من مبجلي الموهبة ورجالات المجالس والأطباء المحليين وبعض الأقارب البعيدين مع أبنائهم، جميعهم اجتازوا ميلخوفو بالدور مثلما هي

الحال في صندوق الدنيا. كان أنطون تشيخوف وفي هذا الجو هو المركز الذي تركز حوله اهتمام الجميع إذ كانوا يبحثون عنه ويسجلون حديثاً صحفياً، معه وكل كلمة من كلماته كان يتم إدراكها بسرعة البرق. بيد أنه كان يؤم ميليخوفو أيضاً أشخاص كانوا يفهمون الرقة والوداعة بشكل سيء، وصيادون يقتحمون المكان مع كلابهم رغبة منهم بالصيد في الغابات التشيخوفية. وفاتة أخرى رأسها «يشبه مسكة الكونترباس» كما حدده أنطون تشيخوف والتي كان لا يجتمع هو نفسه ولا أسرته معها إذ كانت تزور ميليخوفو وتشغل غرفة كاملة بلا أدنى حياء أو خجل وتقضي أسابيع بأكملها. وعندما كان أحد من أهل البيت يذكر لها بلطف ووداعة أنه آن الأوان كي تفهم الأمر كانت تجيب على الفور:

أنا في ضيافة أنطون تشيخوف ولست في ضيافتكم. غالباً ما كان يزورنا الجار الذي كان يضجرنا بكذبه إذ كل عبارة يبدوها بشكل كي لا يزل لسانه مسبقاً:

إذا كنتم تريدون - فصدقوني، وإذا لا - فلا.....الخ.

في هذا الوقت تقريباً قام الكاتب م.و. مينشيكوف بزيارة إلى أنطون تشيخوف في ميليخوفو. كان الشخصية الرئيسية في مجلة «الأسبوع» آنذاك وفي الكتيبات التي تضمنت مقالاته. ورأى الجمهور أن مقالاته تحتوي آراء السعادة على الأرض. وهو بتأثره الواضح بفلسفة ليف تليستوي، دعا مينشيكوف إلى الأرض وإلى العمل وإلى الاندماج بالطبيعة. كنا نعرف أن مينشيكوف ضابط بحري سابق وفجأة ظهر في ضيافتنا في لباسه المدني وحذائه الخارجي المطاطي والمائطو القطني الدافئ بياقة عالية ومظلة مطرية كبيرة رغم الطقس الصيفي الجاف.

وكان اقرب إلى القندلفت أو القارئ السطحي منه إلى الأديب بوجنتيه الورديتين النافرتين ولحيته الصهباء. ولم نتبين ظرافته كما تدل على ذلك مقالاته في كتيبات (الأسبوع)، والحق يقال تنفس الجميع الصعداء في ميليخوفو عندما غادر المكان وفي وقت لاحق، على ما يبدو في عام ١٩٠٢

عندما كان يعيش في بطرسبورغ ظهر مينشيكوف عندي وقضى السهرة بالكامل صامتاً فجأة. لم أكن أعرف حول أي شيء أتحدث معه. وفجأة تبين هدف مجيئه إليّ. فهو قد ألّمح لي بوضوح بأنه يود لو تمكنت من التعاون معه في «العصر الحديث» وبأنني أستطيع مساعدته بتقديم الحماية له، لأنه يعرف أن الكسي سوفورين مقرب من عائلتنا. لم أعده بشيء ولكن من المحتمل أن يكون مينشيكوف قد وجد إمكانات أخرى للنفوذ إلى «العصر الحديث» لاسيما أخذت (رسائله إلى الأنسباء) تظهر سريعاً في هذه الجريدة، وكانت بعيدة للغاية عن كتاباته السابقة في «الأسبوع»، وفيما بعد صار واحداً من المحررين الرئيسيين في (العصر الحديث) حيث نظروا إليه بمودة ولطف، وكما سمعت كانوا يدفعون له جيداً لقاء أتعابه.

لنعد إلى ميلخوفو

في لحظة من لحظات الصراحة قال لي مساعد رئيس قضاء الشرطة:

تقرر تخصيص رقابة سرية على شقيقكم أنطون ونحن تلقينا خبراً عن هذا الأمر.

وعلى الأرجح أنه ولهذا السبب سرعان ما حضر إلى أنطون تشيخوف شاب في زي عسكري قدم نفسه كطبيب لأجل التعارف. أخذ يستوضح عن شؤون السياسة وشكا بمرارة من أن والده حسب زعمه كان دركياً وهو يرى هذه النقطة لعنة حياته، وأخيراً انتقل إلى المواضيع الشائكة بأنه لم يكن من الصعب اكتشاف الجاسوس فيه. حضرت هذا الحديث ولم يكن ساراً بالنسبة إليّ رؤية هذا الشخص وهو بهذه الصراحة.

كان أنطون تشيخوف يشعر بالحرية الكاملة في محيط أصدقائه المقربين وينقل عدوى هذا المرح والفرح إلى الجميع. في بعض الأحيان كان يحب التنزه في (دوقيته) أو إلى الدير القريب - صحراء دافيدوف. جهز أنطون تشيخوف العربة الخفيفة والمضمار وارتدى البدلة الرسمية وشق طريقه. وفي الخلف جلست ليكا أوناتاشا لينتفاريقا. ومنحت البدلة الرسمية والقشاط لنقل

الحركة أنطون تشيخوف الحجة كي يسمي نفسه (عسكري من الخيالة) وخلفه عربة بأربعة دواليب مملوءة بالضيوف.

عاش عندنا في ميلخوفو بصورة دائمة شخص متعلق بعائلتنا اسمه ألكسندر إيفانينكو<sup>(٦٢)</sup> واستضفنا آخرين كثيرين. فالفنان و.إيه.براز قضى شهراً كاملاً في ضيافتنا إذ رسم بورتريه أنطون تشيخوف<sup>(٦٣)</sup> لأجل متحف تريتيكوف<sup>(\*)</sup> كما حضر إلى داره عدد من الشخصيات المحلية.

كان أنطون تشيخوف يحتمي كثيراً بطبيب مستوصف سيربوخوف - فيتيه وبطبيب الصحة پ.ي.كوركين الذي صار لاحقاً عالماً معروفاً وترك للأجيال عدداً من الأعمال في الأدبيات الطبية. كان تشيخوف يحبه جداً وتراسل معه فترة طويلة وبعدها من خارج البلاد ومن يالطا وهذا هو بالذات الدكتور كوركين الذي أنجز الخارطة أو البيان الإحصائي. أطلع الدكتور أستروف، إيلينا أندرييقتا عليه في (الخال قانيا) وكان طبيباً عالماً حقيقياً. وعندما كنت أزوره كان يدهشني أن جميع جدران الشقة مغطاة بالكامل بكل أنواع البيانات والجداول التي تمكّن خلال لحظة، استقصاء كل ما يخص سكان قضاء سيربوخوف بحيث أنه لولا أعماله لكان المرء يحتاج لسنوات كاملة لتحقيق مطلبه.

ومن الشخصيات المحلية الأخرى التي كان أنطون تشيخوف يحبُّ اللقاء معها هو طبيب مستشفى المجلس المحلي إيفان غيرمانوفيتش فيتيه هذا المنظم الموهوب والجراح الجريء. والمستشفى التي يملكها هو نفسه كان يشارك في

---

(\*) تأسس متحف تريتيكوف في عام ١٨٥٦ وفي عام ١٨٩٢ أهدى تريتيكوف متحفه إلى موسكو. عاش المؤسس بافل ميخائيلوفيتش تريتيكوف سنوات ١٨٣٢ - ١٨٩٨ وهو حام للفنون وجامع التحف الفنية ومؤسس الفاليري المشهور باسمه. هو تاجر لعب دوراً بارزاً في تطوير الفن ونشر الفن الواقعي الروسي.

أجرى تريتيكوف، في البداية مباحثات عن بورتريه تشيخوف مع إيلياريبين (١٨٤٤ - ١٩٣٠) إلا أن ريبين اعتذر بسبب انشغاله - المترجم.



عملها وهي ليست نموذجية في القضاء فحسب بل في سائر أنحاء روسيا. كان إيفان فيتية كريماً إلى أبعد الحدود وشقيقه في سيروبوخوف كانت المأوى والملاذ حتى لأنطون تشيخوف عندما كان يسافر إلى هناك لقضاء بعض الأشغال. وكان فيتية من هواة زراعة الورود. ففي حديقة المستوصف الصغيرة كنت ترى تلك الزهور التي يمكن مصادفتها فقط في المناطق الاستوائية الأكثر حرارة. وقبيل رحيله أضحى فقيراً معدماً فاقداً بصره وكان عليه أن يفترق عن طفله وينتقل إلى القرم حيث ينهي هناك أيامه. كتب لي أنطون تشيخوف من هناك: (اكتب لي. سوف يسره هذا) ولكن سرعان ما فارق إيفان فيتية الحياة.

وبغض النظر عن اكتظاظ الناس في ميلخوفو فقد كان ثمة شعور بالتجهم تماماً لو كان شيء ما موجوداً ورحل دون رجعة، أو تماماً كما لو أننا جميعاً شخنا عشر أو عشرين سنة وبدأنا نفقد الاهتمام بكل ما كنا نراه واسعاً إلى الآن.

سافرت (ليكا الرائعة) فجأة إلى باريس<sup>(٦٤)</sup> ثم لحق بها بوتابينكو وانتابنا شعور بأننا دفناً أحداً ما إلى الأبد ولن نراه ما حيناً.

بسبب زحمة الناس الدائمة لم يعد هناك مكان في الدار وقد فكر أنطون تشيخوف، قبل هذا الوقت أيضاً، في بناء ملحق عند البركة المحفورة تماماً أو أبعد في قطعة أخرى إلا أن هذا لم يتحقق تماماً وعوضاً عن هذا البناء تم بناء الملحق مكان الدار الكبيرة نفسها إذ تم تشييدها ثانية. وظهر حوش جديد للقطعان وفيه كوخ ببئر وهو مبني على الطريقة الأوكرانية، حوض استحمام وعنبر وتحقق أخيراً حلم أنطون تشيخوف - جناح جانبي. وهي دار صغيرة فيها غرفتان صغيرتان في إحداها تم وضع سرير بصعوبة، وفي الأخرى مكتب. في البداية تم تخصيص هذا الجناح فقط لأجل الضيوف. بعد ذلك انتقل أنطون تشيخوف نفسه إليها حيث أنجز فيها «النورس». يتوسط هذا الجناح شجيرات مثمرة ومن أجل الدخول إليها ينبغي اجتياز حديقة التفاح. وفي الربيع حيث تزهّر أشجار الكرز والتفاح يصبح من الممتع العيش في هذا

الجناح. وفي الشتاء يتغطى بالثلوج لدرجة أنه يجب حفر خنادق بعمق طول الإنسان.

أدى انتقال أنطون تشيخوف من موسكو إلى ميلخوفو لأجل الإقامة الدائمة. واستقر الكاتب تشيخوف هناك وأدى إلى اكتساب معارف رسمية. لقد انتخبوني مع أنطون تشيخوف في عضوية مجلس الصحة. وبهذا بدأ نشاط الكاتب في المجلس المحلي. وصار يشارك مباشرة في شؤون المجلس وبناء المدارس وترأس قطاع الكوليرا. ولم يحدث أي نشاط اجتماعي إلا وكان له يدٌ فيه. ومن هذه الناحية كان يشبه كلياً عمنا ميتروفان ايغوروفيتش. وكانت الأوراق المختلفة ترد ويحملها فلاح مساعد لشرطة الريف، وهذا المساء كان يخدم في إدارة بافيكين التابعة إدارياً لمنطقة ميلخوفو وهو نفسه الذي أدرجه تشيخوف (بشأن الخدمة). وفي «الشقيقات الثلاث» هو إنسان غير عادي اجتاز عتبة الثلاثين عاماً ومع ذلك كانوا يهضمون حقه: الشرطة والقضاء وضريبة الإنتاج وإدارة المجلس المحلي وما إلى ذلك وهو كان يلبي مطالبهم حتى المنزلية منها دون أننى تذمر وعن وعي، إذ جاز التعبير: بغفوية الخدمة.

الهيئة العامة  
السورية للكتاب



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

عام الجوع ١٨٩٢ - نشاط أنطون تشيخوف الاجتماعي لمساعدة الجائعين - تشيخوف في نيجني نوفوغورود - الإشراف على قسم الكوليرا - زيارات أنطون تشيخوف إلى كبار المسؤولين طلباً للمساعدة - جبول ليغرا في ضيافة تشيخوف - إدراك تشيخوف لجدية مرضه - في احتفالات ياروسلاف - مسرحية «المفتش» المهيبة - تكريم ليونيد نيقولايفيتش تريفلوف - أول عرض لمسرحية «النورس» في بطرسبورغ - التبرع بمكتبة أنطون تشيخوف إلى تاغانروغ - الفنان المعماري شاخثال - مشاركة تشيخوف في الإحصاء الشعبي - انطباعات عن ميلخوفو في إبداع أنطون تشيخوف - مشروع تنظيم دار الشعب - نوبة في ((الأرميتاج)) - تشيخوف في نيس وباريس - وفاة الأب - أنطون تشيخوف في يالطا - بناء المنزل الصيفي - انتخاب أنطون تشيخوف إلى أكاديمية الشرف - قدوم المسرح الفني إلى القرم - زواج أنطون تشيخوف - الوفاة والتشييع.

في ربيع عام ١٨٩٢ أخذت تظهر في المجتمع والصحافة تخوفات من أن جميع احتياطات الحبوب في البلاد وبسبب قحط السنة الفائتة قد نضبت ولا يعدنا العام الاقتصادي الجديد بشيء. وببساطة - لن يكون هناك محصول.

سرعان ما تأكدت هذه التخوفات إذ بعد فترة الجفاف الشامل في فصلي الربيع والصيف داهم البلاد خريف وشتاء وتم عدّ مناطق عديدة جائعة أو كما قيل وقتذاك لأجل تهدئة الرأي العام (منكوبي انعدام المحصول) لم يكن أحد

يشعر، بهذا الجوع في العواصم. و ظل في المدن رغيف الخبز الإفرنسي كالسابق يساوي خمسة كوبيكات ولم يحس أحد بأي نقص. كان الجوع في (مكان ما هناك) وعندما بدأ القمح يرد من الخارج لتوزيعه على الجائعين بمبادرة من راعي الكنيسة الهولندية البطرسبورغية غيلوت فإن الأشخاص الذين جلبوه احتفلوا بالشمبانيا وألقوا الخطابات في المطاعم والتهموا كل شيء حتى الشبع. وإلى جانب المساعدة الحكومية الضعيفة للسكان وفي ذروة المحنة ظهر نشاط واسع لبعض الجمعيات والأفراد

لم يستطع أنطون تشيخوف البقاء لا مبالياً تجاه هذه الحركة إذ شرع في جمع التبرعات وشارك في المجموعات الأدبية المختلفة الصادرة لأجل مساعدة الجوع. وقد كانت محافظتنا نيجني غورود وفارونج في مقدمة منكوبي الجوع. وفي الأولى كان ثمة شخص من معارف تشيخوف واسمه يه.ب.ايغوروف الذي يشغل الآن هناك منصب رئيس المجلس المحلي وهو مثالي كبير. تراسل تشيخوف معه ونظم اشتراكات في جمع التبرعات، وتوجه شخصياً في الشتاء القاسي إلى محافظة نيجيغورود. وهنا في أثناء تنظيمه مسألة المساعدة للسكان كاد أن يهلك إذ انحرف عن الطريق في أثناء العاصفة الثلجية وأخذ يتجمد ويتوقع نهايته<sup>(٦٥)</sup> وقد تمكن هو وايغوروف، مع كل ذلك، من تأمين أحصنة النقل والشغل لفلاحي قرى نيجيغورود.

في ذاك الوقت حكم نيجني نوفوغورود الشخصية القوية المحافظ العسكري ن.م.بارانوف. وهو نفسه ذاك البارانوف الذي شن هجوماً في شبابه، في أثناء الحرب الروسية - التركية عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ودون إذن من القيادة، على الدارعة التركية فأغرقها في القاع، لذا تعرض لمحكمة عسكرية بتهمة وجهها إليه رئيسه الأدميرال راجديسفينسكي الذي تنازل، لاحقاً عن الأسطول الروسي كله لليابانيين بالقرب من تسوسيم. وفي أثناء مكافحة الكوليرا أمر بجلد التاجر كيتايف لأن هذا الضيق الأفق البشوش قال للمشتريين إنَّ الكوليرا أصلاً غير موجودة. وعندما قدم أنطون تشيخوف إلى هذا المحافظ العسكري رأى عنده من شتى أصناف البشر الذين كانوا يقدمون

خدماتهم. وأكثر مَنْ حصل على مثل هذا الامتياز عسكري متقاعد لم يترك بارانوف يرتاح ولو لدقيقة واحدة إذ كان يلاحقه ويتوسل إليه:

أيها الأب القائد! أنا جاهز! أرسلني إلى هناك! أيها الأب القائد!...

توجه أنطون تشيخوف مع سوفورين فيما بعد إلى محافظة فارونج<sup>(٦٦)</sup> إلا أنه، وكما تبين، كانت السفرة فاشلة. ومثلما هي الحال في نيجني نوفغورود أفلقتة وأزعجته في فارونج ولائم الغداء المهيبة التي استقبلوه فيها هناك بصفته كاتباً.

ومن الغرابة بمكان أن تسمع شيئاً عن الجوع وترى في الآن ذاته الحضور في ولائم الغداء حيث المحافظة كلها تعاني من الجذب، وعلى فكرة كان من المستحيل العبور دون وثائق واضطر الأمر إلى السفر إلى مدن المحافظة بغير إرادتنا. وقتذاك كانت صحافة الأقاليم مهملة وكانت محصورة فقط «بجداول المحافظة» التي قد تم إتلافها في معظم الحالات وتحولت إلى معاوني المحافظين الذين دققوا فيها. فضلاً عن هذا قيدت سفرة أنطون تشيخوف سوية مع سوفورين قيده وحرمته من استقلالية الحركة. فهو أراد تحقيق نشاط شخصي فوار، كما روى لي فيما بعد، والذي جرى تحقيقه، لاحقاً، في مكافحته الكوليرا الداهمة.

كانت الكوليرا على الأبواب. اجتاحت كل جنوب روسيا وفي كل يوم كانت تقترب أكثر فأكثر من محافظة موسكو. وصارت الإصابة بها أوسع فأوسع لأنها وجدت لنفسها تربة ملائمة في أوساط السكان المنهوكين بسبب الجوع خلال فصلي الخريف والشتاء. كان من الضروري اتخاذ إجراءات عاجلة. وجرى العمل على قدم وساق في قضاء سيربوخوف إذ تمت دعوة الأطباء والطلبة بيد أن القطاعات كانت كبيرة ورغم الأمنيات الطيبة فإن المجلس المحلي ظل عاجزاً في حال ظهور الكوليرا. وعند ذلك تم تكليف أنطون تشيخوف بصفته عضواً في المجلس الصحي وطبيباً بترؤس قسم الكوليرا. وقد وافق على الفور بالمجان ودون أي مقابل.

كان العمل المطلوب منه قاسياً. ولم يكن المجلس المحلي يملك إمكانيات مادية إلا خيمة مصنوعة من قماش الشراع، ولم يجد أنطون تشيخوف في كل القطاع أية تخشبية (برّاقة) لذا اضطر إلى زيارة أصحاب المعامل المحليين والتذلل أمامهم وإقناعهم بأنه سيتخذ كل الإجراءات التي يقدر عليها في مكافحة الكوليرا. ومن خلال رسائله إلى سوفورين حول استقبال بعضهم من ذوي المناصب العالية الذين كان يتوقع منهم العون الكامل، ويصف فيها زيارته إلى الكونتيسة آرلوف - دافيدوفا وإلى الأرشمندريت الشهير مالك الملايين. ولكن كان هناك أشخاص استقبلوا، بكل حمية، هموم أنطون تشيخوف وهم أنفسهم اقترحوا عليه إقامة مبانٍ بالقرب من «البرّاقات» وتجهيزها بما يلزم، ومن هؤلاء أصحاب معامل محليون من الفلاحين مثل الأخوان س.وآ. تولوكونيكوف.

وبغض النظر عن كل شيء فقد تكلفت جهود أنطون تشيخوف بالنجاح إذ سرعان ما تمت تغطية القطاع والذي تقع فيه حتى ٢٥ قرية، بشبكة كاملة من المؤسسات الضرورية. ولم ينزل الكاتب، لعدة أشهر تقريباً، من المركبة. في هذا الوقت كان يلزمه التجوال في أرجاء القطاع واستقبال المرضى في داره وممارسة الفن الأدبي. كان يعود إلى الدار مرهقاً إلا أنه تمالك بقوة متظاهراً كما لو أنه قام بأعمال لا تستحق الذكر وألقى بعض النكات، وكالسابق أضحك الجميع وأجرى أحاديث مع هينكا عن أمراضها المفترضة. وأنا أيضاً تم تعييني قِيماً صحياً على سلوبودا الكبيرة والكثيرة السكان.

أدى النشاط في مكافحة الكوليرا وتعارف أنطون تشيخوف مع أعضاء المجلس المحلي الريفية إلى انتخاب الكاتب في المجالس المحلية العلنية. وصار أنطون تشيخوف يحضر اجتماعات المجالس ويشارك في دراسة العديد من المسائل بكل حمية ورغبة. ولكن أكثر ما أثار اهتمامه صحة الشعب وتعليمه. وشعوراً منه بالعجز الكامل في دراسة الكشوفات والمواصفات وطلبات الالتماس إلى المؤسسات الحكومية العليا اهتم بكل حيوية ونشاط بالمشروعات الخاصة بشق طرق جديدة وتدشين مستشفيات ومدارس جديدة. كان دوماً رائداً يبحث عن وسائل لمساعدة الفقير والمحتاج وتحقيق ما يلزم

للفلاح. فهو يعمل تارة على بناء مركز إطفاء و تارة أخرى وبرجاء من الفلاحين يبني برج أجراس بصليب زجاجي يضئ بفضل الشمس وفي ظل القمر تماماً مثل المنارة في البحر بحيث يكون كل شيء مرئياً من بعيد أي على أكثر من ١٣ كم وما إلى ذلك.

في وقت من الأوقات يحتاج أنطون تشيخوف تعطش غير طبيعي للحياة. وهذا كان جلياً بالنسبة إلينا جميعنا. لا نرغب في عمل شيء إذ تدور في خلد سفره ما بعيدة بقدر الإمكان، إلى الجزائر أو جزر الكناري كي يحقق أحلامه. فهو عليه أن ينجز عملاً أدبياً، وفي حالات أخرى ليس في حوزته نقود، وأحياناً يفكر أن العيش في ميلخوفو هو قمة الهناء وأنه لا يرغب بالسفر. فهو لم يكن قادراً على تحقيق أحلامه بصدد السفر إلى مسافات بعيدة لذا بدأ يعتتي أكثر فأكثر بوروده وبالخزامى والسوسن والزنبق ويزرع أشجار الفاكهة ويتابع باهتمام النمو الكاسح للصنوبرات التي زرعها.

زارنا العالم والكاتب الإفرنسي جيول ليغرا في ميلخوفو<sup>(٦٧)</sup>. كان أنطون تشيخوف يعشق جمع الفطر لذا كان يجول كل صباح في الأماكن الخاصة به، ويعود إلى الدار مع كمية من الفطر الأبيض وغيره من أنواع الفطر. ويسير وراءه الكلبان حنة وبروم. و زاره هو منهمك في هذه الهواية بروفيسور جامعة بوردو - جيول ليغرا القادم إلى روسيا وزار تشيخوف في ميلخوفو. وهو يصف في كتابه «Au pays Russe» أي «في البلاد الروسية» لقاءه الأول مع أنطون تشيخوف: «ينطلق لاستقبالي بمشيته البطيئة وبرفقة الكلبين القصيري القوائم والمضحكين. لا يزيد عمره عن الثلاثين عاماً، طويل القامة، أهيف ذو جبهة كبيرة وشعر طويل يلقيه إلى الوراء بحركة آلية... فاطر في تعامله نوعاً ما ولكن دون تصنع ولا تكلف: من الجلي الواضح أنه يريد أن يحزر مع من يتعامل ويشعر بأن الآخرين، أيضاً، يدرسونه. وسرعان ما تزول لحظة التوتر الأولى: نبدأ الحديث بأن الفرنسيين قليلاً ما يعرفون عن الروس وأما الروس فهم أيضاً قليلاً ما يعرفون عن الفرنسيين وسرعان ما دار حديث ساخن.



وفجأة يقترح: ما رأيك، لنجمع الفطر؟

نتوجه نحو مستطيل من أشجار البتولا. نجمع الفطر ونواصل التحدث حول «مواضيع جدية». أتذكر هذا الإنسان - ليغرا فهو زارنا في ميلخوفو غير مرة. أشقر اللون ذو بروفيل فرنسي، ويرتدي قميصاً روسياً أحمر، ويحب احتساء شراب «الكفاس» كما يرتاح كثيراً بالصيد في غاباتنا. كان يحس بقيمة الهناء. لم يكن أحد يحظر عليه إطلاق خرطيش الصيد كما لم يستطع أحد تحميله مسؤولية سرقة الصيد، بينما في فرنسا فالأمور غير ذلك، وذاق عندنا سعادة الحرية النادرة بالنسبة إلى الفرنسي. وبعد عودتنا جلس إلى مائدة العشاء واحتسى كأساً من الفودكا، وقبل ذلك تناول شيئاً من المقبلات ثم أكل بكل شهية.

توجه أنطون تشيخوف إليه قائلاً:

جيول ليغرا! كلوا! فهذا «chien roti» أي «كلب مقلي».

في وقت لاحق سافر جيول ليغرا بحثاً عن قناة أوب - اينيس وكتب تقريراً عنها وسرعان ما تعلم التكلم بالروسية جيداً. وعندما غادرنا أرسلت معه التحيات إلى «ليكا الرائعة» التي كانت تعيش، آنذاك، في باريس وأجابني بأنه زار «ليكا الرائعة» هذه ونفذ ما كلفني به.

في عام ١٨٩٥ سافر أنطون تشيخوف إلى ياسنايا بوليانا بغية التعرف إلى ليف نيقولايفيتش تليستوي. لقد وصلت إلى أسماعه منذ فترة طويلة الأخبار بأن تليستوي يريد هذا التعارف وكان يزوره أصدقاء مشتركون<sup>(٦٨)</sup> بغية إحضاره إلى تليستوي إلا أنه كان يرفض دوماً لأنه لم يرغب بوجود مرافقين أو كما سماهم «وسطاء» وتوجه إلى ياسنايا بوليانا وحده. وبعد العودة من هناك عاد ثانية إلى هوايته بالشجر والزهور. لقد تغير كثيراً الآن وسرعان ما نلاحظ على الفور كيف أصبح متضمر الوجه وشاخ واصفرّ لونه.

صار ملحوظاً أنه حدث في ذاك الوقت عمل داخلي سري عنده، وأذكر كيف جرى التبدل بعد غيابي عنه لفترة شهر. كان يسعل ولم تعد لديه تلك

الحيوية كالسابق عندما كنت أروي له عن انطباعاتي عن أعماق الأقليم، والتي كان يصغي إليها بكل رغبة. كان واضحاً أنه هو نفسه الآن يدرك جدية مرضه ولكن كسابق عهده لم يبيث شكواه لأحد، وحاول إخفاء هذا المرض حتى عن الأطباء ويبدو أنه حاول حتى خداع نفسه. وعلى فكرة موضوع قصته «الزوجة» نقلتها له من ياروسلاف حيث أقدم أحد معارفي على إخباري هذه القصة على أن تبقى سراً بينهما وأما بعض تفاصيل قصة «القتل» فقد نقلتها له من أوغليش البعيدة.

وفي أوغليش هذه التقيت مع ي.آ.زابيلين المسؤول سابقاً عن منطقة تركستان التعليمية وهو الآن عجوز برجل مكسورة، يعيش متقاعدًا ويتمشى بصدرة سوداء ترتسم في داخلها نجمة. وبصفته مستشاراً سرياً كان يحصل على مجلات أجنبية من الرقابة باحثاً فيها على الدوام، لكن لم يكن هناك أحد على الإطلاق يعرف لغة أجنبية في أوغليش. وما إن سمع عن قدومي حتى زارني بنفسه لأجل هذه الرزمة الكاملة من المجلات الأجنبية.

هل يمكنكم العيش بعد ذلك بهدوء في ظل هذا النظام الشائن كما هو عندنا؟. هذه هي عبارته الأولى. مرحباً أيها العزيز الغالي. ما إن سمعت عنكم حتى شددت الرحال إليكم. وهل يمكنكم بعد التهادن مع مثل هذه الحكومة السافلة؟

كلماته هذه في الدقيقة الأولى أثارت استغرابي قليلاً.

نشر ألامي مجلات انكليزية وفرنسية وتابع:

اقرأوا ماذا يكتبون هنا عن طغائنا بل عن إيفان كرونشتاد!

إنها آسيا! هستيريا شعبية! ها هي مقالة جان فيكوفي «Revue des Revues» استغرب كيف لا يحترقون هناك في بيتزغوف (اسم مدينة بيترودفاريتس حتى عام ١٩٤٤ - المترجم) من الخجل! وهذه المغامرة الشرق أقصوية! يا إلهي، لماذا لا أزال أعيش في هذا العالم؟ لماذا لا أزال شاهداً على كل هذه الشناعات!

لم أقرأ المجالات التي جلبها لي ي.آ.زابيلين بل بكل بساطة التهمتها التهاماً. جلب لي رزمة أخرى أكبر من الأولى. وأنا شاكر له كل الشكر بأنه منحني الإمكانية كي أعرف ما لا يمكن معرفته على الإطلاق لولا فضله النبيل. بعد كل هذا شعرت أنني كبرت وصرت أكثر حصافة وذكاء وزالت عن عيني الغشاوة أو، بدقة، استيقظت بعد حلم طويل الأمد.

في حديثي عن ياروسلاف أود أن أروي بشكل عابر أنني تمكنت من حضور مناسبتين نادرتين تخصان أنطون تشيخوف. الأولى هي مرور مئة وخمسين عاماً على المسرح الروسي<sup>(٦٩)</sup> والثانية هي الذكرى الخمسون لميلاد الشاعر ليونيد تريفاليوف<sup>(\*)</sup>

من المعروف أن ياروسلاف هي مهد المسرح الروسي.

وقد حضر احتفال مسرح ياروسلاف أجداد جميع المسارح الروسية وممثلو الصحافة من العواصم الذين تمكنت من استئناف التعارف معهم، والشيء الرئيسي هو قدوم فرقة مسرح ألكسندر برناسة سافينا وفارلاموف، وقد قدم فنانون خارقون عروضهم في مسرحية ((المفتش)) التي شارك فيها فلاديمير دافيدوف ومارياسافينا<sup>(\*\*)</sup> وقسطنطين فارلاموف<sup>(\*\*\*)</sup>. وأنا لا أنكر أنني شاهدت مثل هذه الروعة في الأداء. فالفنانون لم يكونوا ملهمين

---

(\*) (١٨٣٩ - ١٩٠٥، شاعر روسي من المدرسة النكراشوفية. نظم أشعاراً عن وضع الفلاحين البائس تحولت إلى أغان شعبية وكتب في الأدب السياسي الساخر - المترجم).

(\*) (\*) (١٨٥٤ - ١٩١٥، ممثلة روسية، منذ عام ١٨٦٩ في الأقاليم، ومن عام ١٨٧٤ في مسرح ألكسندر وقد تربعت على عرش المجد المسرحي في مسرحيات نيقولا غوغول وإيفان تورغينيف وألكسندر أستروفسكي. ترأست الرابطة المسرحية كما أسست مأوى للفنانين المسنين - المترجم)

(\*) (\*) (\*) (١٨٤٩ - ١٩١٥، ممثل روسي، على خشبة منذ عام ١٨٦٧ وفي مسرح ألكسندر من عام ١٨٧٥. ربط فارلاموف في مسرحيات غوغول وأستروفسكي وغيرهما بين العمق السيكولوجي والتفاؤل الذي لا يئضب والإضحاك الساطع والحدة الساخرة - المترجم)

بالمسرحية نفسها أو بسبب الجمهور الذي حضر من جميع أرجاء روسيا بل لأنهم، كما قالوا لي بعد المسرحية ألقى على عاتقهم، أيضاً، شرف رفيع بالأداء في المسرح الروسي الأول وبالذات في مثل هذا اليوم العظيم بالنسبة إلى كل شخصية مسرحية.

تم الاحتفال ببوبيل ليونيد تريفاليوف في المسرح نفسه. كان الشاعر الياروسلافي تريفاليوف متواضعاً لا يحب الظهور، ولأجل خبزه اليومي اشتغل في مدرسة ديميدوف المحلية المتوسطة أميناً للسر كتب عدا هذا الشعر وترجم الكثير للشاعر البولوني سيروكومليا إلا أن عمله الأكثر شهرة هو (الفلاح كامارينسكي) الذي تحول إلى أغنية شعبية. وقد دارت فكرة لدى أحد السكان المحليين بتكريم بوبيل تريفاليوف. وسرعان ما ظهر أنصار لهذه الفكرة، فتم استئجار المسرح ليوم واحد، ورتبوا على خشبته منضدة هائلة مغطاة بالجوخ الأخضر، وتحلق حولها ممثلو الصحافة المحليون ومن هيئات السلطة المحلية الذين لا يشتهون بليونيد تريفاليوف. فرافقوه وأجلسوه في أبرز مكان. المحتفى به كهل أصلع يشبه غراباً منتوفاً. وقد أحسّ نفسه في وضع لا يحسد عليه ولم يعرف ماذا عليه أن يعمل وأين يضع يده. وكما عرفت لاحقاً أنه كان يجهل حتى برنامج السهرة ولا يعرف بماذا يرد على المرحبين به لأنه لم يلحق لفظ كلمتين. وهنا تعالى صوت:

يا ليونيد نيقولايفيتش! نصف قرن من العمل المثمر ونشاطك النافع.. الخ..

عزفت الموسيقى السلام الموسيقي. وغنى المغنون (المجد) وأما الشاعر المسكين فقد اكتفى بالنهوض وضم يديه على صدره على شكل صليب وانحنى كالرهبان في الاتجاهات الأربعة.

بيد أنني ساعدت ثانية إلى ميليخوفو

ففي الجناح الذي بناه أنطون تشيخوف لنفسه كتب مسرحيته «النورس». وأخرجها على خشبة مسرح ألكسندر في بطرسبورغ، سافر هو نفسه إلى هناك، وكتب بمرارة إلى أخته أن الجميع من حوله أشرار، صغار تافهون ومزيفون بحيث أن المسرحية، حسب كل الشواهد، ستكون كالحة

والمزاح عنده بين بين. وفي اليوم الأول من عرض «لنورس» زارته الشقيقة في بطرسبورغ وهي كما قالت لي لاحقاً بأنه استقبلها في المحطة وهو عابس ومتجهم وعن سؤالها ما الأمر، أجاب أنّ ممثلي المسرحية لم يفهموا، ولا يدركون الأدوار إطلاقاً ولا يصغون إلى المؤلف...

تم إخراج «لنورس» على شرف الممثلة الكوميديّة لفكييفا وتوقع الجمهور شيئاً كوميدياً في المسرحية أيضاً. وكما نقلت لي الأخت في الدار أنه جرت فضيحة منذ المشاهد الأولى من المسرحية. كانوا يضجون ويصرخون ويصفرون. ومثلما هي الحال في العرض الأول في موسكو لمسرحية «ايقانوف» حدث في مسرح ألكسندر تشويفش كامل وتحول كل شيء إلى فوضى عارمة. واختفى الشقيق أنطون من المسرح. بحثوا عنه في كل مكان وبالهاتف دون جدوى. وفي الساعة الواحدة ليلاً قدمت إلى سوفورين الأخت ماريا تشيخوفا التي كانت تتماسك بصعوبة بسبب الاضطراب والقلق الذي أصابها وسألت عن أنطون إلا أنهم هناك أيضاً لم يستطيعوا الإجابة بشيء. كتب لي الشقيق أنطون بطاقة: (المسرحية سقطت وفشلت) وعاد على الفور إلى ميلخوفو دون أن يودع أحداً في بطرسبورغ، وهكذا لم تستطع الأخت رؤيته حتى بعد المسرحية.

كان أنطون تشيخوف يكنّ مشاعر الحب للكتب. كان من يوم ليوم وبجهد جهيد يجمع كل الكتب الممكنة وجلب معه صناديق كاملة من العاصمة وتكونت لديه في ميلخوفو مكتبة كبيرة. وفي عام ١٨٩٦ تبرع بها إلى مدينته تاغانروغ لأجل المكتبة العامة. وعلى فكرة كان بين هذه الكتب أيضاً التي تلقاها من أصحابها وعليها الإهداءات. وعن طريقه صارت مكتبة تاغانروغ تمتلئ بالكتب أكثر فأكثر. وتحولت الآن إلى مؤسسة ثقافية رائعة في بناء مميز تم تشييده وفقاً لمشروع الأكاديمي فيودور شاخنل ومهدى إلى اسم الكاتب الراحل.

نحن نعرف فيودور شاخنل منذ ما لا يقل عن ثلاثين عاماً وهو ابن طبّاح من ساراتوف. سافر إلى موسكو في عام ١٨٧٥ وانتسب إلى مدرسة

الفن والنحت والعمارة وتصادق مع شقيقي نيقولاى. واستمرت صداقتهما حتى رحيل الفنان. وعندما كان شاختل لا يزال طالباً في صفوف العمارة كان يزورنا غالباً في عام ١٨٧٧ عندما كنا فقراء جداً. وما إن تشتكي الوالدة من أنه ليس لدينا حطب للتدفئة حتى يسرع شاختل ورفيقه هيلوس بجلب قطع الحطب الكبيرة إليها المسروقة من أكوام الغرباء على الطريق. وشاختل هذا المبدع المبتكر والموهوب بالفطرة وذو الطبع الرائع والاجتماعي سرعان ما تفوق على أترابه. وفي عام ١٨٨٣ في الاحتفال الشعبي الكبير في ميدان خودين في موسكو وبمناسبة تتويج ألكسندر الثالث تم تنفيذ موكب هائل (الربيع - أحرر) وفقاً لرسوماته ومنذ تلك اللحظة صارت شهرته تزداد يوماً بعد يوم. وقدم شاختل في (الأرميتاج) عرضاً باهراً أسطورياً لم يعرف مثيلاً له أي مسرح قبله. تكفي الإشارة إلى (رحلة إلى القمر) حيث أثار شاختل إعجاب الجمهور بكل الحيل والخدع المسرحية الممكنة. وقد بنى عدداً من المباني في موسكو والريف. وعلى فكرة شارك بنشاط في بناء الممرات التجارية العلوية، وأخيراً يعود الفضل له في بناء المسرح الفني بموسكو ونال لقاء هذا الإنجاز لقب أكاديمي فن العمارة<sup>(٧٠)</sup>. وبعد رحيل الشقيق نيقولاى نقل شاختل صداقته إلى أنطون تشيخوف وعده أفضل صديق له على الدوام.

في عام ١٨٩٧ شارك أنطون تشيخوف مشاركة نشيطة في الإحصاء الشعبي. وبسبب خبرته عرف كيف يقرب هذا العمل الإنساني من الشعب. ويعود الفضل له في إحصاء جميع سكان جزيرة ساخالين على نفقته الخاصة حتى في عام ١٨٩٠. وشارك آنذاك في الاستفتاء من جديد إذ درس الحياة الفلاحية في شتى مظاهرها وحدث تقارب قوي مع الجيران الفلاحين الذين كان مستعداً، حتى قبل ذلك، لمنحهم المشورة الطبية كطبيب وإنسان. وإن السنوات السبع من (الاستقرار في ميلخوفو لم تمر مرور الكرام عبثاً). وتركت بصماتها المميزة على إبداعه في هذه الفترة. وهو نفسه اعترف بتأثير ميلخوفو عليه. ويكفي تذكر عمليه (في الوهدة) و(الفلاحون)<sup>(٧١)</sup>. حيث تتخللها لوحات وشخوص ميلخوفوية. وقتذاك تملكه كلياً مشروع بناء دار

شعبية في موسكو. في هذا الوقت لم يكن هناك حتى أي ذكر للبيوت الشعبية في موسكو. كان القرويون يقضون أوقاتهم في دور تجار المشروبات الروحية الواقعة تحت تصرف أصحاب الخمارات. والبيت الشعبي حسب رأي أنطون تشيخوف يقوم على أساسات عريضة: مكتبات وقاعات مطالعة ومحاضرات ومتاحف ومسارح. الرأسمال الأولي نصف مليون روبل. ووضع فيودور شاخنل المشروع إلا أن أنطون تشيخوف لم يتمكن من تحقيق هذا المشروع لأسباب تتعلق به.

في آذار عام ١٨٩٧ استقبل المرض عند الشقيق أنطون ودون أن يشك بشيء غادر ميليخوفو إلى موسكو حيث كان سوفورين بانتظاره وما كادا يجلسان في (الأرميتاج) لتناول الغذاء حتى نفر الدم من رئتيه. ورغم اتخاذ الإجراءات العادية فإن نزيف الدم لم يتوقف.

يصف العجوز سوفورين هذه المصيبة في (يومياته)، ولأجل التوضيح سأدرج في ملحوظاته شروحاتي الخاصة بين قوسين: (اليوم الثالث على التوالي والدم يتدفق من حلق أنطون تشيخوف عندما جلس حول مائدة الغذاء في (الأرميتاج). طلب ثلجاً ونحن غادرنا المكان قبل أن نبدأ الغذاء. اليوم عاد إلى حالته الطبيعية في (ب.موسكو) (فندق أوفس).

استقر عندي ليومين (في غرفة عند سوفورين في فندق (البازار السلافي) إلى حيث أحضره العجوز من (الأرميتاج). ارتعب من هذه النوبة وقال لي إنّ الوضع صعب للغاية. (ولأجل تهدئة المرضى (قال تشيخوف) نحن نقول في أثناء السعال بأنه معدي، وفي أثناء النزيف هو باسوري بيد أنه لا وجود لسعال معدي وأما النزيف فلا بد آت من الرئتين. والدم عندي ينزف من الرئة اليمنى كما هي عند شقيقي وقريبة أخرى لي فارقت الحياة من السل (الرئوي) ... البارحة (أنا سوفورين) استيقظت في الخامسة صباحاً ولم استطع النوم ولا دقيقة واحدة. كتبت رسالة قصيرة إلى تشيخوف وحملتها بنفسني إلى (ب.موسكو) (فندق أوفس) ثم تنزهت في الكرملين على الضفة نحو سباس



وعدت إلى (البازار السلافي) وفي الساعة السابعة عدت إلى الفندق. تمددت وغطت في النوم فترة من الوقت وفي الحادية عشرة وصل الدكتور أبالونسكي قادماً من عند تشيخوف، وقال إنه لدى تشيخوف وفي الساعة السادسة صباحاً نهر الدم ثانية من الحجرة ونقله إلى مستوصف استراوموف في ميدان ديفيتشه. يجب معرفة أنه في ١٤ آذار صباحاً عندما كنت لا أزال نائماً (وعندما قضى تشيخوف مدة يوم كامل بعد الغداء المذكور في (الأميتاج) في غرفة سوفرونوف) ارتدى تشيخوف وأيقظني وقال إنه ذاهب إلى الفندق. وعندما لم ألح عليه بالبقاء (عندي) استند إلى أنه (لديه في الفندق) عدد كبير من الرسائل وأنه ينبغي عليه مقابلة الكثيرين الخ. كان يتكلم ليوم كامل وشعر بالتعب وعادت الأزمة إليه في الصباح. زرت تشيخوف في المستشفى البارحة مرتين. المستشفى غير نظيفة ولكن مع ذلك هي مستشفى وفيها مرضى. تناولنا الغداء في الممشى في غرفة خاصة. كان تشيخوف يرقد في النمرة ١٦/ أي بعد عشر نمرات عن (العنبر رقم ٦) حسبما ذكر أبالونسكي المريض وهو يضحك وينكت كعادته ونفث الدم في كوب كبير. وكنت قد قلت إنني رأيت كيف جرى الجليد في نهر موسكو فتبدلت علامات وجهه وقال: (هل أخذ النهر يتحرك؟) وأنا تأسفت لأنني نطقت بتلك العبارة. على الأرجح ورد في خاطره عما إذا كانت ثمة صلة بين النهر الذي يذوب جليده ونفث الدم.

منذ عدة أيام قال لي: (عندما يشفى الرجل من السعال الرئوي فهو يقول: (هذا لن يساعد. سأغادر مع ذوبان الربيع) («اليوميات»، ص ١٥١). وما حدث مع أنطون تشيخوف في أثناء الغداء في (الأميتاج) وبعد ذلك في الأيام التالية نحن لم نعرفه إلا في فترة لاحقة. ولكن بالنسبة إلينا، عائلة تشيخوف وبعد ظهور (يوميات سوفورين) إلى النور ظهرت مفاجأة غير متوقعة أبداً وهي أنه بعد الأزمة التي أصابت أنطون تشيخوف لم يمكث في داره يومين كاملين بل في الغرفة التي يشغلها ألكسي سوفورين في فندق (البازار السلافي) حيث حظي، بلا شك، بعناية أبوية. وعندما أدخلوا أنطون



تشخوف إلى المستشفى كنت أنا بعيداً في الفولغا بينما كانت الأخت ماريا تشخوفا تقيم في ميلخوفو دون أن تعرف شيئاً. وما إن وصلت إلى موسكو حتى قابلت، ولاستغرابها الشديد، في المحطة الشقيق إيفان تشخوف الذي أعطاهما بطاقة لزيارة الكاتب المريض في المستشفى وعلى البطاقة عبارة: (رجاء لا تقولوا شيئاً للأم والأب). وبإلقائها نظرة إلى الطاولة الصغيرة رأيت عليها رسمة الرئتين علماً أن الجزء العلوي من الرئة اليسرى مخطط بقلم أحمر ناشف. وسرعان ما حذرت أن الإصابة في هذا الجزء بالذات. وأنطون تشخوف الدائم الهمة والحيوية والمرح والنشاط يشبه الآن مريضاً عليلًا. كان محظوراً عليه التحرك والحديث ناهيك أنه هو نفسه لم تكن لديه القوة الكافية لذلك. وعندما نقلوه من الغرفة المنفردة إلى العنبر الكبير فإن أخته التي زارته ثانية رآته يمشي فيها إلى الورااء وإلى الأمام وهو يرتدي المريول ويقول: (كيف استطعت أن يفوتني هذا الوضع؟) وقد زاره في المستشفى ليف تلتسوي الذي تحدث معه عن الفن.

مهما يكن الأمر فالوضع الآن إذ من المؤكد أن لدى أنطون تشخوف تدرن في الرئتين ومن الضروري الآن التخلص منه مهما كلف الأمر والهروب من الربيع الشمالي ذي الطقس الرديء.

بعد خروجه من المستشفى عاد أنطون تشخوف إلى ميلخوفو وعجل في الكتابة إلى ألكسندر آرتيل (\*) عن وضعه الصحي: (حالتي الصحية رائعة، لا يؤلمني شيء ولا شيء يقلق راحتي داخلياً إلا أن الأطباء حذروا علي، الحركة والأحاديث وأمروني أن آكل ومنعوني من أية ممارسة - كما لو كنت أحس بشيء من الضجر) (١٧ نيسان عام ١٨٩٧). بعد ذلك شرع يفكر بالسفر خارج البلاد. رحل في البداية إلى (بيارتيس) (مصيف فرنسي) إلا أنه اصطدم هناك بطقس رديء ظل على هذه الحال طول الوقت وشعر بأنه غير مرتاح ومن ثم انتقل إلى نيس واستقر هناك فترة طويلة في (Pension Russe)

---

(\*) (١٨٥٥ - ١٩٠٨، كاتب روسي، روائي، يكتب من وجهة نظر متطور ديمقراطي

وقدم لوحة واسعة لحياة روسيا في ثمانينات القرن التاسع عشر - المترجم)

في شارع غونود. أرضته الحياة هنا، على ما يبدو، إذ ارتاح للدفع والتتور الثقافي وعشرة أشخاص يزورونه من أمثال مكسيم كوفاليفسكي(\*) وف.م.سابالوفسكي وفلاديمير ايفانوفيتش نيميروفيتش - دانتشينكو(\*\*)

وفاليري ايفانوفيتش ياكوبي(\*\*\*) كما زاره ايجناتي بوتابينكو وألكسندر يوجين سومباتوف الذين كان أنطون تشيخوف يسافر برافتهما إلى مونت كارلو ويخسر في الروليت.

قضى أنطون تشيخوف الخريف والشتاء في نيس، وفي شباط ١٨٩٨ نوى السفر إلى افريقيا إلا أن البروفسور مكسيم كوفاليفسكي الذي أراد السفر معه إلى هناك أصيب بوعكة صحية لذا ألغيت السفرة. فكر أيضاً بالسفر إلى جزيرة كورسيكا إلا أن الفكرة لم تتحقق. بالإضافة إلى هذا عانى في هذا الشهر في نيس مرضاً جدياً. فطبيب الأسنان الفرنسي لم يكن ماهراً إطلاقاً في قلع الأسنان ولم تكن كلابة الطبيب نظيفة مما أدى إلى التهاب السمحاق. وحسب كلامه: (قفز من الألم إلى الجدار) فضلاً عن هذا أخذ يتحدث عن قناعته بلا أخلاقية الإقامة في نيس. كتب إلى ألكسي سوفورين: (انظر إلى السيدات الروسيات القاطنات في الفندق الروسي - دميمات ومضجرات وخاملات وأنا أخشى أن اشتهنهم ويبدو لي أن العلاج كما نحن نتعالج (أي أنا وتينيك السيدات) هو (أنانية مقرفة) (١٤ كانون الأول عام ١٨٩٧)

وما كاد يحل ربيع عام ١٨٩٨ حتى انجذب من جديد للعودة إلى روسيا. ولكن الكسل الاضطرابي أرهقه فلم يحصل على الثلج والقرية الروسية، وفي الوقت ذاته أزعجته فكرة أنه لن يزيد وزنه رغم الخمول. وكتب إلى أحد معارفه: (على ما يبدو لن أسمن أكثر من ذلك أبداً).

---

(\*) (١٨٥١ - ١٩١٦، مؤرخ وحقوقى روسى وسوسيولوجى من أنصار الاتجاه التطوري التدرجي - المترجم)

(\*) (\*) (١٨٥٨ - ١٩٤٣، مخرج وكاتب وناقد ومسرحي. دعا إلى العمل في المسرح الفني الموسكوفي كلاً من أنطون تشيخوف ومكسيم غوركي. أخرج «البعث» و«أنا كارينينا» لتلستوي و«الأعداء» لغوركي وغيرها - المترجم)

(\*) (\*) (\*) (١٨٣٤ - ١٩٠٢، رسام روسى يمثل الواقعية النقدية، له أعمال كثيرة - المترجم).

عندما كان لا يزال في نيس كانت فرنسا تعاني حالة من الأيام الصعبة والقلق والاضطراب إذ أعيد النظر في قضية دريفوس. شرع أنطون تشيخوف في دراستها وفقاً للكتابات الاختزالية واقتنع ببراءة دريفوس وكتب إلى ألكسي سوفورين رسالة حارة هدأت العلاقات فيما بينهما. إلا أنني كتبت عن ذلك في حينه. قضى تشيخوف شهر آذار عام ١٨٩٨ في باريس حيث تعرف هناك بالنحات مارك ماتفيتشيتش أنتوكولسكي (\*).

وبفضل هذا التعارف حصلت مدينة تاغانروغ على تحفة فنية لبطرس الأول أبدعها هذا النحات كما قدم إلى متحف تشيخوف القائم هناك مجموعة قيمة من عمله (النفس الأخير)<sup>(٧٢)</sup>. وفي أيار عاد أنطون تشيخوف في نهاية المطاف إلى ميلخوفو. بوصوله انتعش كل شيء من جديد إذ بدأ ورود الضيوف ولكن لم يعد يمزح كالسابق. كان مستغرقاً في التفكير، وربما بسبب مرضه صار قليل الكلام. وكالسابق كان يعتني بالورود ويقلم الشجيرات ويشذبها. وفي هذه الفترة شرعت الأخت ببناء مدرسة ميلخوفو<sup>(٧٣)</sup> وأثار الأمر اهتمامه.

قضى تشيخوف الوقت في ميلخوفو حتى شهر أيلول. بدأ هطول المطر في وقت مبكر والفلاحة في الخريف. وفي ١٤ أيلول غادر الكاتب إلى يالطا وصار أمام أحد خيارين: إما نيس ثانية أو يالطا إلا أنه لم تكن لديه الرغبة بالسفر خارج البلاد ثانية وفضل يالطا لامكانية السفر إلى موسكو شتاءً لفترة قصيرة، لأنه كان من المفترض أن يتم عرض «النورس» في المسرح الفني. وقراره كان صائباً. كان الخريف والشتاء في يالطا رائعين وكان يشعر بأن حالته ممتازة. ولكن أصاب العائلة أمر جلل في تشرين الأول، فبينما كان الوالد يرفع في ميلخوفو من الأرضية صندوقاً مملوءاً بالكتب حدث عنده ضغط أدى إلى فنق. كان الطريق مقزراً وموحلاً حتى المحطة (١٣كم)

---

(\*) (١٨٤٣ - ١٩٠٢) نحات روسي من أنصار الاتجاه الديمقراطي التقدمي في عالم النحت. ابدع شخصيات تاريخية روسية - المترجم).

وثلاث ساعات بالقطار ومر وقت حتى وضعوه في المستشفى فضرمت الأمعاء وتوقفت عن العمل لذا ظهرت ضرورة تشريح البطن. لم يتحمل الوالد العملية وفارق الحياة ودفناه في دير نوفوديفيتشه وعدت مع أمي وأختي إلى ميلخوفو حزنين. اجتزت الغرف الفارغة. الشقيق أنطون غير موجود فهو في يالطا والوالد غير موجود لأنه في قبره و(ليكا الرائعة) غير موجودة فهي في باريس وحتى صديقنا الأبدي آ. ايفانينكو غير موجود فهو سافر إلى وطنه نهائياً. أصبحت ميلخوفو خاوية! كان والدنا يشغل البيت كله. هذا ماأشعرنا به غيابه.

فيما بعد أخبر أنطون تشيخوف أخته أنه اشترى في يالطا قطعة أرض وسيبدأ البناء فيها كي يكون لديه مكان للشتاء. الموقع بعيد عن يالطا<sup>(٧٤)</sup> وإلى جانب المقبرة التترية وكلها كرمة عنب غير مرتبة. وقد تركت هذه القطعة من الأرض انطباعاً كئيباً لدى ماريا عندما أحضرها شقيقها أنطون لرؤية هذه الأرض للمرة الأولى. كما قيل لي إن ذاك القاطن وقتذاك هناك في يالطا مغني الاوبرا السابق أوساتوف قد خدع بكل بساطة أنطون بهذه القطعة من الأرض. حينذاك لم تكن هذه القطعة موصولة بشبكة المياه وبالمجاري واضطررنا في السنوات الثلاث الأولى من حياتنا هناك أن نرضى بمياه الأمطار والحديقة كنا نرويهما من مياه الاغتسال.

بدأت أعمال البناء. كان من المفترض إنفاق قرابة العشرة آلاف. قررنا أخذ جزء كبير من مصرف القروض مقابل رهن البناء نفسه ولكن بينما كان البناء يجري ظهرت نقود من مصادر أخرى<sup>(٧٥)</sup>. وعلى الأرض الخاوية في أوتكا وحسب مخطط ل. ن. شابوفالوف تم تشييد منزل صيفي رائع كل حجر فيه وكل شجيرة تتحدث عن موهبة أنطون تشيخوف وأخته الإبداعية. قضى الكاتب في موقع البناء أياماً بلياليها. نقلوا الأحجار والجير المطفأ وحفر التترك والتتار الأرض، وتشيخوف نفسه بكل ما فيه من شكليات الطبيب الجراح كان يزرع الأشجار ويتابع بكل حب أبوي كل عسلوج جديد.

في كانون الثاني عام ١٨٩٩ بدأ أنطون تشيخوف يتباحث مع الناشر الروسي أدولف ماركس حول بيع أعماله بيعاً قطعياً لهذا الناشر. وانتهت المباحثات بانتقال جميع حقوق إصدار أعمال الكاتب إلى أدولف ماركس بمبلغ ٧٥/ ألف روبل مع الحق في أعمال ومؤلفات لاحقة بسعر خاص. مع الأسف تم تقسيط دفع هذا المبلغ (٧٥ ألف) على ثلاثة أقساط ولم يشعر أنطون تشيخوف أنه ثري. بني البيت في يالطا وكانت هناك ديون وكان من الضروري تسوية الحساب مع ألكسي سوفورين ولم يبق شيء من الدفعة الأولى.

حلّ شتاء ١٨٩٩ في القرم قارساً للغاية ولم يكن قد اكتمل بناء الدار. فالبرد والتلج والعواصف البحرية وغياب المقربين روحياً، أنهكت الكاتب فصار يضجر، وحسب كلمات الأخت شعر بانجذاب جارف نحو الشمال وبدأ له أنه لو انتقل لقضاء الشتاء في روسيا، في موسكو حيث كانت مسرحياته تعرض بنجاح فائق في المسرح الفني وحيث كان كل شيء بالنسبة إليه ممتعاً لما كان وضعه بالنسبة إلى صحته أسوأ مما هو في يالطا. اضطر إلى التهادن مع الحياة في أوتكا مرغماً وهذه الحياة صارت تمنحه الحقوق. فهو بصفته قاطناً محلياً تم انتخابه في عضوية مجلس الأوصياء في مدرسة البنات النسائية. فضلاً عن هذا كان يتحمل القلق النفسي الكبير تجاه مرضى السل الرئوي الذين أخذوا يتوجهون إليه من جميع أرجاء روسيا بطلبات لأجل الاستقرار في يالطا. وأولئك الذين كانوا يأتون إلى يالطا بمبادرة منهم كانوا فقراء لدرجة أنهم كانوا يفارقون الحياة في يالطا في ظروف غير محتملة وهم يحنون إلى الأوطان. كان ينبغي التفكير بهم. وقد اعتنى أنطون تشيخوف بالجميع وبعث بنداواتهم إلى الصحف وجمع النقود وعمل على تسهيل وضعهم قدر المستطاع. وعلى فكرة، تبرع وقتذاك بمبلغ ٥٠٠/روبل لبناء مدرسة في موخولاتكا.

وفي الربيع شعر بانجذاب جارف نحو الشمال وفي ١٢ نيسان وصل إلى موسكو ومن ثم في أيار - إلى ميلخوفو وفي موسكو عرض المسرح الفني خصيصاً من أجله مسرحية «النورس» وهو، كما يقال، طار عقله وهو

نفسه لم يعرف ما العمل. في ١٥ أيار كتب إلى پ.ف.ايوردانوف في تاغانروغ: (لا أعرف ماذا أتصرف. أبني منزلاً صيفياً في يالطا إلا أنني وصلت إلى موسكو وفجأة أعجبني الوضع هنا رغم النتن، واستأجرت شقة لمدة سنة كاملة وأنا الآن في القرية، والشقة مغلقة بالأقفال، والمنزل الصيفي بينونه بدوني. إنه لهذيان ولغو).

ولكن في ٢٩ آب استقر أنطون تشيخوف نهائياً في البناء الجديد في يالطا. بعد هذا تم بيع ميليخوفو وتوجهت الأم والأخت إلى الإقامة الجديدة في القرم ، وهكذا حدث انعطاف جديد في حياة أنطون تشيخوف وقد حرم من الشمال المحبوب على قلبه، إلى الأبد.

في ١٧ كانون الثاني ١٩٠٠ تماماً في عيد اسم تشيخوف انتخبوه في عضوية أكاديمية العلوم كعضو شرف في قسم بوشكين<sup>(٧٦)</sup>. غمرت الفرحة أهل البيت. وأذكر أن أختنا الكهلة ماريا التي عاشت حياتها عند أنطون تشيخوف في يالطا اندفعت من البناء الجانبي عندما رأنتي قادما وقالت كلاماً يحمل أكثر من معنى: أبونا أنطون تشيخوف الآن جنرال.

وبالفعل بانتخاب أنطون تشيخوف في أكاديمية الشرف أخذ البعض بالمزاح يعظمونه وآخرون جدياً بالقول (فخامتكم). حتى إن الشخص الهام الذي قدم إليه وهو بواب قصر ليفاديا سماه مرة تقريباً (فخامتكم). كان هذا (الجنرال) يثمن تثنياً رفيعاً (جنراليتيه) لدرجة أنه تخلّى عنها على الفور ما إن عرف أنهم انتخبوا غوركي في الأكاديمية، وفي الآن ذاته وبسبب مواقفه السياسية فصلوه. ومما هو مميز رسالة أنطون تشيخوف إلى رئيس الأكاديمية الأمير العظيم قسطنطين قسطنطينوفيتش وموقف فلاديمير كورولينكو من هذا الحدث.

لم ترق مؤسسة قسم الآداب الرفيعة في أكاديمية العلوم لأنطون تشيخوف وبرأيه أن الأكاديميين بذلوا كل جهد كي يحرسوا أنفسهم من الأدباء الذين كانت رابطتهم دوماً تزعجهم. استطاع ممثلو النشر الأدبي الرفيع أن

يكونوا فقط أكاديمي شرف وهذه الصفة لم تكن تعني شيئاً لأنّ حامل قب أكاديمي شرف لا يحصل على مرتب وليس له حق التصويت.

كتب أنطون تشيخوف إلى ألكسي سوفورين في ٨ آب ١٩٠٠: (بحذاقة تفادينا الأمر. يختارون الأساتذة في عضوية الأكاديمية الأصلاء أما أكاديميو الشرف فيختارونهم من عداد الكتاب الذين لا يعيشون في بطرسبورغ أو أولئك الذين لا يمكنهم حضور الجلسات والتشاجر مع الأساتذة من أصحاب لقب بروفيسور).

أثر الربيع الرديء الذي ساد في تلك السنة في يالطا تأثيراً قوياً في صحة أنطون تشيخوف ومزاجه. ففي الخامس من آذار هطل الثلج وهذا الأمر قد أكربه وراحت كل أفكاره تستقر في موسكو حيث طور المسرح الفني الموسكوفي نشاطه. كان متعاطفاً للغاية مع أهداف المسرح ونظامه وموقفه الفكري من القضايا بل حتى إنه صار يحلم بالمشاركة المباشرة في شؤونه وانتظر بفارغ الصبر قدوم الفرقة إلى القرم. ثم انهمك في شؤون المبنى في يالطا وتأمين الإنارة الكهربائية فيه.

وصل المسرح الفني إلى القرم في الخريف. وتوقف في سيفاستوبل لأجل تقديم عدة مسرحيات. وقد توقع ستانسلافسكي والفنانون قدوم أنطون تشيخوف إلى هناك ولكن ساد طقس مريع لدرجة أنهم يؤسوا من قدومه. ولم يحضر إلا على أعياد الفصح عندما أخذ الدفء يسود هناك. وعرضوا من أجله خصيصاً «الخال قانيا». وانتقل المسرح من سيفاستوبل إلى يالطا و يالها من مفاجأة غريبة!

تماماً كما لو كان أروع طلب إذ التقى هنا الكتاب أيضاً: يفغيني تشيريكوف(\*) وإيفان بونين(\*\*) وإليپاتيفسكي(\*\*\*) . وألكسندر كوبرين(\*\*\*\*) ومكسيم غوركي.

انتعش كل شيء في المنزل في أوتكا إذ كان يلتئم شمل الفرقة كلها يومياً ويزور الكتاب والمسرحيون الدار وعادت أزمنا ميليخوفو بالنسبة إلى الوالدة والأخت إذ انهكما في الضيافة، وكانت والدتنا يفغينيا ياكوفليفنا تجلس مترئسة المائدة وتتابع باهتمام وعناية كل ضيف من الضيوف.

غادر المسرح المكان إلا أن الزوار ازدادوا عدداً. ضيوف وضيوف وضيوف! ومنهم من لم يكن يجمعهم جامع بأنطون فيجلسون لمدة طويلة ويفتحون باباً للأحاديث غير الطريفة وغير الممتعة وهم يحتسون الشاي أو يصمتون وهم يحركون الملعقة في كوب الشاي لتذويب السكر بينما كان تشيخوف على أحسن حال في مزاجه الكتابي، وكان عليه أن يختبئ منهم وأن يرتمي وراء مكتبه ويغلق المزلاج على نفسه في غرفة النوم.

---

(\*) (١٨٦٤ - ١٩٣٢) كاتب روسي شارك في مجموعات «المعرفة». وفي وقت لاحق تأثر بالتيار الانحطاطي. له عدد من المسرحيات والقصص الواقعية. هاجر في عام ١٩٣٠ - المترجم)

(\*\*\*) (١٨٧٠ - ١٩٥٣) كاتب روسي كتب القصص القصيرة والطويلة ومن أشهرها «القرية» وله رواية «حياة أرسينيف» وكتاب ذكريات. هاجر في عام ١٩٢٠ ونال جائزة نوبل في المهجر في عام ١٩٣٣ - المترجم)

(\*\*\*\*) (١٨٥٤ - ١٩٣٣)، كاتب روسي شارك في الحركة الثورية في سبعينات - ثمانينات القرن التاسع عشر. كتب القصص الطويلة والقصيرة. بعد عام ١٩١٧ هاجر من البلاد وعاد عام ١٩٣٧ - المترجم)

(\*) (١٨٧٠ - ١٩٣٨) كاتب روسي واقعي له عدد من القصص الطويلة والقصيرة. بعد عام ١٩١٧ هاجر من البلاد وعاد إلى وطنه السوفييتي في عام ١٩٣٧ - المترجم)



كتب في إحدى رسائله: (يزعجونني بقسوة ويعيقونني عن عملي  
برداءة ودناءة.

المسرحية تجلس في الرأس وإذا بها تتسكب. ألتمس الورق ولكن ما  
أكاد الشروع حتى ينفرج الباب وتسلحب فنطيسة ما) (١٨ آب ١٩٠٠)

قضى أنطون تشيخوف خريف عام ١٩٠٠ في موسكو، وفي بداية  
كانون الأول رحل ثانية إلى خارج البلاد، إلا أن الثلج والبرد أجبراه على  
العودة إلى الديار. وفي بداية شباط عام ١٩٠١ عاد إلى موطنه يالطا. في هذا  
الوقت كنت في الشمال (في بطرسبورغ)<sup>(٧٧)</sup> ولذلك لم أعرف كيف قضى  
الوقت حتى الربيع. ولسخرية القدر أنني طول هذه الفترة لم أتلق الرسائل لا  
منه ولا من الأهل. وفجأة في نهاية أيار عام ١٩٠١ عرفت بصورة غير  
متوقعة من الجرائد أنه تزوج. وانهقد حفل القران في موسكو في ٢٥ أيار  
١٩٠١. في البداية حتى أنني لم أعرف من هي خطيبته. وقلت (فجأة) لأن  
هذه المفجأة لم تمسني فحسب بل أصابت أيضاً شقيقي ايفان تشيخوف الذي  
كان وقتذاك في موسكو والتقى به في الصباح ذاته قبيل التكليل أي قبل ساعة  
تقريباً من الاحتفال وعرف كل هذا فقط بعد أن انتهى كل شيء.

ومباشرة من تحت التاج نقلت أولغا ليوناردوفنا زوجها إلى الكوميس  
(شراب مخمر) في محافظة أوبا ومنذ ذاك الحين فقدت الشقيق أنطون  
تشخوف ولم أجده بعدها إطلاقاً<sup>(٧٨)</sup>.

مضت ثلاث سنوات.

في الثالث من تموز عام ١٩٠٤ توجهت إلى يالطا لزيارة أمي وأختي.  
وقتذاك كان أنطون تشيخوف وزوجته خارج البلاد في بادن فيلر. عندما  
توقفت الباخرة أمام سد الأمواج، لوح شخص ما لي من الشاطئ بالقبعة. كان  
ابن عمي جورج الذي كان يعمل وكيلاً معتمداً في شركة الملاحة الروسية في  
يالطا وخرج السد - الحاجز كي يستقبل الباخرة، عرفني من بعيد فصرخ  
بمكبر الصوت من الشاطئ:

أنطون رحل عن الدنيا!

كنتُ كالمصعوق. أردت البكاء. السفرة كلها وياлта الرائعة وأنت تراها من سطح الباخرة وهذه الجبال والبحر، كل هذا أظلم في عينيّ وفقد قيمته.

توجهت إلى أوتكا. كانت الأخت في ذلك الوقت مع الشقيق إيفان في بورجوم. أرسلوا إليها برقية مستعجلة بينما أخفوا هذا الخبر عن الأم. هي لم تشك بشيء بعد واستقبلتني بحفاوة وقدمت لي الضيافة إلا أن القطعة التي تناولتها لم تأخذ طريقها إلى فمي وكنت محرجاً أمامها بأنني أخفيت عنها مثل هذا الحدث الهام وكان ينبغي عليّ أن أعتمد على قصة كوميدية كي أهئها للصدمة تدريجياً.

ومن ثم عاد الشقيق والشقيقة إلى يالطا وفي هذه الأثناء تم استلام برقية من الأرملة بأنها ستنتقل جثمان المرحوم عبر بطرسبورغ إلى موسكو. أخذت ترد الأخبار في الجرائد أيضاً. وقبل أن تمضي على إقامتي خمسة أيام في يالطا كان عليّ أن أعود ثانية إلى الشمال بغية استقبال الجثمان وتشيعه ودفنه. واستعدت الأخت أيضاً. وقبل المغادرة كشفنا السر للأُم . أمسكت رأسها بيديها الاثنتين وارتمت على درجات السلم وأجهشت بالبكاء بصوت عالٍ. لم تكن لديها قدرة على تحمل هذا الحزن القاسي. وبعد أن عادت قليلاً إلى رشدها شرعت تستعد للسفر معنا إلى موسكو.

توجهنا نحن الأربعة إلى الشمال وظلت الدار في يالطا يتيمة.

وصلنا إلى موسكو تماماً في لحظة الدفن. استقبلنا في المحطة بموسكو ف.س.ميرولوبوف ونقلنا في عربة خيل فاخرة إلى الجامعة. وهكذا وصل الجثمان من بطرسبورغ ونقلوه من محطة نيقولايف إلى دير نوفوديفيتشه. ولو تأخر القطار قليلاً لما كان بإمكاننا اللحاق بالتشييع والدفن. حشود لا تعد ولا تحصى<sup>(٧٩)</sup> من البشر رافقت الجنازة علماً أن الشوارع التي سارت فيها الجماهير وهي تحمل التابوت على الأكف قد توقفت فيها حركة حافلات الترام والمركبات. وقد تمكنا من مرافقة الموكب فقط في الطريق وبصعوبة لأننا لم نرغب بالاعتراف بأننا أقرباء المرحوم ولم نستطع الوصول إلى الجثمان.

شبيبة موسكو بأسرها كانت متشابكة الأيدي وهي تحرس الموكب من آلاف المشيعين الراغبين الاقتراب من التابوت.

وهكذا وصلنا إلى الدير تحت حراسة الشبيبة التي اعتنت بنا وسط هذا الحشد الهائل. وعندما بدأ دخول الموكب الجنائزي عبر بوابات الدير الضيقة بدأ ازدحام وتدافع هائل بحيث دخلت حالة من الفزع الحقيقي. كل شخص كان يرغب، وبأسرع ما يمكن الولوج إلى الداخل. كان من الممكن حدوث كارثة لولا الشبيبة. واجتاز النعش البوابة بصعوبة هائلة ونحن اجتازنا البوابة مع النواب وأقرباء المرحوم بصعوبة هائلة بينما الناس يشددون انقضاضهم. تم سماع صيحات وهتافات وأنات. وأخيراً صار الحشد داخل المقبرة وأخذت تتحطم الصلبان وتتهاولى النصب التذكارية والعرايش وداسوا على الورود.

أنزلوا الشقيق أنطون إلى القبر بجانب أبيه. ونظرنا إليه النظرة الأخيرة وألقينا حفنة من التراب للوداع وتم إغلاق القبر إلى الأبد.

في اليوم التالي عدنا أدراجنا إلى يالطا وسافرت معنا أرملته أيضاً.

ومن ثم سأم طويل الأمد حتى نعتاد على الوضع. ثم كانت الشكليات الجارحة للأحاسيس بشأن الميراث الذي تركه المرحوم. فهو، بحسب القانون يتوزع بيننا نحن أشقاء الكاتب المرحوم الثلاثة عندما عرف رغبته الأخيرة تخلينا عن الميراث <sup>(٨٠)</sup> ونقلنا كل شيء إلى شقيقتنا ماريا تشيخوفا. هذا ويرى البعض أن رسالة أنطون إلى شقيقته ماريا بتاريخ ٣ آب ١٩٠١ هي وصيته التي تبدأ بالكلمات التالية: «ماريا العزيزة! أوصي لك.....» وإن إدراج أشقاء أنطون في حقوق الوراثة حسب القانون وبالتالي التنازل عن الميراث للشقيقة ماريا تشيخوفا قد تحقق بسبب أن الوصية الموثقة لم يظهر لها اثر في أوراق أنطون تشيخوف.

**ملحوظة:** استخدم س.م. تشيخوف، في التعليقات، مواد بحثه «سلسلة نسب أنطون تشيخوف» الذي يضم جداول سلسلة النسب من جهة الأب (منذ نهاية القرن السابع عشر) ومن جهة الأم (منذ أواسط القرن الثامن عشر).

والآن، بفضل جهود شقيقتنا الحثيثة وموقفها النزيه من ذكرى الشقيق  
الراحل الخالد الذكر ونشاطها المتفاني اغتنت الجمهورية بالشعر والغنائيات  
التشخوفية المؤثرة بفضل المؤسسة الثقافية المعروفة الآن بالنسبة إلى العالم  
المنتور بأسره التي تحمل الآن اسم: «دار - متحف أنطون باقلوفيتش  
تشخوف في يالطا».

الهيئة العامة  
السنورية للكتاب



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

## الذكريات

- ١ -

عمنا ميتروفان ايغوروفيتش - حادث في حديقة القصر - القمّص  
باكروفسكي - والد بافل ايغوروفيتش - الأجداد وأجداد الأجداد من ناحية  
الأب ومن ناحية الأم - أسطورة العم ميتروفان عن أصلنا (التشيكوي) -  
قصف تاغانروغ من جانب الأسطول الإنكليزي - الأخوان ألكسندر (الأديب  
آ. سيدوي) ونيقولاي (الفنان).

- ٢ -

في تاغانروغ - جيراننا - عقاب جسدي في ساحة ميتورفانيف -  
خطف الفتيات لأجل الحريم الترك - أنطون وايرياد سافيتش - الانتقال إلى  
الدار - تعليمنا - فشل التعلم في المدرسة اليونانية - أوقات الفراغ المنزلي  
- كيف كانت شؤون التجارة عند الوالد - رحلة إلى كرينيشك - مسرحيات  
منزلية - مرض أنطون - سفر الشقيقين الكبيرين إلى موسكو - انتزعوا  
منا الدار - أنطون وحيد في تاغانروغ - الزيارات إلى مزارع كرافتسوف  
وزيمبولاتوف - حضور المسرح - القراءة - إصدار مجلة «الألكن» بخط  
اليد - حادثة البئر حسب رواية سوفورين.

- ٣ -

نسافر إلى موسكو - أولى الانطباعات عن العاصمة - رسائل أنطون  
من تاغانروغ - انتسابي إلى الثانوية - وصول أنطون - تعلم الأخت في  
دورات غيريه - عوزنا - اثنتا عشرة شقة خلال ثلاث سنوات - عام

١٨٧٩ - أنطون ينتسب إلى الجامعة - نزلاء معنا بالأجرة - العمل على تحسين الوضع المادي للأسرة - بدايات أنطون في الصحافة - صداقة نيقولاى مع م.م.ديوكوفسكي - (التجار) الأمراء والنبلاء في موسكو - قطع علاقة أنطون مع (اليعسوب) - ف.ف.دافيدوف - في هيئة تحرير (المشاهد) - قصة الملك وبونداريقتنا - رسومات نيقولاى - آ.م.ديمتريف (البارون غالكين).

#### - ٤ -

«المنبه» ومسؤولا المجلة ن.ب.كيتشيف وف.ف.بوبودوغلو - عدة كلمات عن م.يفستيفنييف - ب.آ.سيرغينكو - (ليودور ايفانوفيتش بالمين - لقاء أنطون مع ليكين - العم غيلباي) (ف.آ.غيلياروفسكي) ونزواته - في العرس عند ي.آ.بيلووسوف - مجلة «موسكو» ي.ي.كانكا - "شهادة طبية" للحصول على أتعاب للشقيق - «أخبار اليوم» آ.يا.ليبسكيروف - اصل «نصر لالزوم له» - ن.ل.بوشكاروف «نور و ظلال» «المكتبة الأوروبية» البوشكاروفية - مشاركتي في التفكير الدنيوي - «مع علامة غاتسوك، غير موافق مع برودون» - مؤسسة بوشكاروف - في جلسة جيرمان للتنويم المغناطيسي - الناشران الأخوان م.ويه.فيرنير و«صرصورهما»

#### - ٥ -

في يوم الأحد عند الشقيق ايفان - كارثة كوكوف - پ.آ.شيسلاكوفسكي - (حكايات ملبومينا) ( في الميثولوجيا الإغريقية ملبومينا هي واحدة من ربات الشعر الأدب وحامية التراجيديا. مصورة في اكليل من أوراق العنب مع قناع تراجيدي وهاوة في اليد. بالمعنى المجازي: كهنة ملبومينا هم الممثلون) - المترجم) على منصة أدب الأطفال. في تشيكين عند الطبيب پ.آ.أرخانغلسك - منابع المواضيع التشيخوفية - قصة مع (القائد) آشينوف - انطباعات زقينيغورود (مدينة

روسية عريقة) لعام ١٨٨٤ في مواضيع تشيخوف - أنطون تشيخوف والدكتور ب.ك. روزانوف - لقاء مع سكريابين - أوائل مرضى الشقيق - حراس نظام زيفينغورود - التقرب من عائلة كيسيليوف - (البابكينية) في إبداع تشيخوف - في عالم الانطباعات الأدبية الموسيقية - م.ف. بيجيتشيف - كيسيليوف وتشايكوفسكي - خطة (بيللا) مع ليبريتو الشقيق - وصول غريغوروفيتش - الجزام عند تشيخوف وليفتان - ماركيفيتش في بابكين - تعاون ليفيتان مع الشقيق نيقولا - روايات ليفيتان - تفاصيل لأجل موضوع «النورس».

## -٦-

جامعة موسكو بنظام جديد. - جورفيكس<sup>(١)</sup> عند أنطون مع قاطني (الأماكن المهجورة) في المنزل الصيفي عند أسرة لينتفارييف في عام ١٨٨٨. بليشيف في ضيافة أنطون - قصة بليشيف عن إعدام البتراشيفيين (جمعية من الشبيبة في بطرسبورغ - نهاية عام ١٨٤٤ بداية عام ١٨٤٩ - أعضاؤها اشتراكيون طوباويون وديمقراطيون. الاسم نسبة إلى ميخائيل بتراشيفسكي ١٨٢١ - ١٨٦٦ ثوري روسي واشتراكي طوباوي. مؤلف قاموس الجيب للكلمات الأجنبية. دعا إلى ديمقراطية نظام روسيا السياسي وتحرير الفلاحين مع الأرض. حُكم عليه في عام ١٨٤٩ بالأشغال الشاقة المؤبدة - المترجم -) - بارانتسيفيتش، سوفورين وياقل سفابودين (بول-مايتاس) في لوكا- من قصص سوفورين عن سيرة حياته - تعرفي بأنا تولي كوني - صداقة الشقيق مع سفابودين - أنطون يوجز (الكونت مونتي كريستو) - قراءة تشيخوف (قصة مريض) - في مسرحية (ايفانوف) عند كورش - اقتراح فيكتور كريلوف (ألكسندروف) عن مشاركة في التأليف مع تشيخوف. - ايفان شغلوف (ليونتييف) - اسم تشيخوف المستعار (باتيومكين) - تعارف أنطون مع نيفيجين. السيدة برينكو ومشجب كورش - افتتاح ونجاح مسرح كورش.

---

(١) جورفيكس (فرنسية) تعني يوماً محدداً في الأسبوع لاستقبال الضيوف.



عام ١٨٨٩. من جديد في لوكا - وفاة الشقيق نيقولاى - أنطون يتجول في أوديسا ويالطا - لقاء مع عائلة شافروف - دراسة اللغات الأجنبية - صداقة أنطون تشيخوف مع يه. م. شافروفا - كيف تم إخراج «عفريت الغابة» - قضية مصرف ريكوف للادخار - أول نفث للدم لدى الشقيق - «ليكا الرائعة» - زيارات إلى دار كورنييف في سادوفايا - كودرينسكايا. - آ. ب. لينسكي (ألكسندر لينسكي ١٨٤٧ - ١٩٠٨ ممثل ومخرج وأستاذ تمثيل روسي. ساهم في تطوير المدرسة الواقعية على خشبة المسرح. قدم أعمالاً لشكسبير منها «أسمع جعجعة ولا أرى طحيناً» و«هاملت» كما مثل دور بطل في «ذو العقل يشقى» لغريبايدوف.... - (المترجم) - لمحة عن م. ن. يرمولوفا (ماريا ١٨٥٣ - ١٩٢٨، ممثلة روسية - أدت أدواراً كثيرة منها «فتاة أورليان» لشيلىر و«موهوبون ومعجبون» لألكسندر أستروفسكي وغيرها - المترجم) - فلاديمير دافيدوف يقرأ عندنا «سلطة الظلام» - «عندياته» في «كالخاس» - نيقولاى ليكين (١٨٤١ - ١٩٠٦، كاتب روسي هزلى، له «الشظايا» وروايات وقصص عديدة يرسم فيها عادات وأخلاقيات فئة التجار - المترجم) - حفلة على شرف الرئيس الإفرنسي لوبيه - ليسكوف وتشيخوف - شيبكين - كوبيرنيك - تجاوب آ. ي. تشوبروف - ب. ن. أستروفسكي - مشهد من علاقة ألكسندر - أستروفسكي مع الشقيق - الوزير - زيارة كورولنيكو.

كيف تمت سفرة أنطون تشيخوف إلى ساخالين - العودة - في تولا - في المحطة - الراهب البوريّاتي والمنغوسي - تشيخوف في أوروبا - في البيت الريفي بالقرب من أليكسين - الحياة في بوغيموف - العمل على كتابة «المبارزة» - نقاشات أنطون تشيخوف مع فاغندر حول موضوع الانحطاط.

شراء ميلخوفو - يوميات الأب عن الحياة في ميلخوفو - شهر  
عسل ملكية أرض عائلة تشخوف - (الدوقية) التشخوفية - أنطون  
تشخوف طبيب ميلخوفو - مسألة المياه - شتاء عام ١٨٩٣ - بوتابينكو  
في ميلخوفو - أسرة شعب الوالاخ (شعب دخل قوام الأمة الرومانية في  
أواسط القرن التاسع عشر - المترجم) وتاريخ إنشاء (الراهب الأسود) -  
تدفق الضيوف - وصول م.و. مينشيكوف - رقابة سرية على أنطون  
تشخوف - الخريطة البيانية للدكتور كوركين - إيفان غيرمانوفيتش فتييه  
- أبنية جديدة - الجناح الذي تمت فيه كتابة «النورس» .

عام الجوع ١٨٩٢ - نشاط أنطون تشخوف الاجتماعي لمساعدة  
الجائعين - تشخوف في نيجني نوفوغورود - الإشراف على قسم الكوليرا  
- زيارات أنطون تشخوف إلى كبار المسؤولين طلباً للمساعدة - جيول  
ليغرا في ضيافة تشخوف - إدراك تشخوف لجدية مرضه - في احتفالات  
ياروسلاف - مسرحية «المفتش» المهيبة - تكريم ليونيد نيقولايفيتش  
تريفولوف - أول عرض لمسرحية «النورس» في بطرسبورغ - التبرع  
بمكتبة أنطون تشخوف إلى تاغانروغ - الفنان المعماري شاخنال -  
مشاركة تشخوف في الإحصاء الشعبي - انطباعات عن ميلخوفو في إبداع  
أنطون تشخوف - مشروع تنظيم دار الشعب - نوبة في (الأرميتاج) -  
تشخوف في نيس وباريس - وفاة الأب - أنطون تشخوف في يالطا -  
بناء المنزل الصيفي - انتخاب أنطون تشخوف إلى أكاديمية الشرف -  
قدوم المسرح الفني إلى القرم - زواج أنطون تشخوف - الوفاة والتشييع .



# الهيئة العامة السنورية للكتاب

## الهوامش

١ - ميتروفان ايغورفيتش تشيخوف (١٨٣٠-٨ آب ١٨٩٤) عم أنطون تشيخوف. ولد قناً في بلدة أولخوفاتك، قضاء أستروغوج، منطقة فارونج، افتداه أبوه في سنوات الطفولة، وفي سن اليفاع ألحقه بالعمل في متجر بادالاکوف. وفي خمسينيات القرن التاسع عشر وبعد تحسن وضعه التجاري، انتقل إلى تاغانروغ وفتح فيها متجراً للبقالة. أولاده الأربعة هم غيورغي وفلاديمير وألكسندر وإيلينا. وهو في فترة تربية أطفاله، لم يلجأ إطلاقاً إلى وسائل العقاب الجسدي. ولكن بسبب استهتاره بالتعليم الثانوي والجامعي فقد اكتفى بمنح أولاده تعليماً ابتدائياً مما جعل طريق حياتهم أكثر صعوبة. كرس ميتروفان حياته كلها للتعليم الذاتي وللقضايا الاجتماعية وكان معتمداً تجارياً وقيماً على مدارس المدينة الابتدائية ومشرفاً لا مثيل له على كنيسة أرخانجلسك - ميخائيلوف ومراسلاً لدير آفون في اليونان الخ .. ومدينته تاغانروغ مدينة له بأرصفتها الحجرية المصنوعة من ماغما فيزوف والمنقولة بالسفن الإيطالية. يقع منزله الآن في شارع روزا لوكسمبورغ رقم ٧٥/. وقد امتلكه جد أنطون تشيخوف أي ايغور بافلوفيتش. وفي سنوات ١٨٥٥ - ١٨٦٩ عاش فيه بافل ايغورفيتش مع زوجته الشابة يفغينيا ياكوفلوفنا. وفي عام ١٨٥٩ ومباشرة بعد العرس استقر فيه ميتروفان ايغورفيتش وأما بافل ايغورفيتش فقد انتقل إلى دار صغيرة ولد فيها أنطون تشيخوف (شارع

تشيخوف، ٦٩). وفيما بعد وزع ايغور تشيخوف قطعة أرض بين الابنين فبنى بافل تشيخوف في عام ١٨٧٤ بيتاً حجرياً في حصة الأرض المخصصة له.

٢- لودميلا بافلوفنا تشيخوفا (١٨٤١ - ١٩١٧/٧/٤) كنيته قبل الزواج هي ماركيفيتش - يفتوشيفسكايا. نالت تعليمها في مدرسة يونانية داخلية. وكانت السيدة المطلقة في البيت إذ كانت صارمة في العقاب ولأدنى ذنب. ويذكر حفيدها ي.ف. برينيوف أنها كانت تخشى السفر بعربات الأجرة وتشعر بالخوف والرغبة من رجال البوليس. وفي كل مرة عندما كان يمر ممثلو السلطة من أمام دارها دون أن يدخلوا كانت ترسم علامة الصليب وهي تقول: (حمداً لله، حمداً لله).

٣- ميخائيل ايمليانوفيتش تشيخوف (أواسط القرن الثامن عشر - بداية القرن التاسع عشر) والد جد أنطون تشيخوف، من أخلاف المتحدرين من بلاد روسيا الموسكوفية ومن أقنان يفدوكيا ستيبانوفنا تيفاشوفايا. وعندما تزوجت بديم تري فاسيليفيتش تشيرتكوف قدمت له أملاكها الشاسعة الموسكوفية ومن ضمنها بلدة أولخوفاتك التي كان يقطن فيها ميخائيل ايمليانوفيتش تشيخوف. ومنذ ذاك الوقت صار آل تشيخوف أقناناً لدى عائلة تشيرتكوف. وأبناء ميخائيل هذا خمسة هم ايفان وايغور وأرتيم وسيميون وفاسيلي. أما هو نفسه فكان رجل إرادة لا تلين وقاسياً للغاية في أسلوب تربيته لأولاده مع حياة بائسة في مأوى حقير بسقف من القش ومدخنة مشبكة من عيدان الصفصاف والآجر المطلي. وأما جد جد أنطون تشيخوف واسمه ايمليان يفستراتيفيتش فلا نعرف عنه سوى أنه عاش في القرن التاسع عشر في أولخوفاتك، وكان قناً. ووالدة يفستراتي تشيخوف عاشت على تخوم القرنين السابع عشر والثامن عشر. من الضروري الإشارة إلى أنه وعلى امتداد قرن ونصف القرن كان يعيش

فرعان تشيخوفيان جنباً إلى جنب، أحدهما من الأقنان أي أجداد أنطون تشيخوف، والثاني من الأحرار ومن مختلف المهن. أصول الفرعين جلية حتى نهاية القرن السابع عشر لا أكثر ولم تثبت لاحقاً أسماء أجداد مشتركين. وفي الوقت الحاضر تعيش عدة أسر تشيخوفية في مدن روسية مختلفة وحيث كان أجداد بعضها أحراراً، وأجداد آخرين أقناناً. وجميعهم كانوا يعيشون في القرن الثامن عشر في فارونج ومنطقتها. وعلاقة الفرعين بأجداد أنطون تشيخوف لم تتأكد أيضاً. ولكن واقع أن أرض فارونج هي مهد عدة فروع لآل تشيخوف إنما يعطينا الأساس كي نفترض أن شخصاً يدعى تشيخوف كان قد قدم في القرن السابع عشر، في فترة فلاحه الأراضي البكر، بإرادته أو رغماً عنه، وبعد التعرض لغزوات التتار، قدم من الشمال واستقر في فارونج وأستروغوج وباغوشار وروسوشي وضاف نهر كاليتفا الأسود في أولخوفاتك وترك وراءه ذرية كبيرة العدد. ولكن هل كان هو نفسه ابن أو حفيد صانع المدفع الشهير أندريه تشيخوف؟ يظل هذا السؤال دون جواب.

٤ - ايغور ميخائيلوفيتش تشيخوف (١٧٩٩ - ١٨٧٩/٣/١٢) جد أنطون تشيخوف، من أقنان عائلة تشيرتكوف. كان صبيّاً فظناً، أريباً ولهذا السبب حاولوا تعليمه. في البداية اشتغل في الفلاحة، بعدها في معمل سكر خاص ثم مراقباً. اقترن بالفلاحة يه. يه شيمكو فأنجبت له أربعة أولاد هم ميخائيل وبافل وألكسندر وميتروفان. وايغور هذا إنسان ذو إرادة قوية وذكاء وفطنة. وبفضل هذا الجهد المتواصل استطاع جني مبلغ/٨٧٥/ روبلاً من الفضة وهو مبلغ كبير حسب معايير ذاك الزمن. وفي عام ١٨٤١ افتدى ذاته وأسرته. وما إن صار حراً حتى ساق قطيعاً من الخيل الخاصة بجر العربات لبيعها في روستوف. وهنا صار في عداد فئة برجوازية المدينة الصغيرة والضيقة الأفق.

في بداية الخمسينات اشترى في تاغانروغ داراً صغيرة إلا أنه ورغم كل هذا لم يصبح من أهل المدينة بل قضى عمره في القرية. وفي عام ١٨٥٥ عمل مراقباً في أملاك الكونت بلاتوف في سلابودا بولشيه كريبينسكايا على بعد ٦٠/كم من تاغانروغ.

في الستينات يعود ايغور، من جديد إلى بولشيه كريبينسكايا ويصبح مشرفاً على ضياع الكونتيسة بلاتوفا المترملة.

ولكن في عام ١٨٧٠ أقدمت الكونتيسة على تسريح ايغور بسبب سلوكه الصعب المراس ونقلته إلى مكان آخر بمركز أدنى. وفي عامي ١٨٧١ و ١٨٧٢ كان يزور أحفاده في العطل الصيفية. ويبدأ الصبي (أنطوشا) مراقبة جده عن كثب ، هذا الجد العنيد والصارم والعنيف وعاشق الفكاهات في الآن ذاته.

**وكان لايغور أربعة إخوة هم أبناء عم أنطون تشيخوف :**

١ - إيفان (١٧٩٣- ؟) إنسان حالم استقر في نيرووفنوفك وزرع بستاناً للفاكهة مع أنواع نادرة وغريبة من الأشجار وقضى جل وقته في هذا البستان وحيداً تقريباً. وبعد أن ربي أبناءه الخمسة حلق شعره والتحق بالرهينة في دير نوفوآفون.

٢ - آرتم (١٨٠٣- ؟) مزارع وذو ذهن عملي. وصنع في داره معصرة زيت من تصميمه الخاص كي يكسب رزقه في الشتاء. وكان يطلق تسمية البومة الشقراء على الاحتراق اللذيذ لبذور عباد الشمس، ولهذا السبب شاع لقبهم باسم (البومة الشقراء) وسمي الشارع الذي كانوا يسكنون فيه شارع البومة الشقراء.

٣ - سيميون (١٨٠٩ - ١٨٧١) عاش عشية فقيرة وبائسة كان يعمل بائعاً جوالاً بين القرى إذ ينقل السلع والبضائع العائدة للسادة والتجار من مكان لآخر (روستوف، تاغانروغ، تسارابين، نوفوتشيركاسك).

٤ - فاسيلي (١٩٠٧ - ؟) كان رسام ايقونات وصارت أعماله موضع الاحترام والتمجيد في سائر أنحاء المنطقة ورغم أنه كان يعيش في سلوبودا ناغولنا فقد كان يتلقى الطلبات حتى من موسكو ويشكل أخلاف إيفان وآرتيم وسيميون أعضاء كولخوز (البارتيزان الأحمر) في العهد السوفيتي.

- تزوج ايغور ميخائيلوف تشيخوف فتاة اسمها يفروسينيا يميليانوفنا (١٨٠٦ - ١٨٧٨/١١/٢٦) وهي من أقنان بلدة زاتسيفكي، أوكرانية تنتمي إلى أسرة مربى الخيل. كانت تخاف زوجها وهي ساذجة تؤمن بالقوى الشريرة. وبعد ولادة ابنها الأصغر ميتروفان سارت مشياً على الأقدام (حسب الموعد الذي قطعته على نفسها) من أولخوفاتك إلى كييف كي تسجد للمقدسات. وكان قريبها هو الطبيب شيمكو البطرسبورغي الشهير.

٥ - أندريه تشيخوف (حوالي ١٥٥٢ - حوالي ١٦٢٣) معلم الصب الشهير والذي عاش في عهد إيفان الرهيب وبوريس غودونوف وميخائيل رومانوف. وقد صب في سنوات حياته قرابة /١٦٠٠/ مدفع والرئيسية منها (وحيد القرن) عام /١٥٧٧/ بتوقيع (تشيخوف) ومدفع القيصر (عام ١٥٨٦) بتوقيع (أندريه تشيخوف) ومدفع ديمتري المدعي بتوقيع (أندريه تشيخوف) و(القيصر أخيل) (١٦١٧) بتوقيع (أندريه تشيخوف). وقد صب المدفع الأخير في عام ١٦٢٢. وخلف مدرسة كاملة من معلمي الصب وقرابة الخمسة عشر محترفاً من الدرجة الأولى. وتقع ورشة الصب التي عمل فيها في موسكو شارع المدفع، ركن ممرنيكلي.

٦ - ميخائيل ايغوروفيتش تشيخوف (١٨٢٣ - ١٨٧٥/١٢/٣٠) العم الأكبر لأنطون بافلوفيتش تشيخوف، ولد في ضيعة (بلدة) أولخوفاتك، افتداه أبوه وأعتقه وهو في الثامنة عشرة من العمر. بعدها تم إرساله إلى كالوغا كي يتعلم صناعة التجليد وحوالي عام ١٨٤٥ فتح هنا ورشة تجليد وتأهل فيها. كان له ابنان وأربع بنات وهم ميخائيل وغريغوري وايكاتيرينا



وَأَلْكَسَنْدَرَا وَالِيزَابِيثَا وَكَلَاڤِيَا وَقَدْ مَنَحَهُم تَعْلِيماً بَيْتِيّاً ابْتَدَائِيّاً لَا أَكْثَرَ وَكَانَ عَمَلُهُ فِي التَّجْلِيدِ يَسِيرٌ مِنْ سَيِّءٍ إِلَى أَسْوَأَ بِحَيْثُ اضْطُرَّ إِلَى إِرْسَالِ وَلَدِيهِ إِلَى مُوسْكُو كِي يَعْْمَلَا أَجْرَاءَ لَدَى التَّاجِرِ ي.بِيَه غَاڤْرِيلُوف (وَمِنْ هُنَا تَعَارَفَ تَشِيخُوفِي تَاغَانرُوفُ بِعَائِلَةِ غَاڤْرِيلُوف) وَكَانَ مِيخَائِيلُ اِيغُورُوفِيْتَشُ ذَا نَزْعَةٍ مَحَافِظَةٍ تَقْلِيدِيَّةٍ وَمَتَعَصِباً دِينِيّاً.

٧- أَلْكَسَنْدَرَا اِيغُورُوفُنَا تَشِيخُوفَا (١٨٢٧-١٩٠٦) عَمَةٌ أَنْطُونُ تَشِيخُوفُ وَلَدَتْ فِي أُولْخُوفَاتْكَ وَزَوْجُوهَا بَصَانِعُ الْجُلُودِ فَاسِيلِي غَرِيغُورُوفِيْتَشُ وَبَعْدَ الْعَرَسِ سَافَرَتْ مَعَهُ إِلَى مَسْقَطِ رَأْسِهِ تَغِيرْدُوكْلِيُوفُو وَقَدْ تُوْفِيَ جَدُّ أَنْطُونُ تَشِيخُوفُ أَيَّ اِيغُورُ مِيخَائِيلُوفِيْتَشُ بَيْنَ يَدَيْهَا.

٨- بَاڤْلُ اِيغُورُوفِيْتَشُ تَشِيخُوفُ (١٨٢٥-١٨٩٨/١٠/١٢) وَالدُّ أَنْطُونُ تَشِيخُوفُ وَلَدَ قَنَّا فِي بَلَدَةِ أُولْخُوفَاتْكَ وَنَالَ شَيْئاً مِنَ التَّعْلِيمِ فِي الطُّفُولَةِ فِي مَدْرَسَةٍ رَيفِيَّةٍ كَمَا تَعَلَّمَ الْغِنَاءَ بِالنُّوْطَةِ عَلَى يَدِ قَنْدَلَفْتِ وَالْعَزْفَ عَلَى الْكَمَانِ عَلَى يَدِ مَرْتَلِ الْكَنِيسَةِ وَفِي عَامِ ١٨٤٠ تَعَلَّمَ صِنَاعَةَ السُّكْرِ فِي مَعْمَلِ السُّكْرِ الْعَائِدِ لَتَشِيرْتَكُوف. وَفِي عَامِ ١٨٤١ أَعْتَقَهُ أَبُوهُ وَهُوَ فِي السَّادِسَةِ عَشَرَ مِنَ الْعُمْرِ وَبَعْدَهَا مَبَاشَرَةً أَلْحَقَهُ بِتِجَارَةِ مَدِينَةِ رُوسْتُوفِ وَفِي عَامِ ١٨٤٢ سَاقَ قَطِيعاً مِنَ الثَّيْرَانِ إِلَى مُوسْكُو لِلْبَيْعِ وَفِي عَامِ ١٨٤٤ صَارَ يَعْمَلُ لَدَى تَاجِرِ تَاغَانرُوفِ ي.بِيَه كَابِيلِينَ. وَبَعْدَ سَنَةٍ صَارَ يُمَارِسُ التَّجَارَةَ فِي قِسْمِ الْمَكَاتِبِ. وَفِي عَامِ ١٨٥٤ تَزَوَّجَ بِبِيغِينَا يَاكُوفُلُوفُنَا الَّتِي أَنْجَبَتْ لَهُ سِتَّةَ أَطْفَالٍ هُمُ أَلْكَسَنْدَرُ وَنِيْقُولَايُ وَأَنْطُونُ وَايْفَانُ وَمَارِيَا وَمِيخَائِيلُ. عَمَلُ لَدَى كَابِيلِينَ ١٣/ سَنَةٍ وَوَفَّرَ قَرَابَةَ الثَّلَاثَةِ أَلْفِ رُوبَلٍ. وَفِي عَامِ ١٨٥٧ فَتَحَ دُكَاناً لِبَيْعِ السُّكْرِ وَالشَّايِ وَسَلَعَ أُخْرَى وَسَاعَدَهُ فِي عَمَلِهِ كَابِيلِينَ لِأَنَّهُ عَرَفَ فِيهِ الدَّقَّةَ وَالْأَمَانَةَ حَتَّى أَنَّ هَذَا التَّاجِرَ كَانَ يَقْرُضُهُ بَعْضَ السَّلَعِ. وَفِي عَامِ ١٨٥٨ انْتَقَلَ مِنْ عَدَادِ صِغَارِ تِجَارَةِ الْمَدِينَةِ وَمُسْتَعْدَمِيهَا إِلَى لِقَبِ تَاجِرٍ مِنَ الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ وَفِي عَامِ ١٨٥٩ انْضَمَّ إِلَى جَمَاعَةِ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ وَاسْتَمَرَّ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ سِتَّةَ عَشَرَ عَاماً. اشْتَغَلَ فِي النِّشَاطَاتِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ فِي الْمَدِينَةِ وَفِي عَامِ ١٨٦٦ صَارَ عَضَواً فِي النِّيَابَةِ التَّجَارِيَّةِ وَفِي عَامِ ١٨٧١ مَنَحُوهُ مِدَالِيَّةً كِي يَحْمِلُهَا عَلَى الرُّقْبَةِ وَفِي عَامِ ١٨٧٦ أَفْلَسَ بِسَبَبِ انْهِيَارِ التَّجَارَةِ فِي تَاغَانرُوفِ وَذَلِكَ بَعْدَ وَصُولِ الْخَطِّ الْحَدِيدِيِّ إِلَى رُوسْتُوفِ وَأَمَّا الدَّافِعُ

المباشر للإفلاس فهو بناء دار حجرية غير كبيرة كلفت ثمناً باهظاً بذنب من المتعهد الذي كان قليل الذمة . فهرب من مستتقع الديون إلى موسكو وحيث عاش فيها سنة ونصف السنة في حالة من الفقر المدقع. وفقط في عام ١٨٧٧ التحق بوظيفة دائمة كناظر ومراقب لدى التاجر غافريلوف وظل يعمل عنده ثلاث عشرة سنة ونصف السنة. وقد احتفظ بدفاتره الحاوية على كل الوارد والصادر. وترسم هذه الدفاتر الوضع المادي للعائلة التشيخوفية أثناء قدومها إلى موسكو كما تضم بعض رسائل أنطون تشيخوف من تاغانروغ والتي سرقت لاحقاً في ميلخوفو.

وبدأ من عام ١٨٩٢ بدأ الاستقرار في ضيعة أنطون تشيخوف (ميلخوفو) مركزاً جل اهتماماته على شؤون البستان كما كتب يومياته إضافة إلى قراءة الصحف وإبداء آرائه لأنطون تشيخوف عن المقالات، فارق الحياة بعد عملية غير موفقة أجراها له الأطباء في موسكو ودفن في مقبرة نوفوديفيتشه.

ويعود الفضل إلى بافل ايغوروفيتش تشيخوف بأن أولاده جميعاً نالوا التعليم ومن جهة أخرى وكما يقول ميخائيل بافلوفيتش تشيخوف لم تكن هناك في الأسرة حالات سوء استعمال السلطة ولا أية مظاهر للعقاب الجسدي وهذه المسألة قد بولغ التركيز عليها من قبل أنطون تشيخوف وألكسندر تشيخوف وبعض كاتبتي سيرة حياة الكاتب.

نحن لا نعرف شيئاً من كان جد جده من ناحية الأم. وأما جد جد أنطون تشيخوف من ناحية الأم فهو واحد من أقنان نيقولاي موروزوف والذي عاش في أواسط القرن الثامن عشر في قرية فوفانوفو أي منطقة ايفانوفو حالياً.

وابنه الأصغر غيراسيم نيكيتش (١٧٦٤ - ١٨٢٥/٧/٣) هو جد جد أنطون تشيخوف وهو أيضاً واحد من الأقنان وهو لم يعمل في الزراعة بل كان تاجر مفرق على الدوام. وتزوج بالفتاة تاتيانا ليونتييفا التي كانت أيضاً من الأقنان وأنجبت له خمسة أولاد هم الكسي وفاسيلي وتاتيانا وفيودور وياكوب.

شارك غراسيم تيكيتش في (قافلة موشانسك) وفي أشهر الشتاء كان التجار يشترون الحبوب بالعربات وينقلونها إلى موشانسك الميناء الواقع

في أقصى الجنوب النهري. وفي فترة الفيضانات الربيعية كانت القوافل الكبيرة المحملة بالبضائع تنتقل إلى فلاديميرشينا عبر أنهار تسني وكوكشييه وأوكيه وكليازميه. وفي حالات التوفيق كان أفراد القافلة يثرون خلال سنة واحدة.

كان غيراسيم يملك عدداً من العوامات التي كان يشرف على مسارها من الجنوب إلى مرسى خالوي على نهر كليازميه ويبيع السلع المحمولة في فترة معرض الربيع في بلدة خالوي. وفيما عدا الحبوب كان يتاجر بقبعات الخوارنة المصنوعة من فرو القندس (على بعد أربعة كيلو مترات من خالوي تقع جزيرة سوروكينو وحيث يكثر القندس منذ القدم).

وبعد حرب عام ١٨١٢ أتاح النهوض العام في التجارة المجال له كي يدخر ما يكفي من النقود وفي عام ١٨١٧ استطاع أن يفتدي نفسه من مالكة تاتاريننسف ثم أعتق أسرته وبعد نيل حريته عمل لدى غافريلوف في منطقة فلاديمرسك. وساعدته الظروف المواتية لاحقاً على ممارسة التجارة والعمل التجاري في حانوت في مورشانسك ولكنه عاش على الدوام في قريته وفارق الحياة بعد إصابته بالشلل ودفن في بلدة خوتيمل بالقرب من الجدار الغربي من كنيسة نيقولاى الحالية.

٩ - ياكوب (جاكوب أو يعقوب) غيراسيموفيتش موروزوف (قبل ١٨٠٢ - ١٨٤٧) جد أنطون تشيخوف ولد في قرية فوفانوف وفي الصغر افتداه فوفانوفو الأب وقد ساعد والده في أعمال التجارة في مورشانسك وكان له ثلاثة أولاد هم ايفان وفيدوسيا ويفغينيا.

في بداية ثلاثينات القرن التاسع عشر تعرضت تجارة ياكوب لبعض الاهتزازات في مورشانسك فانتقل من جديد إلى الفئة الأدنى من فئة التجار. وفي عام ١٨٣٣ أعلن إفلاسه الكامل وغادر إلى الجنوب كي يعمل وكيلاً لدى حاكم مدينة تاغانروغ ب.آ. بابكوف الذي يملك معمل أجواخ بالقرب من كوت الأحمر في دونباس. وفي الآن ذاته فتح متجراً للسكك المجفف في روستوف.

في تلك السنوات كان يزور أسرته بصورة دورية والتي كانت تعيش في قرية فوفانوفو أحياناً وفي شويأ أحياناً أخرى وفي عام ١٨٣٥ رأت النور ابنته الصغرى يفغينيا التي صارت لاحقاً والدة أنطون تشيخوف.

١٠- الكسندرا ايفانوفنا موروزوفا (١٨٠٤-١٨٦٩) جدة أنطون تشيخوف أصلها من كوخماكوف ولدت في قرية سيرغييفا منطقة ايفانوفو حالياً وعلى بعد كيلو مترين اثنين من بلدة باليخ. وجدها اسمه ماتفيه كوخماكوف والأب اسمه ايفان ماتفيتيش وكان الاثنان من رسامي الأيقونات ويملكان في دارهما المؤلفة من طابقين ورشة أيقونات في العلية. وكان الأب ايفان تاجراً موسكوفياً. وبعد زواجها بياكوب موروزوف استقرت عنده في قرية فوفانوفو (عام ١٨٢٠) في داره الجديدة (القائمة إلى وقتنا هذا) . وفي أثناء سفرة الزوج الأخيرة في جنوب روسيا نزلت ألكسندرا ايفانوفنا مع بناتها ضيفة عند أختها ماري ايفانوفنا في شويما التي حدث فيها في الثاني من آب عام ١٨٤٧ حريق التهم جزء من المدينة. وفقدت ألكسندرا موروزوفا المأوى. وبعد فترة وجيزة للغاية تلقت خبر وفاة الزوج فسافرت سوية مع البنات إلى نوفوتشيركاسك ثم إلى روستوف. والتقت هنا مع الابن ايفان. وأخيراً استقرت في تاغانرود في دار الجنرال بابكوف. وفي عام ١٨٥١ قامت ألكسندرا ايفانوفنا بجولة عبر روسيا وعلى الخيول وصولاً إلى شويما. وزارت سوية مع الابنة الصغرى يفغينيا بلدة باليخ وقربتها الأصلية سيرغييفا. وفي عام ١٨٥٤ أقدمت الكسندرا ايفانوفنا على تزويج ابنتها يفغينيا ببافل تشيخوف وفي عام ١٨٥٥ زوجت الابنة فيدوسيا وفي عام ١٨٦٥ زوجت الابن ايفان .

١١- فيدوسيا ياكوفلوفنا موروزوفا (١٨٢٩- ١٨٩١/١٠/٢٥) عمّة أنطون تشيخوف في عام ١٨٥٥ تزوجت بالتا بوريسوفيتش دولجينكو وأنجبت له طفلاً سمته ألكسي (١٨٦٥-١٩٤٢). وقد ساعدت أختها مساعدة نشيطة في تربية الأولاد حتى أخذت الابن الأكبر ألكسندر لتربيته عندها. وهي حليلة، وديعة، هائدة وذات طبع متماسك وقد أثرت فيدوسيا تأثيراً كبيراً على أولادها وكانت تروي لهم مختلف القصص المميزة والممتعة لاسيما وأنها كانت تتمتع بموهبة الفانتازيا. بعد الترميل في عام ١٨٧٠ انتقلت إلى حيث يعيش بافل تشيخوف وبعد افلاسه وهروبه إلى موسكو بقيت في تاغانرود ولم تغادرها إلا في عام ١٨٧٨ واستقرت في موسكو في وسط عائلة تشيخوف.

١٢ - يفغينا ياكوفلوفنا موروزوفا (يفوشكا) (١٨٣٥/١٢/٢٤ - ١٩١٩/١/٣)  
والدة أنطون تشيخوف. على الأرجح ولدت في قرية فونانوفو ليلة  
الرابع والعشرين من كانون الأول. وقد منحوها هذا الاسم أي يفغينيا  
على أساس التقاليد بتسمية الأولاد على شرف القديسين الذين كان  
اسمهم مسجلاً في يوم ولادة الطفل. وقد تعلمت القراءة والكتابة في  
البيت. ولم تبلغ بعد الثانية عشرة من العمر عندما فارق والدها الحياة  
فانتقلت سوية مع أمها وأختها إلى تاغانروغ قادمة من شوبا. وهنا في  
تاغانروغ دخلت معهد الفتيات الكريمات تحت إشراف مدام كوريلوفا  
كي تتعلم الأساليب والتأديب والرقص. لعبت يفغينيا ياكوفلوفنا دوراً هاماً  
في تكوين طبائع أولادها لاسيما أنطون تشيخوف الذي قال: الموهبة  
ورثناها عن الوالد بينما الروح عن الوالدة. وقد ورث أنطون  
تشيخوف عن أمه الرقة والوداعة واللفظ والطيبة. وهي غرست في  
نفسه تلك الأسس التي جعلت منه كاتباً إنسانياً وساعدته كثيراً كي يحول  
الدم العبودي إلى دم إنساني حقيقي وهي بالذات التي دعمت ورسخت  
نظرات بافل ايغورفيتش نحو تعليم الأولاد. وقد قاست يفغينيا  
ياكوفلوفنا، بشكل لا يطاق إفلاس الزوج (١٨٧٦) وانتقال الأسرة  
بأكملها إلى موسكو ولم تشعر بالهدوء النفسي إلا بعد أن عاد التوفيق  
إلى محيط الأسرة. وهي كانت دوماً المشرفة على شؤون الكاتب  
المنزلية سواء في موسكو أو ميليخوفو أو يالطا. كما كانت مشهورة  
بالبشاشة والحفاوة وحسن الضيافة. وقد ذكرت ذات مرة وهي في  
ميليخوفو: يحبني أولادي، كل حسب طريقته وأنا أسعى كي أحب كل  
واحد منهم حسبما ينبغي بالنسبة إليه بالذات. توفيت في يالطا قبل  
ثلاثة أيام من بلوغها الثالثة والثمانين.

١٣ - إيفان ياكوفلوفيتش موروزوف عم أنطون تشيخوف (الولادة ما بين  
١٨٢١ و ١٨٢٨ وتوفي ما بين ١٨٦٦ و ١٨٦٩) وقد رافق الوالد في  
الصغر واليفاع في سفراته التجارية في أرجاء الجنوب الروسي كما  
كان يساعد الأب في تجارته في روستوف. وبعد وفاة الأب (١٨٤٧)  
اشتغل في أعمال التاجر بايدالاكوف الربوية. وفي هذا الوقت بالذات  
دخل الخدمة عنده ميتروفان ايغورفيتش تشيخوف. وبعد عدة سنوات  
انتقل إلى تاغانروغ حيث تعيش أسرته واشتغل عند التاجر كوبيلين.

وقد طرده بسبب رفضه بيع الكافيار المتعفن. ولكنه أقام أوامر صداقة جيدة مع أبناء عائلة تشيخوف. تزوج بمارفا ايفانوفنا لوبودا أخت التجار المليونيرية واستقر في دارهم وفي عام ١٨٦٣ فتح بالمهر الذي دفعته حانوتاً خاصاً في تاغانروغ ولكن الحانوت سرعان ما احترق. كان متعدد المواهب إذ كان يعزف على الكمان والبوق والفلوت كما كان يجيد عدة لغات ويرسم البورتريهات والتشكيلات الملونة (اقتحام القلعة) ويتقن حرفة المكياج والألعاب المتحركة والفوانيس الملونة وموديلات السفن وتصليح الساعات وتحضير الفطائر والحلاوة واكتشف صنارة ذاتية الحركة أي أنها من نفسها كانت تنتثر السمكة الواقعة في المصيدة ولكن نظراً لكونه إنساناً حالماً فهو لم يستدر أي ربح مادي نقدي من كل هذا وكان دوماً مضطراً إلى الإصغاء لعتابات إخوة زوجته بسبب إخفاقاته والتهديدات الجدية بجلده. هذا ولم تستطع روحه الرقيقة والعاطفية تحمل مثل هذه الفظاظات. وهذه الحالة المسحوقة تركت تأثيرها في تطور الحالة الرئوية ومات بالسل الرئوي.

١٤- ماري ايفانوفنا كوخماكوف (بعد ١٨٠٤-١٨٧٦) أخت جدة أنطون تشيخوف، جميلة للغاية في صغرها تزوجت بتاجر محافظ على التقاليد اسمه غريغوري فيودورفيتش برياخين ولقبه كوخماك وفي طفولتها (عام ١٨١٢) رأت في شويما الأسرى الفرنسيين الذين استجدوا: ( نريد خبزاً ، كسرة خبز).

١٥- مارقا ايفانوفنا لوبودا (حوالي ١٨٤٠-١٩٢٣) زوجة عم أنطون تشيخوف أي زوجة ايفان ياكوفلوفيتش موروزوف وبعد ترملها دون وجود أولاد اشتغلت في تسيير أعمال الأخ التاجر الكبير في تاغانروغ ي. ي. لوبودا والذي حصل أولاد أخته بعد وفاته على ميراث بالملايين فطردوها من الدار. وكانت مارقا على صلات ودية للغاية مع جميع الإخوة التشيخوفيين. وفي التسعينات قدمت إلى سكنى أنطون تشيخوف في ميليخوفو. وتوفيت عند خامة بيتها السابقة في قرية بالقرب من تاغانروغ وهي في حالة من الفقر المدقع.

١٦- ألكسندر بافلوفيتش تشيخوف (١٨٥٥/٨/١٠ - ١٩١٣/٥/١٧) الأخ الأكبر لأنطون تشيخوف وهو كاتب أديب. في عام ١٨٨٥ أنهى دورة

دراسية كاملة في مدرسة تاغانروغ ونال ميدالية فضية وفي السنة نفسها انتقل إلى موسكو كي ينتسب إلى كلية الفيزياء والرياضيات والتي أنهارها بفرعيها في عام ١٨٨٢. وقد بدأ وهو بعد طالب الكتابة في المجالات والصحف بالأسماء المستعارة (أغافوبود يدينيتسين) و(ألويه) وفي وقت لاحق (آ. سيدوي) كما أشرف على أولى تجارب أنطون تشيخوف الأدبية. وفي عام ١٨٨١ تزوج آ.ي. خروشوف - سوكونيكوف زواجاً مدنياً وأنجبت له صبيين هما نيقولاي وأنطون. وكان المجمع الكنسي في تولاً قد أحجم عن تطبيقها إلا أنه حكم عليها بالعزوبية الأبديّة. وخلال الفترة ما بين ١٨٨٢ و ١٨٨٦ خدم في دائرة الجمارك في تاغانروغ وبطرسبورغ ونوفوراسيسك. وقد تركت هذه الخدمة تأثيراً سلبياً في نفسه وقد توقف تقريباً عن العمل الإبداعي وفي نهاية عام ١٨٨٦ أمّن ألكسندر تشيخوف عملاً دائماً له في بطرسبورغ في إحدى الصحف وهذا العمل أعاده ثانية إلى العمل الإبداعي. وفي عام ١٨٨٨ ترمّل ألكسندر تشيخوف. وفي السنة اللاحقة تزوج بمربية أولاده ن. آ. غولدن والتي أنجبت له الابن ميخائيل والذي صار لاحقاً ممثلاً مشهوراً. كتب ألكسندر تشيخوف عدداً كبيراً من القصص الطويلة والقصيرة والروايات المنشورة في مجلات وصحف متنوعة: «العصر الحديث» و«الشظايا» و«أخبار اليوم» و«البشير التاريخي» وغيرها من المطبوعات. وقد نشر بالاسم المستعار «آ.سيدوي» بعض الكتب بعنوانين «قصص مقنسة» «سانت بطرسبورغ، عام ١٨٩٥» و«طيور بلا مأوى» «مجموعة قصصية، سانت بطرسبورغ، ١٨٩٧» و«لآلى الأميرة» «مجموعة قصصية، سانت بطرسبورغ، ١٩٠٤» وغيرها. وإنها لمعروفة أعماله المكرسة لمسائل لها خصوصيتها ومنها: «بحث تاريخي عن الحرائق في روسيا» «سانت بطرسبورغ ١٨٩٢» و«المعجم الكيميائي للعصور» «سانت بطرسبورغ، ١٨٩٢» و«الإيمان على الكحول ومكافحته الممكنة» «سانت بطرسبورغ ١٨٩٧» وغيرها. وأشرف على تحرير مجلات «الأعمى» و«الإطفائي» و«بشير المجتمع الروسي لحماية الحيوانات». وإنها لمتعة مذكراته المتضمنة «في ضيافة الجد والجدة» و«تشيخوف في المدرسة اليونانية» و«أنطون بافلوفيتش تشيخوف الكنجي» وغيرها. وكانت الوقائع الخاصة بالسيرة الذاتية تتشابك أحياناً وإبداعياً في كتاباته هذه مع الخيال



الأديبي. كان ألكسندر بافلوفيتش تشيخوف أصيلاً كل الأصالة يهوى الاختراع وإتقان الصنعة: مفرخات اصطناعية تسخن الكتاكيت التي تنفخ في أجهزة تفريخ بسيطة وكانت على الجدران معلقة ساعات غريبة ومصنوعة من السدادات والأغصان والسعوف الخشبية. وأرضية الغرفة مغطاة بالشمع البسيط الخاص بالأرضيات أي المصنوع من مادة ورقية ناتجة عن معالجة الجرائد القديمة وغيرها كثير. توفي ألكسندر بافلوفيتش تشيخوف بسبب إصابته بسرطان في الحنجرة.

١٧- ميخائيل ألكسندروفيتش تشيخوف (١٨٩١/٨/١٦ - ١٩٥٥/١٠/١) ابن أخ أنطون تشيخوف ممثل درامي شهير انتسب في عام ١٩٠٧ إلى المعهد المسرحي التابع لمسرح سوفرين البطرسبورغي وفي عام ١٩١٢ دعاه ستانسلافسكي إلى مسرح موسكو الفني وألحقه به وبعد سنة صار يعمل في الاستديو الأول لهذا المسرح (مخات) تحت إشراف ليوبالد سوليرجيسكي ويفغيني فاختانغوف. وهنا بالذات أجاد دور كوبوس في مسرحية «هالك الأمل» عند كاليب و «صرصور في الموقد» وفريزيور «الطوفان» وغيرها. وفي سنوات ١٩١٨ - ١٩٢٢ مارس العمل التربوي التدريسي في الاستديو في موسكو وفي عام ١٩٢١ أبدع دورين هما إيريك الرابع عشر وخليستاكوف. وبدءاً من عام ١٩٢٤ أدى أدوار هاملت وأبليوخوف (بطرسبورغ) ومالفوليو «الليلة الثانية عشرة» و مورومسكي «القضية». غادر وطنه في عام ١٩٢٨ وتوفي في الولايات المتحدة في عام ١٩٥٥.

١٨- نيقولاي بافلوفيتش تشيخوف (١٨٥٨/٥/٩ - ١٨٨٩/٦/١٧) شقيق أنطون تشيخوف، فنان موهوب. أتم المدرسة لخمس سنوات في تاغانروغ كي ينتقل بعدها إلى موسكو ويلتحق بمدرسة الرسم والنحت والعمارة ولكن قبل إكمال الدراسة فيها انتقل إلى عالم المجلات كرسام ورسام كاريكاتير. ولا يزال عدد من أعماله محفوظاً إلى وقتنا الحاضر ومنها «فتاة باللباس الأزرق» في متحف تشيخوف ببلدته ميلخوفو وبورترية أنطون تشيخوف (١٨٨٣) في دار - متحف أنطون تشيخوف بموسكو و«فقر» (١٨٨٦-١٨٨٥) في دار - متحف أنطون تشيخوف في الطا وعدد من الايتيودات «الرسوم الأولية لحوادث الحياة» ، أما لوحة «نزهة الأول من أيار في سوكونليكي» فقد اقتناها سولداتينكوف من



معرض عام ١٨٨٢ بمبلغ /٦٠٠/ روبل . وفي معبد المسيح المخلص رسم نيقولاى تشيخوف عدداً من التشكيلات الجدارية . وفي لوحة ي.ي. ليفيتان «في سوكونيكى» رسم صورة امرأة. وثمة عدد من الأعمال التخطيطية الأولية لنيقولاى تشيخوف لا تزال محفوظة في متحف ميلخوفو وغيره كما نشرت مجلات «المشاهد» و «الشظايا» و«المنبه» العديد من الرسومات والكاريكاترات. وكان يرسم الصور واللوحات لبعض مؤلفات أنطون تشيخوف. ولا تزال محفوظة رسومات الكاريكاتير التي تظهر عليها شخصية الكاتب. وقدر أنطون تشيخوف شقيقه تقديراً رفيعاً إذ كتب إلى ألكسندر تشيخوف في شباط ١٨٨٣: (نيقولاى فنان جيد وقوي وموهبة روسية جليلة. وكنت غير مرة قد ذكرت أن نيقولاى من حيث موهبته يشغل موقعاً أرفع مني). لم ينل التعليم الموسيقي إلا على يد مدام شوبيه في تاغانروغ والتي كانت تعطي دروساً خصوصية. وهو كان يعزف بمهارة أكثر من متوسطة على البيانو حتى أنه أثار، وقتذاك إعجاب أحد قادة الأوركسترا ألا وهو ب. آ. شيستاكوفيتش وذلك عندما عزف رابسوديا (ليست) الثانية. وكان أحياناً، يعزف على الكمان في الحفلات والأمسيات الموسيقية والراقصة وبالمجان فلقبوه (الكادريل المجاني). كان نيقولاى يتمتع بطبع مع دماثة وقد كتب أنطون تشيخوف رسالة له يقول فيها (أنت طيب إلى درجة خارقة) (أذار ١٨٨٦).

لم يوفق نيقولاى تشيخوف في حياته الشخصية إذ تزوج مدنياً بالأنسة آ.آ. ايباتيفا غولدن فوقع تحت تأثيرها ولم يستطع التحرر من الوسط الضيق الأفق والسقيم الذي وقع فيه. فهي لم تجد فيه سوى خزنة نقود وقد دجنته على الإدمان الكحولي وبسببها توقف تدريجياً عن العمل الإبداعي.

وكل عودة لنيقولاى تشيخوف إلى محيط الأسرة كانت مدعاة للفرح والسرور إلا أن هذه الفترة لم تستمر طويلاً وفي آخر مرة شاهد أنطون أخاه نيقولاى عليلًا في غرفة مخنوقة بدخان السجائر فسحبه من هناك إلى داره وبعدها إلى العزبة في لوكا حيث فارق الحياة بعد شهرين وكان نيقولاى قد كتب ذكريات غير مكتملة عن طفولة إخوة تشيخوف وهي محفوظة في أرشيف س.م. تشيخوف.

١٩ - ايفان بافلوفيتش تشيخوف (١٨٦١/٦/١٦ - ١٩٢٢/٣/٦) شقيق أنطون تشيخوف مدرس ومرب بعد سفر الأسرة إلى موسكو (١٨٧٦) بقي يعيش في تاغانروغ مع أخيه أنطون ويأكل خبزه من حرفة التجليد وبعد سنة ترك الدراسة علماً أنه أنهى السنة الخامسة وذلك بسبب الوضع المادي القاسي ورحل إلى موسكو كي يتقدم إلى دورة المعلمين فنجح في الامتحان وصار معلماً وتم تعيينه في محافظة موسكو، منطقة فوسكريسنيك (مدينة إيسترا حالياً). وفي عام ١٨٨٤ نقلوه إلى موسكو فأشرف هنا على عدد من المدارس الشعبية التي علم فيها. ونظراً لعدم إكمال التعليم العالي فقد عانى هذا النقص فاشتغل على نفسه واكتسب طبعاً حازماً وسلطوياً . وفي التاسع من تموز (١٨٩٣) تزوج بالفاتة س.ف. أندرييفا وجرى العرس في ميلخوفو وأنجبت له الطفل فلاديمير (١٨٩٤-١٩١٧) .

٢٠ - ماريا بافلوفنا تشيخوفا (١٨٦٣/٧/٣١ - ١٩٥٧/١/١٥) أخت أنطون تشيخوف مربية فنانة أنشأت دار متحف أنطون تشيخوف في يالطا. انتسبت في عام ١٨٧٢ إلى المدرسة الثانوية النسائية في تاغانروغ بعدها درست في مدرسة البنات التابعة لإحدى الأبرشيات في عام ١٨٨٤ ثم التحقت بدورات التاريخ والآداب العليا النسائية لغاية عام ١٨٨٧. وخلال أعوام ١٨٨٧ و ١٩٠٤ عملت أستاذة للتاريخ والجغرافيا في مدرسة رجييف للبنات في موسكو. وفي تسعينات القرن التاسع عشر تولعت بالرسم فتعلمت في مدرسة سترافان بعدها كرسَتْ نفسها لجمع وطباعة تراث شقيقها الأدبي والرسائلي (ستة مجلدات لرسائل أنطون تشيخوف وغيرها) وبدءاً من عام ١٩٢٢ صارت المديرية مدى الحياة للدار - المتحف الذي أنشأته في يالطا وفارقت الحياة في يالطا باحتشاء في القلب.

٢١ - المتواليات الحسابية المتناقضة في العام الدراسي ١٨٧١ - ١٨٧٢ حيث كان ألكسندر يدرس في الصف الخامس (السابع الآن) ونيقولاوي وأنطون في الثالث وايفان في الأول.

٢٢ - اسمها ناديجدا قسطنطينوفنا مالوكسيانو (١٨٦٣ - ١٨٨٩/١٣/٧) أنهت مدرسة الإناث الثانوية في تاغانروغ، بعدها تزوجت بموظف محكمة

اسمه آ. سيغيدا (١٨٨٤) وتم اعتقالها معه (١٨٨٦) بتهمة تنظيم مطبعة شعبية سرية وقد تم تبديل حكم الإعدام بالسجن مع الأشغال الشاقة لثماني سنوات قضتها في (كار) حيث وجهت صفقة لمدير السجن المقدم ماسيوكوف كي يضعوه أمام ضرورة التسريح من منصبه. وفي ٤ تشرين الثاني ١٨٨٩ تعرضت لعقاب جسدي (مئة قضيب) بأمر شخصي من المحافظ (الحاكم العام) البارون كورف نفسه الذي كان أنطون تشيخوف التقى به بعد نصف سنة في ساخالين. تسمت ن . ك بعد عقاب .

- ٢٣- حدثت السفارة إلى كرنيشكا صيف عام ١٨٧٢.
- ٢٤- صارت المزرعة في عام ١٨٧٢ ملكاً لأرملة الكونت بلاتونوف.
- ٢٥- صار يعتبر ناضجاً وعاش منعزلاً عند مدير الثانوية. كان وقتذاك في عام التخرج وعمل عند المدير ايه. ف. ريتلينغر معلماً ومدرّباً لأولاده .
- ٢٦- تقع مزرعة ايفان بارفينتسيفتش سيليفانوف على مسافة ٥٠ كم من الغرب إلى تاغانروغ على نهر سوخوي ايلانتيك .
- ٢٧- أصيب بالتهاب الصفاق
- ٢٨- في حزيران ١٨٧٧ ترفع أنطون تشيخوف إلى الصف السابع .. دعاه إلى العزبة.. - مزرعة عائلة كرافتسوف على ضفة نهر كريبينكا بالقرب من مدينة بوكوفو - أنتراسيت في منطقة فورشيلوف غراد .
- ٢٩- ألكسندرا لقوشتا سيليفانوفتا، الزوج كراوزيه. ابنة قوزاكي من الدون أنهت ثانوية تاغانروغ وعملت معلمة، بعدها قابلة قانونية ومساجات. كتب أنطون تشيخوف في ألبومها حكاية الأمثلة: (ذات مرة اجتاز الجسر الصغير صينيون بدناء)...
- ٣٠- مزرعة (كاتلومينو) بالقرب من يفريموفكا على نهر موكري يلانتيك على مسافة ٤٠ كم عن تاغانروغ ( المعلومات عن مزارع سيليفانوف وكرافتسوف وزيمبولاتوف مأخوذة من پ.د.كاربون)

٣١- لقد هلكوا. - ماريا تشيخوفا أعلمت مؤلف التعليقات أن بافل ايغوروفيتش احتفظ بجميع هذه الرسائل طوال حياته وبعناية فائقة. ولكن هناك من سرقتها في ميلخوفو من غرفته عندما نقلوه إلى المستشفى.

٣٢- كان عنبر ي. يه. غابريلوف في ممر عتيق في دار بوبنوف.

٣٣- عيد ميلاد عام ١٨٧٦ .. قدم أنطون تشيخوف لأول مرة إلى موسكو في فترة عيد الفصح عام ١٨٧٧

٣٤- ك.ك. بيسكوفسكي كازيمير كليمنتيفيتش بافليكوفسكي أستاذ اللغات القديمة في ثانوية موسكو الثانية.

٣٥- ميخائيل ميخائيلوفيتش تشيخوف (١٨٥١ - ١٩٠٩/١٢/٣١) ابن عم أنطون تشيخوف وابن معلم التجليد. ولد في كالوغا وفي عامه الثالث عشر عمل أجيراً في عنابر التاجر ي. يه. غابريلوف في موسكو ثم اشتغل ناظراً لعدة سنوات فأظهر تفانياً في العمل وإخلاصاً لصاحبه لذا صار معتمداً في شركة غابريلوف . وفي عام ١٨٨٨ تزوج بابنة تاجر اللوازم الكنسية آ. يه. بابا شيفا فأنجبت له أربعة أولاد. وقد منح الجميع تعليماً عالياً. لقد استجاب أنطون تشيخوف للصدقة المعروضة عليه من قبل ميخائيل ميخائيلوفيتش ورجاه من تاغانروغ كي يعتني ببيغينيا ياكوفليفنا التي تعاني من الإفلاس والعيش في حالة من الفقر المريع في موسكو . والتمس ميخائيل من غابريلوف كي يقبل بافل ايغوروفيتش تشيخوف مستخدماً مراقباً. وقد استمرت هذه الصداقة إلا أنها خمدت لاحقاً وعلى ما يبدو بسبب تباين المصالح. ففي عنبر غابريلوف لم يكونوا يحبون أنطون تشيخوف لأنه كان طالباً يروح ويجيء بمعطف عريض وواسع وعندما كان يزور ميخائيل يسمع ما يقولونه عنه بأنه (روح ذئبية) .

٣٦- اولغا بتروفا كونداسوفا. عملت في شبابها في مرصد موسكو، توفيت في أثناء الحرب الوطنية العظمى (عام ١٩٤٣) في موسكو. هذا ولها ٤٢ رسالة مرسلة إلى أنطون تشيخوف محفوظة في مكتبة لينين بموسكو. وأما هي فلم تطبع رسائل أنطون تشيخوف الجوابية لا في المجلدات الستة (١٩١٢ - ١٩١٦) ولا في وقت لاحق. ولم ترد هذه الرسائل بعد وفاتها إلى أي مركز محفوظات.

٣٧- أنطون تشيخوف وصل إلى موسكو قادماً من تاغارنوغ في ٨ آب ١٨٧٩

٣٨- دون نهاية... من عام ١٨٧٥ لغاية ١٨٨٢

٣٩- الأخوان ليونيد وإيفان ترينيكوف ( هما ليسا على قرابة مع مؤسس متحف لوحات پ.م.ترينيكوف).

٤٠- يؤكد ي.س. زيلبير شتاين تأكيداً خاطئاً في كتاب أنطون تشيخوف «قصص متناثرة» (دار نشر الأكاديمية، ١٩٢٩) «أن الشاب الذي يحمل باقة هو بالتأكيد أنطون تشيخوف» ففي الكتاب أعيد النسخ مقارنة مع ما طبعه نيقولا تشيخوف والمنشور في العدد ١٦ من مجلة موسكو لعام ١٨٨٢.

٤١- يزعم بعض كتاب السيرة الذاتية أن يوليا ليادوفا في قرانها بتيرينيف كانت أول من ذكر بالخطأ في مذكراتها أن أنطون وليس نيقولا تشيخوف هو الذي يمّم شطر شويّا. ثمة افتراض أن لوحة (فتاة في الأزرق) التي اكتشفها مؤلف هذه المذكرات في عام ١٩٥٧ مرسومة من قبل نيقولا تشيخوف في أثناء إقامته في شويّا وعليها مصورة يوليا ليادوفا التي تعزف على البيانو وتستمع إلى م.م.ديوكوفسكي.

٤٢- فيودور غوندوبين صاحب بقالية وعدة دكاكين كان في إحداها يبيع الكتب المدرسية والفودكا. وهو صاحب دار نشر «المعبد» وعمدة الكنيسة وقاص ومبدع هزليات. وغريغوري فيودوروفيتش برياخين هو زوج جدة أنطون - ماريا إيفانوفنا أي أنه قريب عم أنطون.

٤٣- اشترى أدولف ماركس من أنطون تشيخوف جميع مؤلفاته لقاء ٧٥/ ألف روبل وسرعان ما حصل على أرباح طائلة نتيجة طبعها. كان الوسيط بين تشيخوف وماركس هو ب. آ. سيرغينكو ونظر الرأي العام نظرة سخط إلى هذه الصفقة. ففي رسالة من غوركي إلى تشيخوف نصحه فيه بفسخ الاتفاقية بعد دفع الغرامة نقداً والتي اقترحتها دار نشر (المعرفة) رفض تشيخوف رغم أنها مجففة، وفي وقت لاحق في أيار عام ١٩٠٣ سافر إلى بطرسبورغ للتباحث مع ماركس حول

تغيير شروط الاتفاقية . لم يوافق ماركس وطلب خمسة آلاف روبل للعلاج . وحسب كلمات ميخائيل تشيخوف شعر أنطون تشيخوف بأنه أهين بسبب هذا الاقتراح ورفض النقود.

٤٤ - في كانون الأول عام ١٨٧٩

٤٥ - قدم بيوتر تشايكوفسكي صورة إلى أنطون تشيخوف في اليوم نفسه .

٤٦ - حدث هذا في شمال محافظة تفير على شاطئ بحيرة اورستروفنو بالقرب من محطة اوردوميل، الخط الحديدي بولوغوف - ريبين . حاول ليقبتان الانتحار في الجناح الواقع في مكان منعزل على شاطئ البحيرة والعائد لمزرعة تورشانينوفا

٤٧ - عائلة لينتقاريف - ملاكو مزرعة لوكا بالقرب من سومي حيث يقضي أنطون تشيخوف صيفين ١٨٨٨ - ١٨٨٩ . هذه العائلة مكونة من الأم العجوز ألكسندرا فاسيليقتا وخمس بنات وأبناء: الدكتورة زينايدا ميخائيلوفتنا وعضو المجلس المحلي بافل ميخائيلوفيتش (١٨٦١ - ١٩١١) والموسيقي غيورغي ميخائيلوفيتش (١٨٦٥ - ١٩٤٣) جميعهم يمثلون الانتيليجينسيا التقدمية في ذاك الزمن. كان والدهم نصيراً لنظام الرق الإقطاعي ولم يستطيعوا مسامحته إذ جلد خادماً حتى الموت. هذا وقد ظلت الصلات رائعة للعائلة مع عائلة تشيخوف لسنوات طويلة. ثمة مدرسة في دار عائلة لينتقاريف في الوقت الحاضر، في جانب الجناح حيث عاشت العائلة التشيخوفية ويتم تنظيم دار - متحف أنطون بافلوفيتش تشيخوف.

٤٨ - ألكسندر سماغين تصادق مع عائلة تشيخوف وزارها غير مرة في موسكو وميلخوفو. وفي إحدى زيارته إلى ميلخوفو طلب يد ماريا تشيخوفا إلا أنه تلقى رداً بالرفض.

٤٩ - قبل الثورة كان محظوراً عرض المسرحيات في المسارح في أثناء الصوم الكبير .

٥٠ - الممثلة الكبيرة الحجم والغبية فوق المعقول م.ن. غليبوفا

٥١ - اليوم عبارة عن دار - متحف أنطون تشيخوف التذكاري.

٥٢- لا أذكر من بالذات الذي أحضر إلينا الكاتب ن.س. ليسكوف. إنه هو نفسه ليكن .

٥٣- إنها لمشهورة مسرحيات ميخائيل تشيخوف الفكاهية الناقدة وما أكثرها: ١- «عشرون دقيقة قبل قرع الجرس» نكتة في فصل واحد «المكتبة المسرحية» العدد ٤١، أيلول عام ١٨٩٤ ٢- «إن شئت تمديد ثم ارحل» كوميديا - فارس لميخائيل تشيخوف في ثلاثة فصول، مجلة «المكتبة الأوروبية» العدد ١/١، كانون الثاني عام ١٩٠٣ .

٥٤- حدث التعميد في مزرعة عائلة شاخوف - فاسكين بتاريخ ٦ كانون الأول عام ١٨٩٤

٥٥- كما تبين بعد الثورة، بعث غالكين فراسكي تعليمات سرية إلى جزيرة ساخالين تنص على منع أنطون تشيخوف من اللقاء مع المنفيين السياسيين المحكومين بالأشغال الشاقة.

٥٦- يقع سجن الأشغال الشاقة في جزيرة ساخالين في الجزء الأوسط من الجزيرة حيث تقع أربعة سجون هي ألكسندروفسكي وفايدوفسكي ودربينسكي ومالا- تيموفسكي، وفي الجزء الجنوبي ثمة سجن واحد هو كورساكوفسكي. وقد بلغ عدد مستوطنات النفي والأشغال الشاقة في المنطقتين أربعين مستوطنة.

٥٧- (نوع من الحيوانات الثديية المتوحشة طول جسده ٦٥سم وذنبه ٥٠سم يوجد في شمال أفريقيا وآسيا الصغرى وجنوب غرب أوروبا (شبه جزيرة البيرينه) بيبدا الأفاعي السامة - المترجم)

٥٨- والأصح المانغوست

٥٩- يوميات بافل ايغوروفيتش محفوظة في أرشيف الآداب والفنون المركزي التابع للدولة.

٦٠- كلارا ايفانوفنا - الكونتيسة مامونا صديقة ميخائيل تشيخوف. الزواج المفترض من ميخائيل لم يتحقق. تزوجت بشخص وسمت ابنها الأول ميشيل.

٦١- حسب روايات ميخائيل بافلوفيتش تشيخوف عندما كان سيرغينيكو يسبح في البركة يتحول مزاجه إلى المشروب وتوجيه الأسئلة بالأوكرانية

٦٢- ألكسندر ايفانينكو الذي عاش عند عائلة تشيخوف في ميلخوفو وضع قائمة بموجودات مزرعة تشيخوف والمعروضة في ضيعة فكاوية (قدمتها عائلة تشيخوف كهدية إلى متحف عزبة أنطون تشيخوف في ميلخوفو) - المترجم

٦٣- بدأ (براز) رسم البورتريه في تموز ١٨٩٧ بتكليف من بافل تريتيكوف. لم يوافق براز في المرة الأولى وأعاد الرسم ثانية في نيس في آذار ١٨٩٨. كتب تشيخوف عن البورتريه الثانية (شيء ما لا يخصني موجود فيها ولا وجود لما يخصني) - المترجم.

٦٤- أنجبت ليكا وايجناتي بوتابينكو ابنة خارج البلاد توفيت في عامها الثاني. وفي عام ١٩٠٢ تزوجت ليكا في موسكو بالمخرج آ. سانين (شينبرغ). وفي عام ١٩٢٣ هاجرت وعاشت عدداً من السنين في إسبانيا وتوفيت في عام ١٩٣٧ في باريس.

٦٥- أنجز أنطون تشيخوف وايجوروف العمل لتنظيم العون للجياع في قرية بوغويافلينسك على طريق نيجني نوفوغورود - أرزاماس. وفي الطريق من بوغويافلينسك إلى قرية بيلايا ضل أنطون تشيخوف السبيل وكاد يتجمد والحصان نفسه هو الذي سحبه من الوهدة

٦٦- تمت هذه السفارة في شباط عام ١٨٩٢.

٦٧- توقف جبول ليغرا في عزبة غلادكوف - كورنيكوفيه على مسافة ٥/ كم من ميلخوفو.

٦٨- ب.آ. سيرغينيكو الاختصاصي المعروف بتلستوي (عالم في التلستوية).

٦٩- أول مسرح روسي أسسه الشخصية المسرحية الفذة فيودور فولكوف في عام ١٧٥١.

٧٠- نال شاختل لقب أكاديمي في عام ١٨٩٨ لقاء بناء الجناح الروسي في المعرض الدولي في غلاسكو وأما في مبنى مسرح ليانوزوف السابق حيث كان يقع مسرح (مخات) فقد أنجز أعمال الإكمالات الداخلية.



٧١- يمكن الاعتقاد أن الطراز الأولي لضبعة اوكليف في القصة الطويلة «في الوهدة» هي ضبعة اوغروموفو غير البعيدة عن ميليخوفو.

٧٢- نقش بارز، رأس المسيح المصلوب في شكل بيضوي ومكان تواجد مجهول.

٧٣- تعود فكرة بناء المدرسة وتحقيقها إلى أنطون وأما ماريا فقد ساعدته في هذا الأمر.

٧٤- على بعد كيلو مترين من الكورنيش

٧٥- من بيع المؤلفات إلى أدولف ماركس .

٧٦- بدقة أكثر: قسم اللغة الروسية وآدابها لدى أكاديمية العلوم الإمبراطورية وتضم أعضاء يتم انتخابهم وثمة جائزة سنوية تمنح باسم بوشكين لهم. ومن المعروف أن أنطون تشيخوف انسحب من قوام أكاديمي الشرف احتجاجاً على اعتبار انتخاب مكسيم غوركي إلى أكاديمية الشرف باطلاً.

٧٧- غيورغي ميتروفانوفيتش تشيخوف (جورج) (١٨٧٠-١٩٤٣/١١/٣) ابن عم أنطون تشيخوف ولد في تاغانروغ ولم يكمل الدراسة إذ تركها في الصف الرابع لذا عانى الشيء الكثير ولكنه تتقن ذاتياً وفي وقت لاحق التحق بالخدمة البحرية في ميناء تاغانروغ بعدها عمل وكيلاً معتمداً في سفن البحر الأسود وبحر آزوف. وبعد ثورة أكتوبر عمل مفتشاً للاستيراد لدى الأسطول التجاري السوفيتي وكانت له صلات ودية ثابتة مع أنطون تشيخوف حتى رحيل الكاتب .

٧٨- التقى ميخائيل تشيخوف مع أنطون تشيخوف مرة أخرى عندما سافر الشقيق أنطون إلى بطرسبورغ في أيار ١٩٠٣ بهدف الاتفاق مع الناشر أدولف ماركس حول تغيير اتفاقية النشر الجائرة بالنسبة إلى أنطون تشيخوف.

٧٩- أخذت هيئة تحرير «الفكر الروسي» على عاتقها تنظيم التشييع والدفن. وقد حملت الشبيبة الطالبة التابوت الرصاصي الثقيل وفيه الجثمان طول الطريق من محطة نيقولايف (حالياً محطة أكتيابرسكايا) حتى دير نوفوديفيتشه على الأيدي. وسار وراء الجنازة أرملة المرحوم والمرافقون. بعدهم النعش الأبيض وأربعة أكاليل. تحرك موكب الجنازة

في شارع دومينكوف وزقاق اولانوف وشارع ميسنيتسكايا (شارع كيروف) وجسر كوزنيتسكي إلى المسرح الفني. ومن ثم تابع الموكب سيره في زقاق الجرائد (شارع اوغاريوف) وانضم إليه القادمون من محطة كورسك: والدة أنطون تشيخوف وأخته وأخواه ايفان وميخائيل، بعدها شارع نيكيتا (شارع غيرتسين) وزقاق شيريميتوفا (شارع غرانوف) وزقاق فاغانكوف (شارع ماركس وانجلز) ثم سار الموكب في زناميتشكا (شارع فرونزه) وفولخونكا وبريتشيسينكا (شارع كرابوتكين) وشارع البولشوي تسارينسكي (بيروغوفسكايا) إلى دير نوفوديفيتشه. الجدران وقاع القبر محفورة بجانب قبر بافل ايغوروفيتش تشيخوف (في المقبرة القديمة بين بوابات المدخل والكاتدرائية) وتم تزيين المكان بالورود الطبيعية وغيرها من الزهور. وبسبب إعادة تنظيم مقبرة نوفوديفيتشه تم نقل رفات أنطون تشيخوف وبافل ايغوروفيتش تشيخوف إلى مقبرة جديدة في تشرين الثاني عام ١٩٣٣.

٨٠- يعتبر البعض أن رسالة أنطون إلى أخته بتاريخ ٣ آب ١٩١٠ هي وصيته التي تبدأ بما يلي: «ماريا العزيزة أوصي لك..» إن إدراج إخوة أنطون في نطاق حقوق الوراثة حسب القانون والتنازل اللاحق من قبلهم عن الإرث المحصول عليه في صالح الشقيقة ماريا تشيخوفا قد حدث بسبب أن وصية الكاتب العدل لم يجدوها في أوراق أنطون تشيخوف.

الهيئة العامة  
السورية للكتاب



# الهيئة العامة السنورية للكتاب

## الفهرس

### الصفحة

- ١ - مقدمة بقلم المترجم ..... ٥
- ٢ - كتاب «حول تشيخوف» ومؤلفه ..... ٩
- ٣ - الذكريات ..... ٣١
- ٤ - الذكريات ..... ٢٤٧
- ٥ - الهوامش ..... ٢٥٣

الهيئة العامة  
السنورية للكتاب



الهيئة العامة  
السنورية للكتاب

## زياد الملا

- من مواليد مدينة دمشق ١٥/٨/١٩٤٠.
- حائز على ماجستير آداب من جامعة باتريس لومومبا عام ١٩٦٨.
- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- ترجم عن الروسية مئات المقالات والدراسات وقرابة الثلاثين كتاباً منها:
  - \* المجلد الخامس من أعمال بليخانوف الفلسفية.
  - \* قضايا البحث الفلسفية في الفن.
  - \* فرويد، التحليل النفسي والفلسفة الغربية المعاصرة.
  - \* لغات العالم، الحية والميتة.
  - \* الحركة العربية في المشرق أعوام ١٩٠٨-١٩١٤.
  - \* حياة فيثاغورث وفلسفته.
  - \* تاريخ سورية ولبنان في عام واحد ١٨٦٠-١٨٦١.

الهيئة العامة  
السورية للكتاب

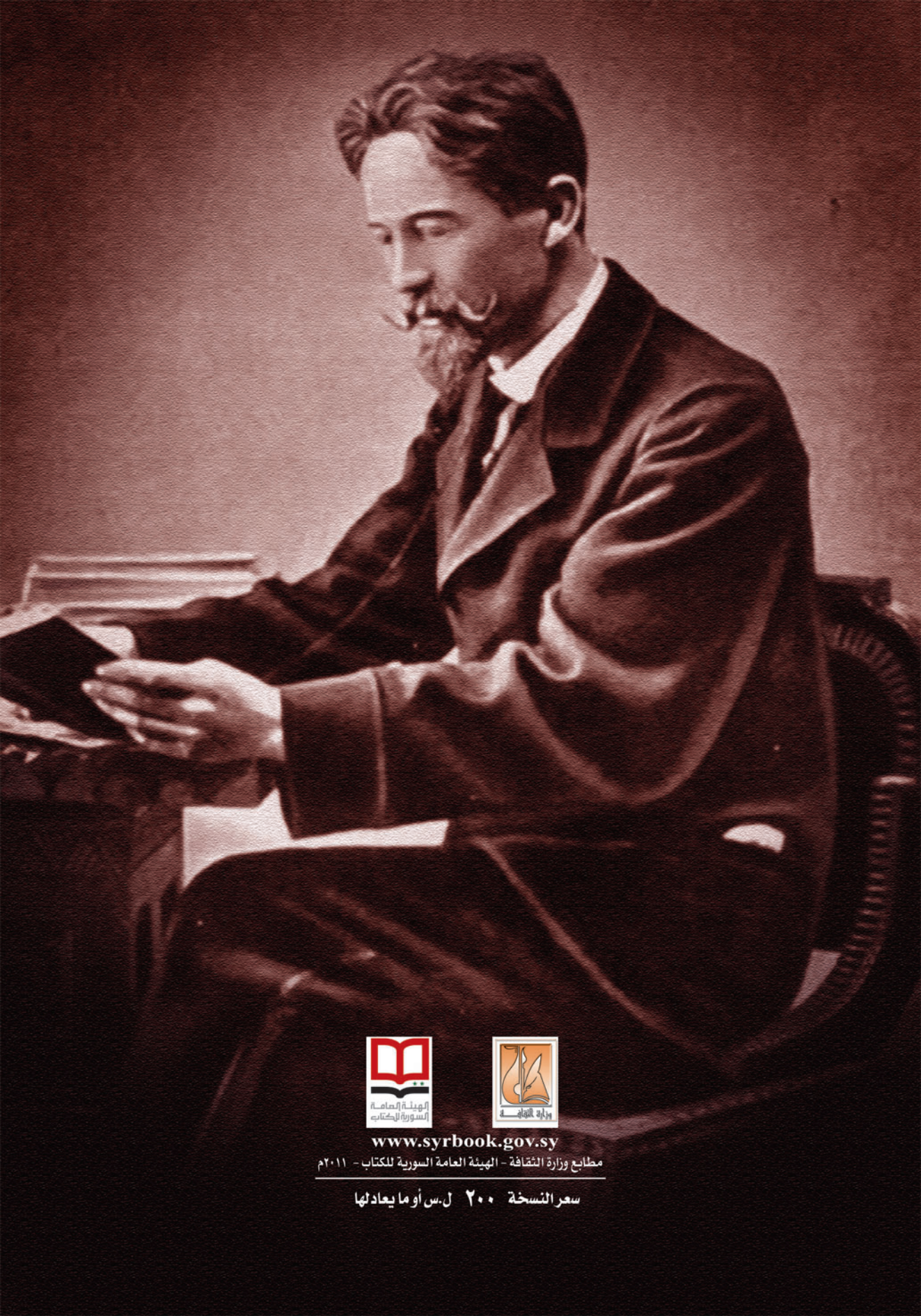


الطبعة الأولى / ٢٠١١ م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

# الهيئة العامة السنورية للكتاب





[www.syrbook.gov.sy](http://www.syrbook.gov.sy)

مطابع وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١١م

سعر النسخة ٢٠٠ ل.س أو ما يعادلها